رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الدكتور
عبد الفتاح إسماعيل شلبي
أستاذ الدراسات القرآنية واللغوية بكلية اللغة العربية
جامعة أم القرى. مكة المكرمة

في الدراسات القرآنية واللغوية

الإمالة في القراءات واللهجات العربية

دار الشروق
للنشر والتوزيع والطباعة

دار ومكتبة الهلال
بيروت

تنسيق وفهرسة
د/ الشويحي

فهرس مجمل

الموضوع		الصفحة
كلمة فضيلة شيخ المقارىء المصرية .		٧
تقديم .		٩
مدخل البحث .		١٩
الفصل الاول	: معنى الفتح .	٢٧
الفصل الثاني	: درجات الفتح والإمالة وأنواعها .	٣٩
الفصل الثالث	: الإمالة عند المحدثين .	٦١
الفصل الرابع	: الفتح والإمالة وايهما الاصل ؟	٨٣
الفصل الخامس	: من يميل من القبائل ومن لا يميل ؟	١٠٣
الفصل السادس	: حكم الإمالة : أواجبة هي أم جائزة ؟	١٣٥
الفصل السابع	: القراء السبعة والإمالة .	١٤٥
الفصل الثامن	: أسباب الإمالة عند النحاة وعند القراء وموازنة بين قواعد هؤلا وهؤلاء .	١٨٧
الفصل التاسع	: قد يأتي من الإمالة ما يتبع فيه الرواية .	٢٨٧
الفصل العاشر	: إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف .	٢٩٥
الفصل الحادي عشر	: إمالة بعض الحروف والراي في ذلك .	٣٠٩
الفصل الثاني عشر	: موانع الإمالة .	٣١٥
الفصل الثالث عشر	: فقه أسباب الإمالة .	٣٢٩
الفصل الرابع عشر	: الأبواب التي وافق النحاة في امالتها .	٣٤٧
الفصل الخامس عشر	: الوقف على الممال .	٣٥١
الفصل السادس عشر	: مذاهب القراء في الإمالة وظهورها في في كتب النحاة .	٣٥٧
الفصل السابع عشر	: علامات الإمالة الخطية .	٣٦٧
الفصل الثامن عشر	: مدى شيوع الإمالة قديما وحديثا .	٣٨٣
خاتمة	: بأهم نتائج البحث ، مقترحات .	٣٩٧
ثبت المراجع .		٤١٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

في الدراسات القرآنية واللغوية

الإمالة في القراءات واللهجات العربية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

2008 م ~ 1429 هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

« هذا الكتاب رسالة ماجستير نوقشت علنا بكلية دار العلوم جامعة القاهرة في مساء الاربعاء : (٢١ من ربيع الاول ١٣٧٢ ـ ٨ من ديسمبر سنة ١٩٥٢) ناقشها الاساتذة : الاستاذ ابراهيم مصطفى عضو مجمع اللغة العربية ، والدكتور فؤاد حسنين استاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب (جامعة القاهرة) ، والاستاذ عبد الحميد الدواخلي الاستاذ المساعد بقسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم . ومنح صاحبها درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها والدراسات الاسلامية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى » .

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

ISBN 9953 - 75 - 355 - 5

المتعهد الوحيد لتوزيع منشوراتنا:

دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر
جادة هادي نصر الله - بناية برج الضاحية - ملك دار ومكتبة الهلال
تلفون: 00961 1 540891 - فاكس: 00961 1 540892
ص.ب: 15/5003 الرمز البريدي: 2010-1101 البسطا-بيروت-لبنان
http:\\www.darelhilal.com E-mail:info@darelhilal.com

تفضل فضيلة الاستاذ الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقارىء المصرية فاطلع على هذه الرسالة وكتب الكلمة الآتية (١)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد أتاح لي الاستاذ الجليل عبد الفتاح إسماعيل شلبي فرصة الاطلاع على سفره : « الإمالة في القراءات واللهجات » فقضيت بين حدائقه نزهة جميلة متعت فيها البصر بكل جديد في نسجه وتبويبه وانفراد بما يملأ النفس إعجابا . وان التوفيق الذي صادفه لنعمة من الله جديرة باسداء الثناء له . وهبة من الله تعالى الذي لا ينفد عطاؤه .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم.

شعبان سنة ١٣٧٢
ابريل سنة ١٩٥٣

شيخ المقارىء المصرية
(توقيع) **علي محمد الضباع**
خادم القرآن الكريم

---

(١) اثبت هذا اعتزازا به أولا، وتوثيقا يعتد به من رجل هو شيخ الرواية والقراء في عصرنا هذا ثانيا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

تقديم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

هذا بحث أخلصت فيه النية وحررته من شوائب الهوى ، وحشدت له الجهد ، ورجوت من الله فيه التوفيق ؛ إذ كان متصلا بكتابه من قريب .

ولقد شغفت بهذه الدراسات القرآنية منذ أن قدرت على البحث والإنتاج ؛ فهي أنفع للناس، وأخلد على الزمن، وأكرم ما تبذل فيه الجهود.

وفينا الآن دعوة ناهضة الى إحياء تراثنا القديم ، بطبع مخطوطه ، وتحقيق نصوصه ، وإقامة الدرس حوله ، والعمل في هذه الرسالة نوع من العناية بذلك التراث ، وحقيق بطلاب العلم من الباحثين أن يشغلوا به،وأن يلتفتوا اليه .

ولموضوع هذا البحث قصة تبدأ حين تقدمت الى معهد الدراسات العليا للحصول على دبلومه ببحث صغير في القراءات ، من بين البحوث التي يكلفها الطالب فيما يكلف . وقد قدر هذا البحث حينئذ وظفر بدرجة الامتياز (٩٥ درجة من مائة) .

كان ذلك سنة ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٩ م ، فأغراني ما أصبت من نجح أن

أجعل موضوع رسالتي في الماجستير متصلا كذلك بالقراءات ، ووقر في نفسي أنّ بحث الدراسات العليا خميرة أنفخ فيها فتكون رسالة ؛ إذ كنت قد تناولت في ذلك البحث حديث « انزل القرآن على سبعة أحرف » بالشرح والبيان ، وبينت كيف ظهرت لهجات القبائل العربية في قراءات القرآن ، وتناولت مسائل النحو وأبواب اللغة ، ومدى ظهورها في القراءات ورسم المصحف وصلة القراءات به ... الخ .

والتقيت بالاستاذ المشرف الاستاذ ابراهيم مصطفى ، وأخبرته ببحثي الحاضر المهيأ ، وما تناولت في فصوله من مسائل ، وعرف الرجل أني أريد أن أجعل رسالتي في الماجستير مثل ذلك ، فابتدرني قائلا : القراءات !!؟ ذلك موضوع شاق يدعوك الى بذل الجهد الجهيد.. أي شيء أغراك به؟! ثم ما هذه المسائل المتعددة وكل مسألة منها تستحق أن تكون رسالة في الماجستير ، بل أكبر من ذلك،إن كنت على استعداد للمعاناة فتناول مسألة واحدة من هذه المسائل ، ابحث مثلا « الإمالة » ، وهي لهجة واحدة من هذه اللهجات التي تعرضت لها بالذكر ، وبين كيف دون النحاة أحكامها في العصور المختلفة، وكيف تناولها القراء في كتبهم، ووازن بين هؤلاء وهؤلاء. وأخذ الاستاذ يسرد لي منهج البحث حتى أتى على آخره في هذه المشكلة ، وخرجت من عنده وقد أحسست عبئاً ثقيلا ألقي على كاهلي ، وكان ذلك أول المعاناة :

الامالة تعد فيها رسالة ..!! وما كدت أخطو خطوات حتى وقفت أقلب صحائف بحثي في الدراسات العليا ؛ لأرى ما يتعلق بالامالة فيه ، فاذا كل ما كتبت : « تحرص قبيلة بني تميم على إمالة الألف نحو الياء ، والإنحاء بالفتحة نحو الكسرة »، ثم بينت في أسطر خمسة مذهب بعض القراء في الإمالة (١) .

---

(١) القراءات وصلتها باللهجات العربية والنحو مخطوط : بالآلة الكاتبة للمؤلف . ص ٢٣ .

ودارت بي الأرض إذ فكرت ، ما عساي أن أصنع بهذه الأسطر حتى أجعلها رسالة للماجستير ..؟ ولكن الاطمئنان عاد الي اذ قلت « إن أستاذك يعلم أن الإمالة تستحق أن تكون موضوعاً لرسالة : وها هو ذا منهج البحث بين يديك ، فامض في الطريق ، واستعن بالله .

وكان عكوف على الدرس في صبر ومصابرة ، وكان بذل للجهد في أناة واطمئنان ، وكان أن عنّاني الهدف ، ورضيت أنا بما أتعنّى ، ذلك لأني كنت أجد ثمرة المعاناة بردا من اليقين ، وتكشفاً لوجه الحق ، وما زال هذا شأني وشأن ما أهدف اليه يعنّي وأرضي ، ويعذّب وأستعذب ، حتى استوى البحث ، وتحقق الهدف الذي أبغيه .

وكنت بين أمرين ــ أحدهما ــ يريدني على الإكثار من العرض ، والآخر يجذبني إلى الاقلال منه ، فالأول تستلزمه دقة الموضوع ، وغرابته على الناس ، وبعدهم عن مدارسته ، وأنني أتناوله في منهج متعدد الجنبات، وذلك يستلزم فضلا من الشرح ، ومزيداً من البيان .

وأما الآخر : فيحببه الى أنا نريد في مثل هذه البحوث اللباب بل عصارته ، وروح الجوهر لاعرضه ومادته ، الى أني أكتبه للخاصة من الناس، وهؤلاء تكفيهم اللمحة الدالة ، والإشارة العابرة . فأخذت من كل أمر بقدر ، ولكني كنت كثير الإيثار للإقلال ما لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى غيره .

وكان من منهج الدرس أني رجعت إلى المصادر الاولى في كتب القراءات والنحو فلم أكتف بما هو مطبوع متداول ، فذلك على قلته في كتب القراءات بخاصة ــ لا يلقي ضوءاً على تطور أحكام الامالة في العصور المختلفة ، الى أن التعرف على كتب المؤلفين القدامى ، والموازنة بين نصوصها ونصوص من أتى بعدهم يهدينا الى تصحيح الاوضاع ، وتحقيق النصوص،

وترجيح نص على نص ، والحكم الصحيح لمذهب دون مذهب ، مما يرى شائعاً في الفصول المختلفة من هذه الرسالة .

وقد هداني الى هذه المصادر المؤلفون المتأخرون أنفسهم ، فابن الجزري (٨٨٣ هـ) في النشر يذكر انه اعتمد على ما كتب مكي ابن أبي طالب حموش (٤٣٧هـ) في التبصرة والكشف والإبانة ، وعلى ما كتب الداني (٤٤٤هـ) في جامع البيان والموضح ، وما كتب الرعيني الأشبيلي الأندلسي (٤٧٦هـ) في الكافي ، وما كتب سبط الخياط البغدادي (٥٤١هـ) في المبهج ، وعلم الدين السخاوي (٦٤٣هـ) في جمال القراء ، والجعبري (٧٣٢هـ) في شرح حرز الأماني وغير هؤلاء في كتبهم ، فكنت أحاول جهد المستطاع أن أستقي من تلك الينابيع التي استقى منها ابن الجزري وغيره من المؤلفين المتأخرين فبحثت عن هذه المراجع الأولى ، وتعرفت على ما فيها جملة وتفصيلا ؛ لتلتئم حلقات المراجع في سلسلتها ، وقد ظفرت بما أقنعني وأقنع هذا المنهج ، وكان ما أصبت من نجح بمقدار ما بذلت من سعي ، غير أني لم أظفر بكتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣ هـ) وقد تعرض له الداني في الموضح [١] ، وكتاب الكامل لأبي القاسم الهذلي الذي جمع فيه ـ كما يقول ابن الجزري ـ بين الذرة وأذن الجرة من صحيح وشاذ ومشهور ومنكر [٢] . ولا زالت في نفسي رغبة ملحة الى الاطلاع عليهما ، وما زالت هذه الرغبة تلح بي حتى مثول هذه الرسالة للطبع ، وأكبر الظن انها ستظل في لجاجتها وإلحاحها أمداً بعيداً .

ومثل ما فعلت في كتب القراءات فعلت في المخطوط من كتب النحو والمصور منها ، فقرأت المقتضب للمبرد (٢٨٥هـ) وسر صناعة الأعراب لابن

(١) ورقة ٢٤ ص ٦ من الموضح وما بعدها .
(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري . ص ٥٨ .

جنـــي (٢٩٢هـ) ، والحجة لابن خالويه (٣٧٠هـ) وتصفحت سبعـــة أجزاء الحجة لابي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ، وقرأت الجمـــل الكبيرة للزجاجي (٣٤٠هـ) وشروحها لابن الضائع (٦٨٠هـ) ، وارتشاف الضرب لأبي حيان (٧٤٥هـ) ، وشرح التسهيل للدماميني (٨٣٧هـ) • الى جانب المطبوع من متداول وغير متداول •

كذلك فعلت في كتب المحدثين فقرأت المهم مـــن المصادر التي اعتمد عليها « ماتسون » كاتب مادة إمالة في دائرة المعارف الإسلامية • فوقعت من كل هذه الآثار للقراء والنحاة والمحدثين على فائدة أي فائدة وكان ذلك بعض ما عنّتني به الغاية ، ولكنه كان مما أجدى وأغنى •

واقتضى المنهج أن تكون الرسالة في ثمانية عشر فصلا يسبقها تمهيد وتتلوها خاتمة : ففي التمهيد أشرت في إجمال الى من تناول موضوع الامالة من القراء والنحاة ــ والباحثين من القدماء والمحدثين •

ثم أتبعت ذلك التمهيد فصول الرسالة حيث تحدثت عن معنى الفتح والإمالة ودرجاتهما ، والإمالة عند المحدثين ، والفتح والإمالة وأيهما الأصل، ومن يميل من القبائل ومن لا يميل ، وحكم الإمالة أواجبة هي أم جائزة ، والقراء السبعة والإمالة ، وأسباب الإمالة عند النحاة والقراء ، وما يأتي من الإمالة تابعاً للرواية ، وإمالة ما قبل هـــاء التأنيث وهـــاء السكت وبعض الحروف ، وموانع الإمالة ، وفقـــه أسباب الإمالة ، والوقف علـــى الممال ، ومذاهب القراء فـــي الإمالة وظهورها فـــي كتب النحاة ، وعلامات الإمالة الخطية ، ومدى شيوع الإمالة قديماً وحديثاً ، وموازنة بين قواعد الإمالة عند النحاة وعند القراء •

وفي الخاتمة ذكرت النتائج التي وصلت اليها فـــي غضون البحث ، وأبديت ما أرى من مقترحات •

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مدخل البحث

تناول موضوع الإمالة كل من النحاة والقراء ، وقد ذكر السيوطي ان الإمالة من الموضوعات النحوية الاولى التي يقال إن أبـا الأسود الدؤلي وضعها [1] وقد احتفل سيبويه (ت ١٨٠هـ) في الكتاب بيـاب الإمالة ، وبعد حديثه في هذا الباب أصلا بني عليه من أتى بعده من النحاة والقراء.

وقد ظفرت الإمالة بعناية خاصة من القراء على مر الأزمان حتى ان بعضهم أفرد لها كتبا مستقلة ، فقد كتب في الإمالة أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ) [2] وصنف كل من أبي الطيب بن غلبون (٣٨٥هـ) وأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ) مجلدة قصرها على حكم الإمالة وما يتعلق بها [3] وألف مكي بن أبي طالب كتاباً في الإمالة ، وجعله فيما يقول ياقوت فـي ثلاثة أجزاء [4] ويظهر أن أبا بكر الأدفوي (ت ٣٨٨) [5] غلط مكياً ، فكتب مكي « الانتصاف في الرد على الأدفوي فيما زعم مـن تغليطه فـي كتاب الإمالة ، وجعله كذلك في ثلاثة أجزاء [6] » . ولمكي فصل في الإمالة جعله

---

(١) انظر الاقتراح للاسيوطي : ٨٤ .
(٢) انظر الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة لابي عمرو الداني ص ١٣ وما بعدها .
(٣) ابراز المعاني لأبي شامة ص .
(٤) معجم الأدباء : ١٩/١٧٠ .
(٥) في طبقات القراء : ٢/١٩٩ الاذفوي « بالذال » .
(٦) معجم الادباء : ١٩/١٧٠ .

ذيلا لكتابه الإبانة في معاني القراءات ، وقد ذكر مكي فـي مستهل ذلك الفصل انه ليس من نفس الكتاب وإنما ذكره ليسهل حفظ ذلك (١) .

كذلك كتب مكي (٤٣٧هـ) فصلا في أحكام الإمالة ، واحتج للألفاظ الممالة ، ثم كانت طريقة سبط الخياط البغدادي (ت ٥٤١هـ) فـي المبهج تخالف السخاوي (٦٤٣هـ) في جمال القراء ، كمـا يأتي الإمام الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) في شرح باب الامالة من حرز الأماني (٢) بزيادات لم ترد في شرح أبي شامة (ت ٦٦٥هـ) من قبله ، ولا في سراج القارىء لابن الحسن القاصح .

وقد كتب ابن القاصح (ت ٨٠١هـ) قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين كتبها كمـا يقول لإخوانه المشتغلين بعلـم القراءات ، ليستعينوا بمطالعتها على نقل الروايات ، وكشف ما أودعه الداني في تيسيره والشاطبي في حرزه من المشكلات (٣) .

* * *

ثم كانت مرحلة التخصص بعد هذه المرحلة العامة : فألف شمس الدين محمد بن محمد الوفائي الشافعي من علماء القرن التاسع الهجري رسالة في الامالة على قراءة أبي عمرو البصري وقد فرغ من تأليفها سنة (٨٧٢هـ) (٤).

وكانت هناك منظومات مستقلة خاصة بموضوعات بأعيانها في الإمالة، ومذاهب القراء فيها . فمن هذه المنظومات « كشف قناع الوهم والخيال

---

(١) الإبانة لمكي بن ابي طالب مخطوطة رقم ١٩٦٦٤ بدار الكتب .
(٢) منظومة الشاطبي وهـي معروفة بالشاطبية معتمـد القراء ، نظـم فيها التيسير لابي عمرو الداني .
(٣) انظر مقدمة قرة العين في الفتح والامالة وبين اللفظين لابي الحسن القاصح مخطوطة بدار الكتب بالارقـام ٢٦ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٤٠٢ قراءات .
(٤) الرسالة ضمن مجموعة في مجلد ١٧٧ مجاميع بمكتبة الازهر .

عن فواصل الممال لابن غازي » وذكر في هذه القصيدة مـا عده الشيخ أبو عبد الله القيسي في قصيدته اليائية والشيخ أبو الفضل المجراد السلوى في قصيدته اللامية [1] .

وقد شرح قصيدة ابن غازي العوضي البدري الشافعي (١٢١٤هـ) في رسالة صغيرة جعل عنوانها « فصل المقال على نظم ابن غازي فواصل الممال [2] » .

وكما ظفر بعض الموضوعات الخاصة في الإمالة بمنظومات ظفر بعض القراء بمنظومات تبين مذاهبهم في الإمالة ، فهـذا (الفقير) ــ كما يصف نفسه ــ عبد الحافظ بن علي غنيم يضـع أرجوزة فـي أحكـام الإمالة **على مذهب ابي عمرو بن العلاء البصري المازني** أحد القراء السبعة ثـم يضع شرحاً لهذه الارجوزة يسميه « زوال الجهالة بشرح منظومة الإمالة » .

أما ما كان من النحاة فقد يطول بي حبل الكلام إن ذهبت استقصي ما كتبوه عن الإمالة منذ سيبويه في القرن الثاني حتى هذا الزمان ، وأقرر ان ما كتبه النحاة والقراء خاصا بالامالة كان موضع التحقيق في هذا البحث في مختلف ما حوى من فصول .

* * *

وكما ظفر موضوع الإمالة عند القدماء بمـا ظفر علـى النحو الذي بينت ، كذلك كان من المحدثين التفاتة نحو هذا الموضوع ، وقد هديت في أثناء رحلتي إلـى انجلترا صيف ١٩٥١ ــ إلـى كتـاب في الإمالة لأحد

---

(١) لم أهتد الى هاتين القصيدتين وكلام ابن غازي يدل على أنـه سبق فـي التاليف في رؤوس الآي الممالة بالقيسي والسلوى كما يقول .
(٢) مخطوطة بدار الكتب رقم ٦٩ قراءات .

المستشرقين الالمان هو « Max Grunart » أحد الذين عنوا بالدراسات العربية ، وقد ألف رسالته الإمالة « de Imala » سنة ١٨٧٥ وجعلها تشمل على مقدمة وخمسة ابواب تحدث فيها عن معنى الامالة عند النحويين والمؤلفات التي تناولت هذا الموضوع ، وتاريخ معنى الإمالة ، وعلاقة الامالة بالرسم .

وقد نبّهني ما كتب الدكتور Max Grunart في كتابه هذا إلى بعض ما يجب أن يكون في تناول لهذا الموضوعَ ، كما كان بعض ما كتبه موضع التحقيق والتعقيب .

ولا يفوتني أن أذكر وأنا في معرض الحديث عن جهد المحدثين في الحديث عن الإمالة باحثين من المعاصرين :

اما احدهما فالاستاذ الدكتور ابراهيم أنيس وقد تعرض للموضوع في كتابه « اللهجات العربية [1] » ، وكان لما كتب من الأثر في الهيكل العام لبحثي هذا مثل الأثر الذي كان لكتاب الإمالة للدكتور Max Grunart كما أتاح لي كذلك فرصة المناقشة والتعليق .

واما الآخر فالدكتور محمود سعران في رسالته التي تقدم بها الى جامعة لندن [2] للحصول على درجة الدكتوراه يونية سنة ١٩٥١، فقد كتب فصلا عن الإمالة [3] اتجه فيه اتجاها طابعه العام تبويب ما قال النحاة والقراء في هذا الموضوع ، معتمدا ــ في الغالب ــ على ما ذكر سيبويه وابن يعيش

---

(١) انظر اللهجات العربية ص ٤١ ــ ٥٠ .

(٢) The dhonetic observations of the arab grammarians

(٣) من ص ٢٦٩ ــ ٣٠٢ من الرسالة المذكورة المحفوظة بمكتبة جامعة لندن . وقد استطعت الاطلاع على هذه الرسالة في اثناء رحلتي التي اشرت اليها آنفا بهدى من الاستاذ Firth الاستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن ، وبمعونة من الاستاذ الدكتور عبد العزيز عبد المجيد (رحمه الله) وقد كان استاذا للدراسات العربية والإسلامية بجامعة مانشستر حينئذ .

والزمخشري من النحاة وما جاء فـي المقنع والتيسير للداني والنشر لابن الجزري من القراء • وما كتب الدكتور سعران ـ على ماله من قيمة ـ لم أفد منه كثيرا ، وقد وقفت أمام بعض منه موقف الفحص والتمحيص •

هذه كلمة عامة عن المتحدثين فـي موضوع الإمالة ، مـن القدماء والمحدثين قدمتها بين يدي بحثي هذا لتكون مدخلا أخلص منه الى الموضوع على ما سأتعرض له في بيان وتفصيل فيما يلي من الفصول •

ولم آل جهـدا فـي تزويد الرسالة بالمصورات الجغرافية، والرسوم الموضحة، والوثائق التي تعين على تصور بعض الحقائق الواردة في فصلي « رسم المصحف »و « علامات الإمالة الخطية » وقد كان في بعض هذه المصوّرات شيء من الخفاء والغموض واعتذر منه ، إذ كان من عمل غيري الذي لا بد من الاستعانة به فيه •

وكان في النية تسجيل أحاديث لأشخاص تظهر الإمالة فـي لهجاتهم تمهيدا لالقاء ذلك التسجيل في أثناء مناقشتي وتلخيص الرسالة • وسرت في إبراز هذه النية خطوات ، ولكن حال دون ذلك بعض العقبات •

وبعد ، فلن أضع القلم حتى أسجل الشكر لكل من أسدى الي يداً في سبيل إعداد هذه الرسالة : أشكر لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ إبراهيم حمروش الشيخ الأسبق للجامع الأزهر ؛ إذ تفضل فأذن لي بالمرور بكليات الازهر فيسر مهمة الاستفتاء وقرب غايته ، بما نراه فيما يأتي من كتابه الكريم الى أصحاب الفضيلة شيوخ الكليات :

الجامع الأزهر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ شيخ كلية ....

أذنا لحضرة الاستاذ عبد الفتاح شلبي المدرس الأول للغة العربية بكلية فيكتوريا بالمرور بالكليات والقسم العام للأزهر لعمل استفتاء بشأن الإمالة في اللهجات الحديثة .

والمرجو تمكين حضرته من مأموريته وتسهيلها له .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

ربيع الأول سنة ١٣٧١ — شيخ الجامع الأزهر

ديسمبر سنة ١٩٥١ — (توقيع) **إبراهيم حمروش**

وقد كان لصاحب الفضيلة الشيخ محمد كامل حسن وكيل كلية اللغة العربية في تيسير الاستفتاء جهد كريم لا ينسى .

وأشكر لأستاذي الدكتور محمد مهدي علام على ما بذل من جهده ووقته وراحته مخلصاً في سبيل تبصيري بطريقة البحث ، وكيفية الإفادة من النص ، وإمدادي بمصادر مختلفة عربية وأجنبية . وتفضله بترجمة بعض ما يتصل بموضوعي منها .

كما أشكر للدكتور فؤاد حسنين ، فقد أرشدني ، الى كثير من المصادر العربية ، وترجم لي ما كتبه بالالمانية نولدكه وشاده متعلقاً بالامالة .

اما الاستاذ ابراهيم مصطفى فأثره وفضله وما رصد لي من وقته في الاشراف على إعداد الرسالة كل ذلك أجل من الشكر ، وقد أتاح لي إشرافه فرصة وقفت فيها على بعض ما عليه من فقه النحو وأسرار العربية .

وقد قرأ الدكتور ابراهيم أنيس بعض فصول الرسالة في صورتها الأولى وزودني بملاحظات وتوجيهات بصرتني بطرف من طريقة المحدثين في تناولهم لهذا الموضوع •

كما يسر لي فضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغي ـ مشكوراً ـ الاطلاع على المخطوطات المتعلقة بهذا الموضوع في بعض نقط البحث في المكتبة الأزهرية العامرة ، وكنت أرجع الى فضيلة الشيخ أحمد هانيء شيخ القراء بمسجد السيدة نفيسة بالقاهرة في استيضاح بعض ما يتعلق بمذاهب القراء •

وكان للدكتور محمد يوسف موسى (رحمه الله) فضل كبير ؛ إذ هيأ لي بدار الكتب المصرية مكاناً خاصاً للاطلاع والبحث ، جمعت فيه ما احتجت إليه من كتب مخطوطة ومطبوعة ، كان ذلك بالاتفاق مع الأستاذ توفيق الحكيم المدير العام لدار الكتب حينئذ ، فكُفيتُ مئونة المتاعب التي تكتنف الاستعارة وخاصة المخطوطات ، ووفَّرتُ كثيراً من الوقت الذي كان يضيع في مختلف الإجراءات •

وقد تفضل الاستاذ حسن الجافي المفتش الأول للغة العربية بوزارة التربية والتعليم فقرأ الرسالة قبل تقديمها للطبع ، وكان له جهد مشكور في تحرير العبارة •

وشكري العام لكل من شجع أو أعان •

والله المسئول أن ينفع بهذا المؤلف بقدر ما بذلت من سعي وما أخلصت من نية •

تحريرا في ١٢ من شعبان ١٣٧١ هـ
٦ من مايو ١٩٥٢ م

عبد الفتاح اسماعيل شلبي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الأول

معنى الفتح والإمالة

منذ أن أصبح لبعض الكلمات دلالتان : إحداهما **لغوية** ، والأخرى **اصطلاحية** ، درج الباحثون في مثل موضوعنا أن يتعرضوا **اولا** إلى معنى **اللفظ في اللغة** ، ثم إلى معناه **في الاصطلاح** ، والأصل أن يكون المعنى الاصطلاحي يتصل بالمعنى اللغوي ، ويمت اليه .

وسأسير في شرح كلمتي الفتح والإمالة على هذا النهج ؛ إذ كان ذلك مما يلقي عليهما ضوءا يكشف عن حقيقتهما ، ويجعل من السهل تصورهما .

فماذا يقصد اللغويون بكلمتي فتح وإمالة ؟

وماذا يقصد بهما في الاصطلاح ؟

جاء في القاموس المحيط : فتح كمنع ضد أغلق [1] .

والفتح حركة من الحركات تقابل الكسر والضم ، وقد استمدت الفتحة هذا المعنى من فتح الممر الهوائي عند الحلق والشفاه [2] .

وجاء في سراج القارىء المبتدىء لابن القاصح : الفتح : أي فتح الصوت لا الحرف [3] .

---

(١) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٣٩ مادة فتح .
(٢) ص ٣٤ The phonetics of arabic
(٣) سراج القارىء المبتدىء : ص ١١٦ .

وأما الميل فهو لغة الانحراف والعدول عـن الشيء أو الإقبال عليه ، وكذلك الميلان ، ومال الشيء يميل ميلا وممالا وتميالا وأمال الشيء فمال . والميل بالتحريك مـا كان فـي الخلقة والبنـاء ، تقـول « رجـل أميل العاتق في عنقه ميل » ، وتقول في الحائط ميل ، وكذلك السنام .

والأميل على أفعل الذي يميل على السرج في جانب، ولا يستوي عليه، وقال ابن السكيت «والأميل الذي لا يثبت على ظهور الخيل»، **إنما يميل عن السرج في جانب** ، قال جرير :

«لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا فهم ثقال على أكتافها ميل»

ومالت الشمس ميولا ضيفت للغروب ، أو زالت عن كبد السماء [1]. ويقول الإمام الجعبري « الإمالة لغة الانحناء » [2] .

أما الإمالة في الاصطلاح فلـم يعرفها سيبويه صراحة،**ولكنه ذكر في الكتاب عبارات استغلها القراء والنحاة من بعده في تعريف الإمالة** : فقد قال سيبويه ما نصه :

«وإنما أمالوها» يعني الألف في عابد وعالم...» « **للكسرة التي بعدها ارادوا أن يقربوها منها** » ، ثم قال بعد اسطر « **فالالف قد تشبه الياء فارادوا ان يقربوها منها ..** » [3]

ولمادة « **قرب** » في هذين النصين أهمية خاصة تظهر فيما بعد [4] .

وهناك مادة أخرى تظهر في النصوص الآتية ــ لها أهمية خاصة كذلك:

قال سيبويه : والياء أخف عليهم من الواو **فنحوا نحوها** » [5]

---

(١) لسان العرب وتاج اللغة ثم انظر القاموس « مادة ميل » .
(٢) شرح حرز الاماني للإمام الجعبري .
(٣) من الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٥٩ .
(٤) انظر ص ٣٥ .
(٥) من المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٦١ .

ثم قال:« ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا كان أول فعلت مكسورا **نحوا نحو الكسرة كما نحوا نحو الياء فيما كانت الفه في موضع الياء** » (١) .

ومن هذين النصين تظهر مادة « **نحا** » بأهميتها الخاصة . فلماذا كانت مادة « **قرب** » ، ومادة « **نحا** » مهمة هذه الأهمية ؟

ذلك لأن النحاة والقراء الذين جاءوا بعد سيبويه (١٨٢هـ) عرفوا الإمالة بواحد من التعاريف الآتية :

أ ـ ففي المقتضب للمبرد (٢٨٥ هـ) الإمالة : ان تنحو بالألف نحو الياء (٢).

ب ـ وفي الجمل الكبيرة للزجاجي (٣٣٩ هـ):الإمالة أن تميل الألف نحو الياء ، والفتحة نحو الكسرة (٣) .

جـ ـ وفي التبصرة لمكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) :

معنى الإمالة هو أن **تقرب الالف نحو الياء** .. ثم قال بعد أن ذكر أسباب الامالة : وإذا قربت الألف إلى الياء في الإمالة لم يكن ذلك **حتى تقرب الفتحة التي قبلها نحو الكسرة** (٤) .

د ـ وفي الكشف لمكي أيضا (٤٣٧هـ) « واعلم أن معنى الإمالة هو **تقريب الألف نحو الياء** ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة (٥) .

هـ ـ ونلحظ في كتاب الموضح للداني (٤٤٤هـ) مادتي « النحو والتقريب » في النص الآتي :

---

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦١ .
(٢) المقتضب للمبرد مخطوط بدار الكتب برقم١٥٢٥ ج٣ القسم الاول ص٣٤ .
(٣) الجمل الكبيرة للزجاجي الصيمري (٣٣٩هـ) مخطوط بدار الكتب برقم١٩ .
(٤) التبصرة لمكي بن ابي طالب مخطوط بدار الكتب برقم ٢٣٩٩٣٦ ب ص٩٦ .
(٥) الكشف عن علل القراءات وحججها مصور بدار الكتب برقم ١٩٩٨٢ ب ص ٨٠ .

من اختار الامالة .. نحا بالفتحة نحو الكسرة فمالت الألف التي بعدها نحو الياء ..

فكذلك إذا أريد تقريبها من الياء بالامالة لزم أن تقرب الفتحة التي قبلها من الكسرة [1] .

وقال الداني في موضع آخر : والإمالة الشديدة حقها أن تقرب الفتحة من الكسرة والألف الساكنة من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه [2] .

وقد نقل هذا الكلام الأخير أبو شامة (٦٦٥هـ) في إبراز المعاني إذ يقول « فالإمالة الشديدة أن تقرب الفتحة من الكسرة والالف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه » [3] .

و ــ والزمخشري من النحاة (٥٣٨هـ) في المفصل يعرف الإمالة فيقول: هي أن تنحو بالالف نحو الكسرة [4] .

ز ــ وابن الانباري (٥٧٧هـ) في أسرار العربية يعرف الإمالة فيقول: الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء [5] .

ح ــ وابن يعيش (٦٤٣ هـ) في شرحه المفصل يربط بين الإمالة لغة واصطلاحا فيقول: « اعلم أن الأمالة مصدر أملته إمالة، والميل الانحراف عن القصد .. ومنه مال الحاكم إذا عدل عن الاستواء . وكذلك الإمالة في

---

(١) كتاب الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة ورقة ٢٤ من (مخطوط بمكتبة الازهر رقم ١٠٣) .
(٢) الموضح ورقة ٢٤ .
(٣) إبراز المعاني من حرز الأماني ص ١٥٢ طبعة مصطفى البابي الحلبي شعبان سنة ١٣٤٩هـ .
(٤) شرح المفصل لابن يعيش إدارة الطباعة المنيرية : ج ٩ ص ٥٢ .
(٥) اسرار العربية المطبوع بمدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٨٦ م الموافقة ١٣٠٣ هـ ص ١٦٠ .

العربية عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج **الألف المفخمة** وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء، تكون شدة الإمالة ، وبحسب بعده تكون خفتها » [1] .

ط ــ وابن الحاجب (٦٤٤هـ) في الشافية يقول: « **الإمالة ان تنحي بالفتحة نحو الكسرة** [2] .

ي ــ وقد ذكر هذا التعريف السيد الجرجاني في كتاب التعريفات [3] .

ك ــ وأبو حيان (٧٤٥ هـ) « الإمالة أن **تنحى** بالالف نحو الياء فيلزم ان **تنحى** بالفتحة قبلها نحو الكسرة [4] .

ل ــ ويتفق ابن الجزري [5] مع ابن عقيل [6] في التعريف الآتي :
الإمالة عبارة أن تنحي بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء .

م ــ ولا يختلف السيوطي [7] في الإتقان عن ابن الجزري في تعريف الإمالة .

ن ــ ولكنه في جمع الجوامع يقول «الإمالة أن تنحو جوازا بالالف نحو الياء [8] » .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش : ج ٩ ص٥٤ ولسنا ندري لم قيد الألف بالتفخيم في قوله فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء .
(٢) الشافية لابن الحاجب ج ٣ ص ٤ .
(٣) ص ١٦ المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٦ .
(٤) ارتشاف الضرب لأبي حيان : ص ٢٠٤ ــ مخطوط بدار الكتب برقم ٨٢٨ نحو .
(٥) النشر في القراءات العشر مطبعة مصطفى محمد : ج ٢ ص ٣٠ .
(٦) شرح ابن عقيل لالفية بن مالك مطبعة مصطفى محمد : ج ٢ ص ٨٨ .
(٧) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي المطبعة الكستلية رمضان ١٢٧٩ هـ : ج ١ ص ١١٤ .
(٨) جمع الجوامع مطبعة السعادة سنة ١٩٢٧ هـ : ج ٢ ص ٢٠٠ .

ويلاحظ هنا أن السيوطي أدخل الحكم في التعريف كعادته في الإيجاز ثم يقول في الهمع: «قاربوا بين الالف والياء بأن نحوا بالالف نحو الياء، ولا يمكن أن ينحى بها نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة [1] » .

وهنا يعرض للباحث السؤال الآتي : اذا كان سيبويه قد ذكر في معنى الإمالة مادة « قرب » ، ومادة « نحا » ، فلماذا يغلب على القراء المتقدمين [2] اختيار مادة « قرب » ويغلب على « النحاة » استعمال مادة « نحا » ؟

عندي ان استعمال القراء الأولين مادة « قرب » استعمال يتصل بما يلتزمونه من الدقة في الأداء ، ومـا يرتضونه من قدر فـي الإمالة ، فهم يتحدثون في دقة عن درجات الإمالة ، ويفسر تلك الدقة الامام الجعبري إذ يقول :

« الإمالة قسمان ــ ما ينحى به الى حد لو زاد صار ياء ويسمى إمالة محضة(وكبرى) وهي المفهومة عند الإطلاق ، وما ينحى به إلى لفظ بين الفتح المحقق والمحضة ويسمى (صغرى) وبين بين ، وبين اللفظين ، أي بين الفتح والمحضة وزاد أبو العلاء قسمين .

ما هو أقرب الى الفتح ، والى الكبرى ، والتحقيق ما عليه الجمهور، لعدم تحقق هذين القسمين [3] .

والقراء يرتضون من الإمالة في اشد حالاتها الا تكـون قلبا خالصا ، ولا اشباعا مبالغا فيه [4] .

---

(١) همع الهوامع مطبعة السعادة : ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٢) نقول القراء المتقدمين لأنهم هم الذين ظهر عندهم ذلك الاستعمال بصورة واضحة ، اما متاخرو النحاة والقراء فقد اقترب كل من كل في قواعده وتقارض كل فريق الأخذ عن الآخر كما سيظهر ذلك فيما بعد .
(٣) شرح حرز الاماني للإمام الجعبري : ورقة ١٢٠ .
(٤) إبراز المعاني لأبي شامة : ص ١٥٢ .

وتلك المعاني تغطيهـا مـادة « قرب » **من غير استعمال للقلب الخالص** الذي يستكرهونه •

اما مادة نحا فليست نصا في التقريب الذي يحرص عليه القراء ؛ جاء في القاموس : النحو : **الطريق والجهة والقصد ،** ونحا مال على أحـد شقيه ، وعلى هذا قد يفهم من قول النحاة « أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالالف نحو الياء [1] أن تتجه جهـة الكسرة ، أو أن تقصد الكسرة ، أو أن تميل جهة الكسرة ، وكل ذلك محتمل قلب الفتحة كسرة والألف ياء ذلك القلب الخالص الذي يكرهه القراء ، ويستجيزه النحاة •

نعم ، جاءت مادة « نحا » في مؤلفات بعض القراء المتقدمين ، ولكنا نجدهم يشترطون بجانبها شروطاً تعين مـا يرتضونه من قدر فـي الأمالة ؛ كالإمام الجعبري حيث يقول في عبارته السابقة إن الإمالة قسمان : ما ينحى به إلى حد لو زاد صار ياء ، ونراه هنا لم يقل ما ينحي به الى الياء كما عبر النحاة ، وإنما وضع حدودا للامالة الى الياء إمالة محضة بحيث لا تصل الى القلب الخالص •

ومن هنا نجد رجلا كأبي علي الفارسي كان مـن النحاة ، وكان من القراء [2] يتردد بين هذين المذهبين فيقول :

وأما قصده ــ يريد ورشا ــ في الإمالة بها نحو الياء وتوسطه في ذلك فلانه كره أن يبالغ في الانتحاء نحو الياء فيصير كأنه عائد الى الياء التي كرهوها حتـى أبدلوا منها الالف ــ وهكـذا ينبغي أن تكون الالف في الإمالة [3] وعلى الرغم من أن التشبيه في كأنه يعطي معنى التقريب الى الياء من غير اشباع مبالغ فيه ــ فان النص علـى الكراهية يحتمل ذلـك القلب الخالص الى الياء •

(١) القاموس المحيط « مادة نحا » .
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء مطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ: جـ١ ص٢٠٧ .
(٣) الحجة لابي علي الفارسي : جـ ١ ص ٣٥٣ .

وهكذا تـرى أبا علي الفارسي يعلل تعليل النحـاة ، ويحكم حكم القراء .

حكم حكم القراء متفقا معهم في الأداء إذ يقول :

« وهكذا ينبغي أن تكون الألف فـي الإمالة » يعني مـن غير قلب خالص إلى الكسر أو الياء ولا إشباع مبالغ فيه [1] .

وانظر قول الداني المقرىء (٤٤٤هـ) في رده على أبي عبيد القاسم ابن سلام (٢٢٢هـ) في معرض قول أبي عبيد بأصالة الفتح ، واحتجاج أبي عبيد على ذلك بقوله « ولو نظر في مثل هذا ــ يعني فيما أميل لانقلاب اللغة من ياء الى الأصل للزم من رد الياء الى الياء أن يرد الواو الى الواو ، وهم إنما يرجعون الواو الى الالف فيقولون « عفا ودنا » بالالف ، لأنهما من دنوت وعفوت [2] .

قال الداني « وأما ما حكاه من أنه لو نظر في مثل هذا الى الأصل للَزم من رد الياء الى الياء ان يرد الواو الى الواو ، وهم إنما يرجعون الواو الى الالف ، فانه لا يلزم ايضا ، وذلك لأنه من أمال مـا كان مـن ذوات الياء يرد الياء الى الياء وانما يقرب الحرف الممال من الياء بالإمالة ، وليس المقرب من الشيء هو هو ، ولا مردود الى جملته » [3] .

وهكذا يبدو واضحا مذهب القراء في كلام الداني من تحرجهم لذلك القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه .

وهذا معنى قول الداني « ان الامالة الحرف بين حرفين : [4] .

---

(١) انظر كلامه في الامالة المحضة عند حمزه ج ، ٣٧٣ .
(٢) الموضح ورقة ٢٤ .
(٣) الموضح ورقة ٢٥ .
(٤) الموضح ورقة ٢٥ .

وقد نقل كلامه ابن الجزري في كتابه النشر[1] .

ويسلك Wright في كتابه Arabic Grammar

مسلك النحاة لا القراء ـ لأنه لا يتجه اتجاههم في حرصهم على درجات الإمالة ودقتهم في أدائها فيقول :

« الفتحة المتلوة بألف (سا) تميل في العصور الاخيرة كما تميل في بعض المناطق من آ الى أي بمثل ما تميل الفتحة من ـَ الى ـِ ويسمى هذا التعبير إمالة[2] .

(١) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٥٢ .
(٢) W'wright, Arbic Grammar· Vol· I· P· 10

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثاني

درجات الفتح والإمالة وأنواعها

أورد الداني في كتابه الموضح نوعين للفتح إذ يقول :

« والفتح على ضربين فتح شديد ، وفتح متوسط ، والفتح الشديد هو نهاية فتح القارىء لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف ويسمى أيضاً التفخيم ، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه ، وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان ومن قرب منهم ؛ لأن طباعهم في العجمة جرت عليه واستعملوه كذلك في اللغة العربية ، وهو في القراءة مكروه ومعيب . والفتح المتوسط هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة . وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء كابن كثير وعاصم وغيرهما [1] .

وأما درجات الإمالة فقد جاء في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ما نصه :

قال أحمد بن موسى [2] : كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعدها

---

(١) الموضح للداني ورقة ٢٤ وانظر ص ١٥١ وما بعدها من إبراز المعاني لأبي شامة ؛ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) احمد بن موسى هو الحافظ الأستاذ ابو بكر بن مجاهد البغدادي شيخ الصنعة واول من سبع السبعة (٢٤٥ ـ ٣٢٤ هـ) قرأ عليه وروى عنه الحروف ابو علي الفارسي . انظر طبقات القراء لابن الجزري جـ١ ص١٣٩ وما بعدها .

راء مكسورة مثل من النار ، ومن قرار ، والأبرار ، والأشرار ، ودار البوار، والأنصار ، وقنطار ، ودينار ، وديارهم ، وعلى آثارهم ، بل كان في ذلك كله بين الفتح والكسر ، وهو إلى الفتح أقرب .

وكان ابن كثير وابن عامر وعاصم يفتحون ذلك كله .

قال أبو علي : « ... وقول أحمد في حكايته عن نافع لا يميل الالف التي تأتي بعدها راء مكسورة يريد ان شاء الله لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة فتميل الألف نحو الياء كثيرا ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخف لذلك إجناح الالف وإضجاعها لأن أحمد قال بعد : كان في ذلك كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح أقرب ، وإذا زال عن الفتح الخالص ، كان بعض الامالة أزيد من بعض » [1] .

وقد عرض لنا الإمام الجعبري (٧٢٢ هـ) في نصه السابق الأنواع الآتية للإمالة :

(ا) شديدة ــ قريبة من الكسر ، وهي المحضة والكبرى .
(ب) بين بين (صغرى) .

ونقل عن أبي العلاء [2] زيادة قسمين :

(ج) ما هو أقرب الى الفتح .
(د) والى الكبرى .

ومن تقسيم أبي العلاء نراه يجعل التقليل تقليلين ، والمحضة محضتين. ولكن الذي عليه العمل ــ كما قال الجعبري ــ إمالتان فقط هما :

(ا) الكبرى .

(١) الحجه لابي علي الفارسي ج ١ ص ١٧٣ .
(٢) هو ابو العلاء الهمذاني قال عنه ابن الجزري « انه في المشارقة كأبي عمرو الداني في المغاربة بل هذا اوسع منه بكثير توفي (٥٦٩ هـ) رحمه الله ، انظر ج ١ ص ٢٠٤ وما بعدها من طبقات القراء » .

(ب) الصغرى •

وربما كان نص أبي علي الفارسي يرجح رأي أبي العلاء حيث يروي عن شيخه ابن مجاهد أنّ نافعا كـان لا يميل الألف التـي تأتي بعدها راء مكسورة ، ويفسر ذلك بأنه لم يكن يميل ذلك إمالة شديدة ، وإنما كان في ذلك كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح أقرب، وهو اعتراف بالحالة الثالثة من الاحوال السابقة التي استبعدها الجعبري بقوله : والتحقيق مـا عليـه الجمهور لعدم تحقق ما هو اقرب الى الفتح وما هو أقرب الى الكبرى •

ولكن أبا علي الفارسي في موضع آخر يرجح رأي الإمام الجعبري حيث يقول عن ورش ــ وهو تلميذ نافع وراو عنه :

واما قصده ــ يريد ورشا ــ في الإمالة بها نحو الياء وتوسطه فـي ذلك فلأنه كره أن يبالغ في الانتحاء نحو الياء فيصير كأنه عائد الى الياء التي كرهوها حتى أبدلوا منها الالف ــ وهكذا ينبغـي أن تكـون الألف في الإمالة (١) •

فالظاهر من نص أبي على الفارسي الأخير ان الذي عليه العمل عند نافع وراويته الإمالة المتوسطة الصغرى أو بين بين لا تلك التي هي أقرب الى الياء وهو الذي عليه العمل عند الجمهور كما نص الإمام الجعبري •

ويشير ابن جني في كتابه « سر صناعة الإعراب » عنـد كلامه على الحركات ــ الى ان هناك حركات محضة أصلية هـي « الفتحة والكسرة والضمة » وإشباعها يحدث الالف والياء والواو •

كما ان هناك حركات فرعية هي :

(ا) الفتحة مشوبة بالكسرة في عالم وعابد •

(ب) الفتحة مشوبة بالضمة نحو قام وصام ، والصلاة والزكاة •

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ج ١ ص ٣٥٣ •

(ج) الكسرة مشوبة بضمة نحو قيل وغيض .

(د) الضمة مشوبة بكسرة في نحو مذعور وابن بور .

وإذن قد تجمع لدينا من نص الجعبري، وكلام ابن جني حركات متنوعة متفرعة عن الحركات الأصلية التي هي الفتحة والكسرة والضمة ، ولو أنا سلكنا مسلك المحدثين في بيان هذه الحركات في عقد حركي لكان كالآتي :

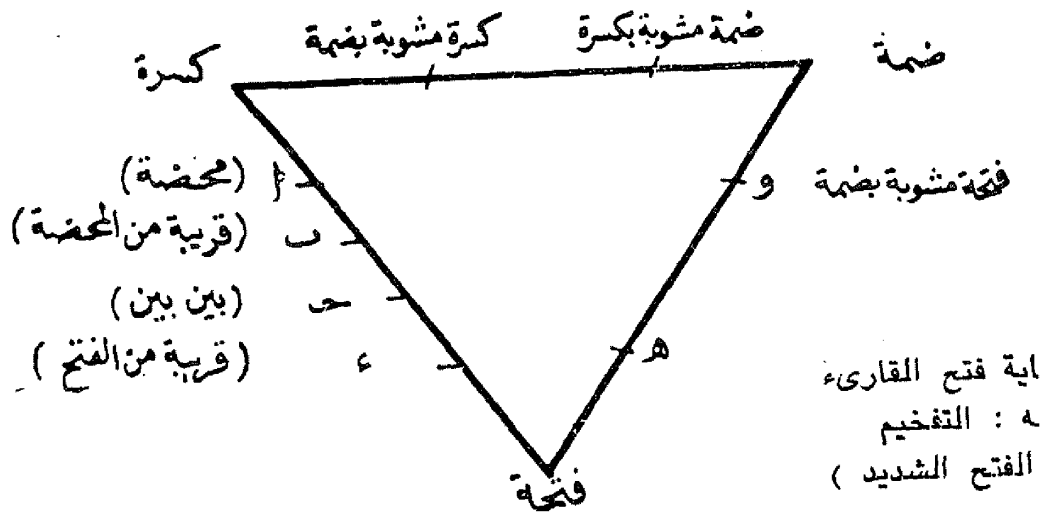

ما كان بين الفتح والضم (ا) التفخيم (ب) فتحة مشوبة بضمة .

ما كان بين الضم والكسر (ا) ضمة مشوبة بكسرة (ب) كسرة مشوبة بضمة .

ما كان بين الكسرة والفتح (ا) محضة (ب) قريبة من المحضة (ج) بين بين (د) قريبة من الفتح .

فماذا أثر عن القراء من هذه الأنواع جميعاً ؟.

لقد أثر عنهم نوعا الأمالة (ا) المحضة . (ب) **وبين اللفظين** .

كما أثر عنهم (ج) التفخيم الذي فيه يخلص نطق الفتحة أو الألف من غير مبالغة في لفظها تصيرها كالضمة أو الواو • كما يفعل الأعاجم •

قال ابن الجزري: « أصل الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد وما التحق بها هو اطلاق التفخيمات والتغليظات على طريق ألفتها الطباعات (كذا !!) تلقيت من العجم ، واعتادها النبط ، واكتسبها بعض العرب حيث لم يقفوا على الصواب ممن يرجع إلى علمه، ويوثق بفضله وفهمه، وإذا انتهى الحال الى هذا فلا بد من قانون صحيح يرجع اليه، وميزان مستقيم يعول عليه •

ثم قال « وأما الالف فالصحيح انها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها فانها تتبعه ترقيقا وتفخيما ، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فانما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها الى أن يصيروها كالواو ، أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه [1]

ولعل هذا كان قصد ابن الجزري إذ يقول في المقدمة الجزرية :

« وحاذراً تفخيم لفظ الألف » [2] •

وليس يعني بالتحذير من تفخيمها سوى التحذير من المبالغة في لفظها مبالغة تصير واوا •

قال في وضع آخر من النشر : والميم حرف أغن ، وتظهر غنته من الخيشوم إذا كان مدغما أو مخففا فان أتى محركا فليحذر من تفخيمه ولا سيما إذا أتى بعده حرف مفخم نحو مخمصة، مرض، مريم وما الله بغافل فان أتى بعده ألف كان التحرز من تفخيمه آكد، فكثيرا مايجري عليه الألسنة خصوصاً الأعاجم نحو مالك ، و « بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » [3] •

---

(١) النشر لابن الجزري : ج ١ ص ٢١٥ •
(٢) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة ـ المكتبة الازهرية : ص ٨ •
(٣) النشر ج ١ ص ٢٢٢ •

أحدهما ــ ذلك « الفتح الشديد » الذي هو نهاية فتح القارىء لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده الف ويسمى ايضا التفخيم، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه [1] .

والآخر ــ عدم التفرقة بين التقليل والإمالة المحضة [2] .

كما نرى أن القراء حفظوا لنا :

(ا) نطق الفتحة صحيحاً خاليا من التفخيم .

(ب) الإمالتين : التقليل والمحضة . والقراء والنحاة جميعا أضاعوا إحدى درجتي التقليل وإحدى درجتي المحضة اللتين أوردهما الجعبري عن أبي العلاء [3] .

هذا وفي الجدول الآتي بيان لتطور أسماء كل من درجات الفتح والإمالة عند النحاة والقراء . وقد اخترت من كل قرن مؤلفا ــ على الأقل ــ من النحاة وآخر من القراء ، منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر ؛ لتكون صورة التطور أقرب الى الدقة ، وأشد عونا في الحكم على أي الطائفتين كان أقدر على ضبط درجات الإمالة والدقة في الأداء ، وليس القصد من ذلك بيان هذا التطور على وجه الاستقصاء ، فذلك لا يعين عليه إلا التعرف على الكتب التي ألفت في النحو والقراءات جميعا ، وذلك ما يحتمه الاستقراء الصحيح ، ولكننا أردنا أن نعطي صورة بالقدر الذي أعاننا عليه الجهد منذ سيبويه في القرن الثاني (١٨٣هـ) ، إلى السيوطي (٩١١هـ) من القراء [4] والأشموني (٩٢٩ هـ) من النحاة في القرن العاشر .

---

(١) الموضح ورقة ٢٤ (ص ٥) .
(٢) انظر نص الداني السابق ابراز المعاني و ص ١٦٣ .
(٣) انظر نص الجعبري السابق .
(٤) كان أول من جمع القراءات السبع ابن مجاهد المتوفي في القرن الرابع الهجري (٣٢٤ هـ) فليس بالمستطاع العثور على كتب في هذه القراءات السبع قبل هذا التاريخ .

المؤلف		القرن الذي توفي فيه	الأسماء التي يستعملها لعدم الامالة	الأسماء التي يستعملها للامالة
انحوي هو ؟	اقارىء هو؟			
سيبويه في الكتاب (نحوي)		(١٨٣ هـ) القرن الثاني	الفتح (١) النصب (٢) التفخيم (٣)	الامالة (٤) الكسر (٥) الترخيم (٦) الروم (٧)
المبرد في المقتضب (نحوي)		(٢٨٥ هـ) القرن الثالث	النصب (٨) ترك الامالة(٩) الفتح (١٠)	الامالة (١١)
ابن خالويه في الحجة (نحوي)		(٣٧٠ هـ)	التفخيم (١٢)	الامالة (١٣)

(١) جـ ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٦ .
(٢) جـ ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٦٦٦ و ٢٦٨ و ٢٧١ .
(٣) شرح الشافية جـ ٣ ص ٢٥٥ .
(٤) جـ ٢ ص ٢٥٩ وما بعدها .
(٥) جـ ٢ ص ٢٦٣ .
(٦) شرح الشافية جـ ٣ ص ٢٦٦ .
(٧) الارتشاف ص ٢٢٣ .
(٨) ص ٣٤ و ص ٣٥ وص ٤٠ وص ٤١ وص ٤٥ من الجزء الثالث .
(٩) جـ ٣ ص ٣٩ .
(١٠) جـ ٢ ص ٤٢ .
(١١) جـ ٣ ص ٣٥ و ص ٣٧ وص ٣٨ .
(١٢) انظر ورقات ٣ و٥ و ٦ و ٧ من كتاب الحجة مخطوط برقم ١٩٥٢٣ ب دار الكتب المصرية .
(١٣) انظر الورقات السابقة وغيرها .

المؤلف انحوي هو؟ أقارىء هو؟	القرن الذي توفي فيه	الأسماء التي يستعملها لعدم الإمالة	الأسماء التي يستعملها للامالة
ابو علي الفارسي في الحجة (نحوي)	(٣٧٧ هـ) القرن الرابع	الفتح (١) النصب (٢) التفخيم (٣)	الامالة ـ الكسر (٤) الاجناح (٥) البطح (٦) الاضجاع (٧) امالة شديدة (٨) اشباع الامالة (٩) لا يفتح ولا يكسر (١٠) بين الفتح والكسر (١١) بين الكسر والتفخيم (١٢) بين الامالة والتفخيم (١٣)
مكي بن ابي طالب في التبصرة والكشف قارىء	(٤٣٧ هـ) القرن الخامس	الفتح (١٣)	الامالة بين اللفظين (١٤) صول بين صوتين (١٥)

(١) جـ ٢ ص ٥٤٨ .
(٢) جـ ١ ص ٣٥٤ .
(٣) جـ ١ ص ٣٦١ و جـ ٢ ص ١٥٣ .
(٤) الا جـ ٢ ص ١٤٦ .
(٥) الا جـ ١ ص ٣٧٣ .
(٦) جـ ٧ ص ٣٨٢ .
(٧) جـ ١ ص ٢٨٢ .
(٨) ص ٣٧٢ جـ ١ .
(٩) جـ ١ ص ٣٧٣ .
(١٠) جـ ١ ص ٣٤٨ .
(١١) جـ ١ ص ٣٧٦ .
(١٢) جـ ١ ص ٣٨١ .
(١٣) ٩٦ وما بعدها من التبصرة ص ٨٠ وما بعدها .
(١٤) ص ٩٦ وما بعدها في التبصرة بين اللفظين اي بين الفتح والامالة ص ٨٧ من الكشف .
(١٥) ص ٨٠ وما بعدها من الكشف و ص ١٦٤ ابراز المعاني لابي شامة .

(د) كما أثر عن القراء أيضا الكسرة مشوبة بالضمة في قيل وغيض وجيء وحيل وسيق وسيء وسيئت . فقد قرأها الكسائي ورويس بإشمام الضم كسر اوائلهن ووافقهم ابن ذكوان في (حيل وسيق وسيء وسيئت) ووافقهم المدنيان في (سيء وسيئت فقط) وقرأ الباقون باخلاص الكسر[1].

ويستشهد النحاة في كتبهم بقول الشاعر «ليت شبابا بوع فاشتريت».

وإذ كان من طبع الأعاجم التفخيم ، فانهم لا يجنحون الى إمالة ولا ترخيم ولعلهم بعض الذين حكي عنهم ابو شامه في إبراز المعاني من أنهم ينطقون بنوعي الأمالة ، الخفيفة والشديدة من غير تفرقة بينهما من حيث حقيقتهما وجوهر النطق بهما، بل كانوا يؤدونهما برفع الصوت في الشديدة، وخفضه في الخفيفة ، قال أبو شامة ما نصه :

وصفة إمالة بين بين أن يكون بين لفظي الفتح والإمالة المحضة كما تقول في همزة بين بين أنها بين لفظي الهمز وحرف المد، فلا هي همزة ولا هي حرف مد ، فكذا هنا لا هي فتح ولا إمالة ، وأكثر الناس ممن سمعنا قراءتهم أو بلغنا عنهم يلفظون بها على لفظة الأمالة المحضة ، ويجعلون الفرق بين المحضة وبين بين رفع الصوت بالمحضة وخفضه بين بين ، وهذا خطأ ظاهر فلا أثر لرفع الصوت وخفضه في ذلك ما دامت الحقيقة واحدة ، وإنما الغرض تمييز حقيقة المحضة من حقيقة بين بين وهو ما ذكرناه » [2] .

ثم نراه يضع مقياسا تقاس عليه إمالة بين بين إذ يقول « واسهل ما يظهر فيه إمالة بين بين الراء ، فهو في نحو ذكرى أشد بيانا فافهم ذلك وابن عليه » [3] .

ومن هنا نرى أن الأعاجم ومن لف لفهم من النبط وبعض العرب كان لهم في أداء الفتح والإمالة أثران :

(١) النشر ج ٢ ص ٢٠٨ .
(٢) ابراز المعاني ص ١٦٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١٦٤ .

تابع تطور الفاظ الفتح والامالة عند النحاة والقراء

المؤلف		القرن الذي توفي فيه	الاسماء التي يستعملها لعدم الامالة	الاسماء التي يستعملها للامالة
انحوي هو	أقارىء هو			
	الداني في الموضح (قارىء)	(٤٤ هـ) القرن الخامس	الفتح (١) شديدالتفخيم لا يستعمل ، معيب عند القراء . متوسط وهو الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء كابن كثير وعاصم وغيرهما والتفخيم فيما يقابل الفح المتوسط (٢)	الامالة : (٣) أ ـ شديدة ب ـ ومتوسطة وهما مستعملتان الكسر، الاشباع، البطح، الاضجاع } لنوعي الامالة الشديدة(٤) والمتوسطة الامالة المتوسطة(٥) بين بين (٦) الامالة اليسيرة (٧) بين الفتح والامالة(٨) بين التفخيم والكسر(٩) بين الكسر والفتح(١٠) لامفتوح ولا مكسور(١١) الاشارة الى الكسر(١٢)

(١) ورقة ٢٤ ص ٥ .
(٢) ص ١٥٨ وما بعدها .
(٣) ورقة ٢٤ ص ٥ .
(٤) ص ٦ ورقة ٢٤ .
(٥) ورقة ٥٣ ص ٢١٦ .
(٦) ورقة ٥٩ ص ٢٦١ .
(٧) ص ٢١١ و٢٤٢ ورقة ٥٦
(٨) ص ٣٨ ورقة ٢٨ .
(٩) ص ٣٨ ورقة ٢٨ .
(١٠) ص ١٦٢ ورقة ٤٦ .
(١١) ص ١٦٢ ورقة ٤٦ .
(١٢) ص ١٦٢ ورقة ٤٦ .

تابع تطور الفاظ الفتح والامالة عند النحاة والقراء

المؤلف		القرن الذي توفي فيه	الاسماء التي يستعملها لعدم الامالة	الأسماء التي يستعملها للامالة
انحوي هو	اقارىء هو			
	الرعيني في الكافي	٤٧٦ هـ القرن الخامس	الفتح	الامالة بين اللفظين
الزمخشري في المفصل		٥٣٨ هـ القرن السادس	النصب نقلا عن سيبويه(١) التفخيم(٢)	الامالة
	سبط الخياط البغدادي في المبهج	٥٤١ هـ القرن السادس	التفخيم(٣)	الامالة امالة لطيفة(٤) بين بين(٥)
	الشاطبي في حرز الاماني	٥٩٠ هـ القرن السادس	الفتح ـ التفخيم(٦)	الامالة فيما يقابل الشديدة عند الداني بين اللفظين ـ الترقيق(٧).

(١) ص ٦١ .
(٢) ص ٦١ .
(٣) ص ٨٠ وص ٨٩ من النسخة المصورة فيما يقابل الفتح المتوسط عند الداني ص ١٢٩ من المنهج .
(٤) ص ٨٠ .
(٥) ص ٨٨ .
(٦) ص ١٨٢ ابراز المعاني .
(٧) ص ١٨٢ ابراز المعاني .

تابع تطور الالفاظ الفتح والإمالة عند النحاة والقراء

المؤلف		القرن الذي توفي في	الاسماء التي يستعملها لعدم الامالة	الاسماء التي يستعملها للامالة
انحوي هو	اقارىء هو			
ابن يعيش في شرح المفصل		٦٤٣ هـ القرن السابع	التفخيم الفتح ـ النصب(١)	الامالة { خفيفة . شديدة . يسرون الى الكسر . الكسر بين الكسر المفرط والفتح المفرط(٢)
ابن الحاجب		٦٤٤ هـ القرن السابع	الفتح	الامالة (٣)
	ابو شامة في ابراز المعاني	٦٦٥ هـ القرن السابع	نقل عن الداني التقسيم الآتي: الفتح { شديد التفخيم / متوسط } الالف ـ التفخيم بمعنى الفتح المتوسط	الامالة { متوسطة ـ بين بين ـ شديدة ـ الإضجاع ومحضة(٤) } الياء ـ بين الفتح والكسر بين بين (٥)

(١) جـ ٩ ص ٥٤ وما بعدها .
(٢) جـ ٩ ص ٥٤ .
(٣) شرح الشافية جـ ٢ ص ٢٠ .
(٤) ابراز المعاني ص ١٦٨ .
(٥) ص ١٦٤ .

تابع تطور الفاظ الفتح والامالة عند النحاة والقراء

المؤلف		القرن الذي توفي فيه	الاسماء التي يستعملها لعدم الامالة	الاسماء التي يستعملها للامالة
انحوي هو	اقارىء هو			
الرضى في شرح الشافية		٦٨٨هـ القرن السابع		ا ـ يطلق امالة على الشديدة التي بولغ في امالة الفتحةنحو الكسر. ب ـ ما لم يبالغ فيه يسمى بين اللفظين، وترقيقا، وخص الترقيق بالفتحة التي قبل الالف فقط (١)
	الجعبري في شرح حرز الاماني	٧٣٢هـ القرن الثامن	نقل حديثا عن الاعشى عن ابراهيم ـ الالف ينقسم الى مستقيم وهو الفتح وهو مرقق على كل حال، وتفخيمه لحن (٢) .	والى معوج ويسمى: امالةواضجاعا وليا وبطحا وهو قسمان : ١)محضةوكبرى(٢) ٢)صغرى وبين بين وبين اللفظين .
ابو حيان في الارتشاف		٧٤٥هـ القرن الثامن	النصب (٣) والفتح ـ لم يمل	الامالة امال

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ٤ .
(٢) شرح حرز الاماني ورقة ١٢٠ ـ مخطوط بدار الكتب برقم ٦١٢ قراءات .
(٣) ص ٢٠٥ وما بعدها .

مُلاحَظاتٌ على (١) تَعْبيراتِهِم عَنِ الفَتْحِ

١ ــ يقصر الداني وتابعه أبــو شامة التفخيم على تخليص الألف من مشابهة الياء على حين ان ابن خالويه جعل التفخيم لتخليص الفتحة من شبه الكسرة ، والألف من مشابهة الياء ، ويطرد ذلك فــي كتابه الحجة اطراداً ظاهراً فهو يستعمله بجانب الألف .

٢ ــ نجد التفخيم يتردد عند النحاة مرادفاً للفتح ، كمــا نجــد هذه الظاهرة عند النحاة الذين اشتغلوا بالقراءات أيضا كابن خالويه وأبي علي الفارسي .

٣ ــ الترقيق عند الجعبري وابن الجزري وهما قارئان نوع من الفتح المتوسط وهو يقابل التفخيم المعيب عند الداني وأبي شامة والشاطبي مــن القراء وعند الرضى من النحاة يقابل الامالة المتوسطة (بين بين) ، ويقصره الرضى على إمالة الفتحة التي قبل الألف لا غير على حد تعبيره هو . وهذا على ما فيه من غرابة عند كل من الرضى النحوي ، والجعبري وابن الجزري القارئين فلكل وجهة تتصل بمذهبه نحوياً أو قارئاً ؛ فقــد سبق ان النحاة يستعملون التفخيم فيما يرادف الفتح ، وعلــى هــذا يكون ضد التفخيم الترقيق ، أما القراء فيحرصون على بيــان درجات الفتح ، فالشديد هــو التفخيم ، والمتوسط ترقيق .

٤ ــ اصطلاح الفتح الشديد جاء متأخرا بعد ان سموا الفتحة الخالصة تفخيما ، وبعد ان سمعوا الأعاجم ينطقونها فتحة شديدة مفخمة ، فوضعوا

الاصطلاحين : الفتـــح الشديد للنطق الأعجمي المفخـم ، والفتح المتوسط الخالص من التفخيم •

٥ ــ وقد قصر الرضى الترقيق على الألف فقط على حد تعبير المحدثين مع انه كما يكون في الألف يكون أيضاً في ذوات الراء مما لم يقع فيه ألف، فهو كما يكون في نحو ميراث وفقيرا والمغيرات والمدبرات ، يكون في غير والخير ، ولا ضير ، والآخرة ، وباسرة •

٦ ــ الترقيق عند القراء نوع من الإمالة المتوسطة (بين اللفظين) ــ والفتح المتوسط •

(ب) ومن الملاحظات على تعبيرهم عن الامالة :

ان الكسر والبطح والاضجاع والاشباع والألف المعوج واللتي كلها تطلق علـى الإمالة بنوعيها (الشديدة والخفيفة) حتى جـاء **ابن الجزري** فجعل المحض والاضجاع والبطـح والكسر مـن اسماء الإمالة الشديدة ، وجعل بـين اللفظين والتلطيف والتقليل وبين وبين للامالة الخفيفة ، وتابعه السيوطي في ذلك •

(ج) ملاحظة هامة :

مما سبق تبين أن القراء هم الذين يتكلمون فـي درجـات الإمالة • ويضعون لنوعيها الأسماء المختلفة ، أما النحاة فلا يتعرضون لذلك إلا مـا كان من ابن يعيش في شرحه المفصل ، ولعله قد نقل عـن القراء واحتذى حذوهم •

قـال الداني : « والقـراء قـد يعبرون عـن هذين الضربين مـن الممال بالكسر مجازاً وإشباعا ••• ويعبرون ايضا عنهما بالبطح والإضجاع » ثم قال « وذلك كله حسن مستعمل بدليل تسمية العرب الشيء باسم ما هو

منه وما قاربه وجاوره ، وكان بسبب منه ، وتعلق به ضرباً من التعلق [1] » .

ثم جاء ابن الجزري وفصل على النحو الذي سبق . ولو رجعنا الى القواميس [2] واستشهدنا بها لوجدنا في كل هذه الكلمات . البطح

---

(١) ورقة ٢٤ الموضح للداني .
وان كان يفهم من كل منهما العدول عن الاستواء الى درجة بعيدة كما يرى ابن الجزري في تخصيص بعض هذه الالفاظ بالإمالة المحضة ـ كما سنوضح فيما يلي :

(٢) جاء في القاموس ـ فيما يتعلق بمادة بطح ـ :
« بطحه كمنعه القاه على وجهه (١) » .
وقال الصبان « واصل بطح الشيء القاؤه ورميه ويلزمه امالته (٢) » .
أما مادة ، ضجع ، فقد جاء في اللسان « ضجعت الشمس وضجعت وخفقت وضرعت **مالت للمغيب** ، وكذلك ضجع النجم فهو ضاجع ، ونجوم ضواجع قال :

على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه، وانصب النجوم الضواجع

ويقال « أراك ضاجعا الى فلان **اي مائلا اليه** » ، ورجل اضجع الثنايا **اي مائلها** والضجوع من الإبل التي ترعى ناحية ، ودلو ضاجعة ممتلئة عن ابن الاعرابي وانشد « ضاجعة تعدل ميل الدف »
وقيل هي الملأى التي تميل في ارتفاعها من البئر لثقلها،وانشد بعض الرجاز :

ان لم تجيء كالاجدل المسف ضاجعة تعدل ميل الدف
اذا فلا آبت إليَّ كفّي او يقطع العرق من الالفّ (٣)

ثم قال : والاضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض (٤) ، وسميت الإمالة كسرا لما فيها من ميل الى الكسر (٥) .
واما **اللي** فيقال « لوى الرجل راسه والوى براسه **امال** واعرض وقوله تعالى وان تلووا او تعرضوا » بواوين ، قال ابن عباس (رضي الله عنه) هو القاضي يكون ليه واعراضه لاحد الخصمين على الآخر (تاج اللغة) وزاد عليه اللسان : أي تشدده وصلابته (لسان العرب) .
=

---

(١) القاموس مادة بطح ـ ثم انظر تاج اللغة للشيخ ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري
(٢) ج ٤ اشموني ص ٢٠٧ حاشية الصبان .
(٣) الالف عرق في العضد .
(٤) مادة ضجع ـ لسان العرب .
(٥) حاشية الصبان ص ٢٠٧ .

والإضجاع والإشباع والكسر واللّي معنى الإمالة مطلقا كما يرى الداني ومن قبله من القراء .

وبعد فعلى ضوء هذا التتبع التاريخي للاستعمالات المختلفة للفظ الإمالة ودرجاتها ، والالفاظ الدالة على هذه الدرجات ، نستطيع ان نخالف الدكتور أنو ليتمان إذ يقول : —

أما الإمالة فسماها النحويون ايضا كسرا وبطحا وإضجاعا ، وسموا النطق الصحيح للفتحة بتفخيم أو بنصب [1] .

فقد هدانا ذلك التتبع التاريخي الى أن القراء — على وجه العموم — لا النحاة هم المعنيون بدرجات الامالة ، وهم المعنيون ايضا بوضع أسماء مختلفة لهذه الدرجات من نحو الكسر والبطح والاضجاع ، وغيرها على النحو الذي بيناه .

= وقد جاء لفظ (اللي) في القرآن الكريم قال الله تعالى « وراعنا ليا بالسنتهم ، يعني تحريكا منهم بالسنتهم بتحريف منهم لمعناه الى المكروه من معنييه واستخفافا منهم بحق النبي (صلى الله عليه وسلم [2]) .

وفي ذلك التفسير معنى الميل بالسنتهم الى التحريف . وربما كان في البطح والاشباع من المعاني ما يقصده ابن الجزري في الإمالة الشديدة ولكن الاضجاع واللي يراد منها الامالة مطلقا بل ان لفظ الكسر بالذات لا يتفق مع ما يقصده ابن الجزري في الامالة الشديدة بل هو الى الامالة الضعيفة (بين بين) أقرب . جاء في اللسان في مادة كسر :

وفي حديث : العجين قد انكسر اي لان واختمر، وكل شيء فتر فقد انكسر، ومنه الحديث بسوط مكسور اي لين ضعيف [3] فاذا نقلنا هذه المعاني الى الكسر الذي يرد عند القراء في حديثهم عن درجات الامالة فانما يراد به إمالة ضعيفة لينة لا شديدة قوية كما يقرر ابن الجزري .

(١) ص ٣٢ بقايا اللهجات العربية في الادب العربي بقلم الاستاذ الدكتور انوليتمان . فصلة من المجلد الاول من مجلة كلية الاداب العدد العاشر مايو سنة ١٩٤٧ .

(٢) تفسير الطبري ج ٥ ص ٧١ .

(٣) مادة كسر من اللسان .

وقد تابع الدكتور محمود سعران ما كان من انوليتمان ــ اذ ذكر في رسالته[1] أن النحاة اتفقوا على أن الامالة على درجات مختلفة. فيتحدثون عن الإمالة القوية وهي ما تسمى الإمالة الشديدة، والكسر القوي وهو ما يسمى في الاصطلاح بالكسر المفرط ، وذكر المصادر التي استقى منها الكلام عن هذه الدرجات .

وزيادة في التوضيح نعرض الجدول الآتي : ــ

رقم المرجع في رسالة دكتور سعران	النص	من أسند اليه النص
(١)	الإمالة الشديدة	جرنيرت
(٢)	الكسر المفرط	ابن يعيش
(٣)	بين الفتح والإمالة	ابن الجزري والداني
	بين اللفظين	« «
(٤)	بين بين	الداني
(٥)	تقليل الإمالة	ابن الجزري

وهكذا نرى ان الدكتور سعران لم يتنبه الى صفة من استشهد بهم على الأسماء المختلفة للإمالة ودرجاتها فجعلهم من النحاة [2] ، على حين أنهم من القراء فابن الجزري وقد استشهد به ثلاث مرات قارىء ، والداني وقد استشهد به مرتين قارىء كذلك ، وأما جرنيرت فهو معتمد في كتابه الإمالة على السيوطي في الاتقان الذي اعتمد على ابن الجزري في النشر ، بقي ابن يعيش وهو متأثر بالقراء .

هذا وهناك خلاف ملحوظ بين القراء في كتبهم والنحاة فيما يتعلق بعنونة هذا الباب ، فالنحاة يتخذون لـه لفظ « الإمالة » لا غير [3] . على

(١) رسالة تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن يونية سنة ١٩٥١ وجعل موضوعها « ملاحظات على ما قاله النحاة في الأصوات اللغوية » .
(٢) ص ٢٦٨ من الرسالة المذكورة .
(٣) انظر كتب النحاة .

حين ان القراء يعنونه حينا بالفتح والإمالة [1] . او الإمالة والتفخيم [2] . واحيانا بالفتح والإمالة وبين اللفظين [3] .

ولكل وجهة : فالنحاة عندما يتكلمون عن الإمالة إنما يتناولونها من حيث حقيقتها ، وفائدتها ، وحكمها ، ومحلها ، وأصحابها من القبائل ، وأسبابها دون اهتمام بمذاهب القراء في الأداء من فتح ، أو إمالة ، أو بين هذين [4] ، إذ كان ذلك لا يتصل بصميم ما يبحثون أو يتناولون .

ولكن القراء يهتمون في كتبهم اهتماما خاصا بأصحاب الإمالة من القراء ، ومذاهبهم المختلفة فيها : فمن القراء من يفتح ، والفتح على درجات فمنه الشديد ومنه المتوسط ، ومنهم من يكسر على درجات كذلك ، ومنهم من اتخذ لنفسه طريقا وسطا بين المذهبين ، فكانت قراءته بين اللفظين .

ولهذا عنون كثير منهم هذا الباب « بالفتح والإمالة وبين اللفظين » ومنهم من اقتصر على لفظي « الفتح والامالة » كابن الجزري في كتابه الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المرضية (التي فوق السبعة) ؛ لأنه لم يرد عن أحد من هؤلاء القراء الثلاث إمالة بين اللفظين [5] .

---

(١) ابن الجزري في الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المرضية .
(٢) انظر المنهج .
(٣) انظر الكشف لمكي والتيسير للداني والسراج لابن القاصح والنشر لابن الجزري .
(٤) انظر شرح الاشموني ج ٤ ص ٢٠٧ .
(٥) البهجة المرضية في شرح الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر للشيخ الضباع .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثالث

الإمالة عند المحدثين

وكلام المحدثين من علماء الأصوات عن ظاهرة الفتح والإمالة لا يكاد يختلف في أصوله العامة عن كلام القدامى من النحاة والقراء ، وإنا لنجد في كتب هؤلاء وهؤلاء أصلا لما ذكره المحدثون في تفسير الفتح والإمالة ظاهرتين من الظواهر الصوتية بوجه عام .

فالمحدثون حين يتحدثون عن الإمالة يقسمون الأصوات الى Consonants و Vowels ويسمون الأولى ساكنة ـ والأخرى لينة . وأصوات اللين في اللغة العربية هي الحركات من فتحة وكسرة وضمة ، وكذلك الألف اللينة ، والياء اللينة ، والواو اللينة ، وليس عند المحدثين فرق بين الحركات والحروف إلا في الكمية ، فالألف فتحة طويلة [1] وكذلك كل من الياء والواو كسرة وضمة طويلتان ، ولا فرق إذن بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المد ؛ لأن العملية العضلية في الحالتين واحدة [2] ، وكل ما هناك أن الأصوات اللينة تختلف من ناحية طول المدة التي تستغرقها وفي العادة يستمر الصوت اللين الطويل ضعف الصوت القصير [3] .

---

(١) وهذا ما يقرره شادة في ص ٣٤ من كلام له عن« Sibawaihi, slautlehre »
(٢) اللهجات العربية ص ٤٤ .
(٣) الأصوات اللغوية ص ٨١ .

فمثلا الصوت (a) في كلمة Father يستمر ضعف نفس الصوت في كلمة Fatter والصوت (i) في كلمة Bead ضعف نفس الصوت في Beat . وفي اللغة العربية الفصحى نلاحظ هذه النسبة في الطول وبدقة خصوصا في طريقة القراء المجوّدة (١) .

ويقول Gairdner في موضع آخر ، إن العلاقة بين الحرف اللين العربي في كلمة (Si : n) والحرف في (سن) مفرد أسنان يماثل العلاقة بين الحرفين في الكلمتين الانجليزيتين Saens (مرثي) و (Sin) أي جرم (٢) .

وإنا لنجد أصلا لذلك الكلام عند القدامى من النحاة والقراء ، فهذا ابن جني في كتابه « سر صناعة الأعراب » عند حديثه عن الحركات يذكر أن الحركات أبعاض حروف اللين ، فالحركات المحضة وهي الفتحة والكسرة والضمة يحدث اشباعها الألف والياء والواو (٣) .

ومن قبل ابن جني قال سيبويه في الكتاب « الفتحة من الألف » ، وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء (٤) .

فاذا ما تركت هذه الأصول العامة إلى التوضيح والتفاصيل وجدنا الاختلاف شاسعاً بين القدامى والمحدثين من علماء الاصوات ذلك لأن المحدثين قطعوا مراحل واسعة في قياس أصوات اللين المختلفة بقدر ما واتاهم به البحث العلمي من عمق وتدقيق، وما أمدتهم به الآلة من أسباب وتحديد.

وأول من عني بهذه المقاييس بروفسر (دانيال جونز) في جامعة لندن (٥) إذ وضع لنا المقاييس العامة لأصوات اللين ، وسجلها فوق

(١) ص ٣٥ « The phonetics of arabic »
(٢) ص ٣٨ « The phonetics of arabic »
(٣) سر صناعة الاعراب نسخة للاستاذ ابراهيم مصطفى .
(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٧٠ .
(٥) الاصوات اللغوية دكتور ابراهيم انيس ص ٣٢ وما بعدها .

أسطوانات هي الآن في متناول كل من يبغي تعلمها .

وقد بدأ بتحديد الموضع الذي يمكن أن يصعد اليه اللسان نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء دون أن يحدث في مروره أي نوع من الحفيف ، فأقصى ما يصل اليه اللسان متجها نحو الحنك الأعلى بحيث لا يحدث الهواء المار بينهما أي نوع من الحفيف يعد موضعاً مضبوطاً بين أصوات اللين وقد رمز اليه بالرمز (i) او ما يشبه الكسرة الرقيقة في لغة العربية .

وقد عد المحدثون هذا الصوت أول مقياس لأصوات اللين لتحدد موضعه؛إذ لو صعد اللسان نحو الحنك أكثر من هذا سمع الحفيف الذي يخرج به صوت اللين إلى محيط الصوت الساكن الذي نسميه (الياء) . فالفرق بين الياء وصوت اللين (i) هو ان موضع اللسان مع الأولى أقرب إلى الحنك الأعلى ، والفراغ الذي بين اللسان والحنك معها أضيق منه في حالة صوت اللين (i)؛ويترتب على هذا اننا نسمع بعض الحفيف مع الياء [1] .

وتكون المقياس الثاني بأن هبط اللسان الى أقصى ما يمكن ان يصل إليه في الفم بحيث يستوى في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك فتحدد لنا بهذا مقياس آخر يرمز اليه عادة بالرمز (a) وهو ما يشبه الفتحة المفخمة في اللغة العربية [2] وبين اقصى ما يصل اليه اللسان في صعوده نحو الحنك الاعلى وأقصى ما يصل إليه في هبوطه بقاع الفم استنبط المحدثون أربع مراحل عند كل منها يتكون صوت لين فاللسان في هبوطه من موضع (i) الى موضع (a) يمر بمواضع ثلاثة رمز لها

---

(١) انظر tho phonetics of arabic p. 32.

(٢) الاصوات اللغوية ص ٣٣ . وانظر The phonetics of arabic p. 4

بالتدريج . (ase) (١)

وقد اتخذ علماء الاصوات المحدثون ثلاث مراحل أخرى تلي الصوت (a) ناظرين في هذه المرة الى نسبة صعود أقصى اللسان نحو الحنك ، فآخر ما يصل إليه أقصى اللسان في صعوده نحو أقصى الحنك ليكون الفراغ بينهما من السعة لا يحدث الهواء أي نوع من الحفيف هو المقياس الأخير لأصوات اللين ، وهو ما يرمز إليه بالرمز (u) وهو الذي يشبه الضمة المرققة في اللغة العربية (٢) .

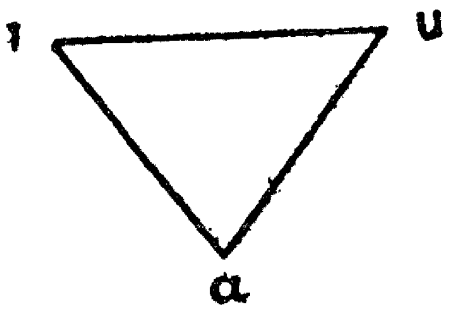

وعلى هذا تكون (u) و (i) و (a) هي الأصوات المتطرفة الأساسية ويمكن رسمها على صورة مثلث مقلوب رأسه الاسفل a وقاعدته u و i وترتب الاصوات اللينة الاخرى على الجانبين (a'i) و (a'u) (٣) .

ويرمز لأصوات اللين التي بين o و u بالرمزين الآتيين على الترتيب : oa .

وبهذا يتكون لنا ثمانية مقاييس تبدأ بصوت اللين i وتنتهي بصوت اللين (u) وتوضع عادة مدرجة في شكل كالآتي (٤) .

---

(١) The phonetics of arabic p. 38 . واقرأ الرموز من اليمين

(٢) الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ص ٣٤ .

(٣) The phonetics of arabic p. 38

(٤) كتاب الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ص ٣٤ و ص ٣٨ .
The phonetics of arabic

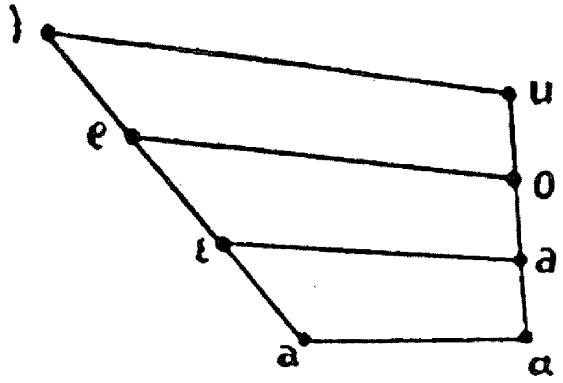

فما سماه القدماء بالفتح هو أحد تلك المقاييس ، فإذا قيست الفتحة العربية بمقاييس أصوات اللين وجدناها قريبة الشبه بذلك المقياس الذي يرمز اليه بالرمز a ولكنها لا تنطبق عليه تمام الانطباق [١] .

ويقول Gairdner ان «a» العربية اكثر قرباً من الصوت الممثل في الرمز الدولي a [٢] .

والإمالة عند القدماء لها درجات كما ذكرنا من قبل ، وهذه الدرجات بين الفتح الذي يرمز اليه في الرمز الدولي بـ a والكسر الذي يرمز اليه (بالرمز الدولي i) ويمكن ان يكون الرمز الدولي (e) للإمالة الشديدة وهي القريبة من الكسر ، والرمز (E) للامالة الخفيفة وهي القريبة من الفتح المرموز اليه بـ æ

واللسان مع a ينخفض حتى يصير مسطحا في الفم [٣] على حين انه مع (i) يرتفع الى اقصى ما يصل اليه في صعوده نحو الحنك الأعلى .

وبين هذين الوضعين تتكون الدرجات الآتية : فتحة مرققة æ وإمالة خفيفة (E) وإمالة شديدة (e) .

والشكل (ا) يبين وضع اللسان في هذه المراحل التي بين (i) ، (a) [٤] .

---

(١) كتاب الاصوات اللغوية ص ٤٣ .
(٢) The phonetics of arabic p. 37
(٣) المصدر السابق ص ٤١ .
(٤) انظر The phonetics of arabic p. 38 و ص ٣٥ من الاصوات اللغوية.

كما أن الشكل (ب) يبين وضع اللسان في المراحل التي بين (o ' u)

وهكذا يمتاز المحدثون في تناولهم لأصوات اللين وتفسيرهم لظاهرة الإمالة بهذه المقاييس الدولية العامة التي لا تقاس بها أصوات لغة واحدة بل يندرج تحتها أي صوت لين من أية لغة من اللغات .

(أ) (ب)

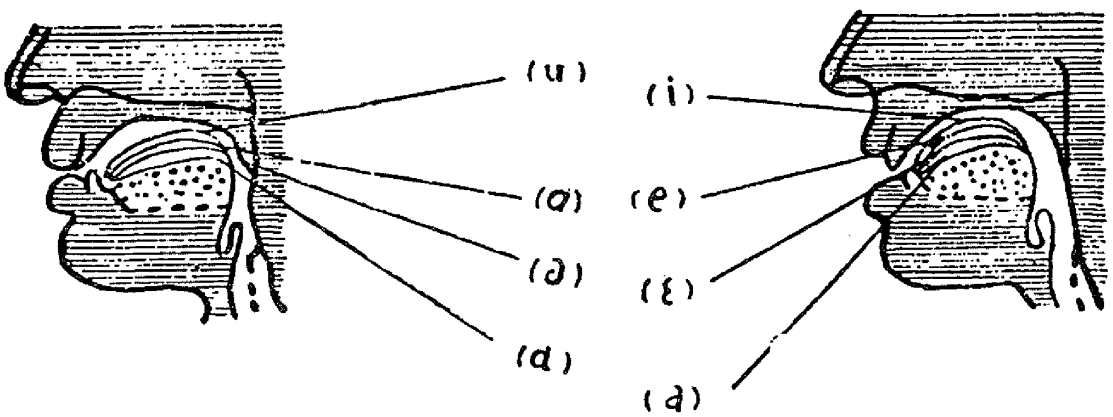

كما يمتازون بهذه الرموز التي وضعوها معبرة عن أصوات اللين الأصلية ، وفروعها قصيرة كانت أو طويلة [1] .

وايضا بهذه الرسوم الموضحة شكل الشفتين وتأثرهما مع كل مقياس [2] ووضع اللسان في كل مقياس من هذه المقاييس. وأمدتهم الآلة فأمكنتهم من تحديد الدرجة الصوتية لكل مقياس من هذه المقاييس ،وعرفت أعداد الذبذبات في الوترين الصوتيين مع كل منها . كما مكنتهم من تسجيل مقياس الصوت على أسطوانات حفظت في تحديد دقيق هذه المقاييس .

والحق أن القدامى لم يألوا جهدا بقدر ما وسعتهم الطاقة في تحديد هذه الأوضاع ، والتنبيه عليها بطريق التعبير .

---

(١) توضع نقطتان امام كل رمز خاص بصوت من اصوات اللين للتفرقة بين صوت اللين الطويل والقصير فالرمز a للقصير و : ɐ للطويل وهكذا .

(٢) انظر Ths phonetics of arabic ص ٣٢ وما بعدها .

فهم يقولون مثلا : التفخيم نهاية فتح القارىء لفيه بلفظ الحرف ، والإمالة المتوسطة حقها أن يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط ، والإمالة الشديدة .

والإمالة الشديدة حقها أن تقرب الفتحة من الكسرة والألف الساكنة من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه [1] إلى نحو ما جاء في كتاب النشر وغيره من كتب النحو والقراءات [2] .

ولا يزال الطلبة المجودون للقرآن يوصيهم شيوخهم عمليا بملاحظة حركة اللسان والشفاه عند النطق بالفتح والتفخيم والترقيق والإمالة .

وهناك فرق ظاهر بين وصف القراء لظاهرة الإمالة ووصف المحدثين لها ، فالقراء ينبهون على المعيب وغير المعيب في أداء الفتح والإمالة ، على حين ان المحدثين يصفون هذه الظواهر ويسجلونها معترفين بها جميعا من غير تفريق .

---

(١) من الموضح للداني ص ٦ ورقة ٢٤ .
(٢) انظر مثلا جـ ١ ص ٢٠٥ وما بعدها من النشر .

مناقشة القدامى في تعاريف الإمالة
على ضوء نظرة المحدثين

بعد أن بينا سبيل كل من النحاة والقراء في تعريف الإمالة ، وحرص القراء على مادة « قرب » ، وظهور مادة (نحا) عند النحاة ومسلك هؤلاء وهؤلاء في التحدث عن درجات الامالة ، نبدأ في مناقشة تعاريف النحاة والقراء للإمالة بوجه عام ، فقد وقع بعض من هؤلاء وهؤلاء في خلط واضح أبعدهم عن التحقيق الدقيق .

وقبل الأخذ في مناقشة هذه التعاريف نقدم الحقائق الآتية :

إن الفرق بين الفتحة والالف اللينة ، وبين الكسرة والياء اللينة لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية ، فالألف اللينة هي فتحة طويلة ، والياء اللينة كسرة طويلة كذلك . فكيفية النطق بالفتحة ، وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى الالف اللينة مع ملاحظة فرق الكمية بينهما[1] .

وهذا هو الذي لحظ الأقدمون من النحاة ، وقد أشار الى ذلك سيبويه في الكتاب ، اذ يقول « أمالوا المفتوح كما امالوا الألف » ؛ لأن الفتحة من الألف وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء [2] .

وابن جني يقول : « اعلم أن الحركات أبعاض لحروف المد واللين وهي الألف والواو والياء ، فكما ان هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث

---

(١) انظر ص ٤٠ الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس وانظر ص ٣٨ من :
The phonetics of arabic

(٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠ .

وهي الفتحة والكسرة والضمة ، وقد كان متقدمو النحاة (رحمهم الله تعالى) يسمون الفتحة الالف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريقة مستقيمة ، ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توامٌ كوامل قد تجدهن في بعض الاحوال أطول وأتم منهن في بعض ، وذلك اذا وقعت بعدهن الهمزة والحرف المدغم ، نحو « يشاء،دابة » وهن في كلا الموضعين يسمين حروفا كوامل ، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفا صغيرة بأبعد في القياس منه . ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه إلا أن هذه الحروف التي يحدثن لإشباع الحركات لا يكن إلا سواكن : لأنهن مدات والمدات لا يحركن أبدا » [1] .

ويشير إلى هذه الحقيقة بعض النحاة والقراء من المتأخرين إذ يقول : « الفتحة من الألف [2] ، والكسرة من الياء [3] ، وقد كان المتقدمون يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ؛ لأن الحركات والحروف أصوات ، وإنما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفا ، والضعيف حركة ، وإن كانا في الحقيقة شيئا واحدا [4] .

وهناك حقيقة أخرى يجب ضمها الى الحقيقة السابقة ، وهي ان الامالة في المفتوح ذات شعب ثلاث .

(ا) ما كانت في نحو كتاب ، وعالم ، وطاب ، وهدى ، وربا ، وهنا تمال ألف المد فتصبح مشوبة بالكسرة .

---

(١) سر صناعة الاعراب نسخة خاصة ملك الاستاذ ابراهيم مصطفى .
(٢) شرح الفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٤ وانظر الموضح للداني ورقة / ٢٤
(٣) الموضح للداني ورقة ٢٤ .
(٤) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٤ .

(ب) ما كانت في نحو رحمة ، وهي إمالة مـا قبل هاء التأنيث عند الوقف فتصبح الفتحة مشوبة بالكسرة .

(ج) ما كانت في نحو : من الكبر وهي إمالة مـا قبل الراء ، فتصبح الفتحة مشوبة بالكسرة .

ولا فرق بين النوعين الأخيرين والنوع الاول إلا في الكمية .

وبناء على هاتين الحقيقتين السابقتين نرتضي كـل تعريف يتفق مـع الحقيقة الأولى مـن أن الألف فتحـة طويلة ، والياء كسرة طويلة . أو أن الفتحة ألف قصيرة . والكسرة ياء قصيرة كذلك ، علـى أن يشمـل ذلك التعريف الأنواع الثلاثة السابقة للامالة . فنحن نرتضي من تعاريف القدامى للامالة :

(أ) تعريف مكي بن أبي طالب في التبصرة (٤٣٧هـ) .
« أن تقرب الألف نحو الياء »

(ب) تعريف الزمخشري في المفصل (٥٣٨هـ) :
« أن تنحو بالألف نحو الكسرة »

(ج) تعريف ابن يعيش في شرح المفصل (٦٤٣هـ) . عدول بالألف عن استوائه ، وجنوح به الى الياء .

(د) تعريف ابن الحاجب في الشافية (٦٤٤هـ) أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة .

ولا نسلم في سهولة بالتعاريف الآتية :

(أ) تعريف ابن شامة (٦٦٥هـ) من القراء :
أن تقرب الفتحة من الكسرة ، والألف من الياء .

(ب) تعريف أبي عقيل (٧٦٩هـ) من النحاة :
أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء .

(ج) تعريف ابن الجزري (٨٨٣هـ) :

أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء .

ونخطىء السيوطي (٩١١هـ) في تعريفه الآتي :

أن تنحو جوازا بالألف نحو الياء « جمع الجوامع » ولو اقتصر على ذلك التعريف لكان مصيبا ؛ إذ يحتمل أن يكون المراد بالألف والياء في ذلك التعريف الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة ــ كما يحتمل أن يكون المراد بهما شيئا آخر غير الفتحة والكسرة الطويلتين وهو ما يسمونه بالألف والياء، ولكن السيوطي نفسه جاء في (همع الهوامع) فحدد المراد بالألف والياء وهو تحديد نتفيه ولا نرتضيه ؛ إذ جعل الألف والياء شيئاً آخر غير الفتحة والكسرة الطويلتين وذلك إذ يقول في الهمع :

ولا يمكن أن ينحى بها « أي الألف ــ نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة » وعلى هذا التفسير لا يشمل تعريفه إلا نحو (هدى) ليس إلا .

وإنما ارتضينا تعريف مكي في تبصرته ، والزمخشري في مفصله ، وابن يعيش في شرحه المفصل ، وابن الحاجب في شافيته ؛ لأن هذه التعاريف جمعاء شاملة للإمالة بأنواعها الثلاث (١) ، ولأنها تتفق مع الحقيقة التي قررها الأقدمون وارتضاها المحدثون في ان الالف ــ عند مكي والزمخشري وابن يعيش يراد بها الفتحة القصيرة أو الطويلة ، وأن الياء عند مكي ، وابن يعيش يراد بها الكسرة قصيرة أو طويلة كذلك (٢) .

أما النص على تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء فهو لا يتفق مع الحقيقة التي قررها الأقدمون ، وارتضاها المحدثون ؛ إذ فيه تفريق ظاهر بين الفتحة والالف والكسرة والياء ، مع انهما في الحقيقة لا فرق بينهما(٣).

---

(١) انظر الصحيفة السابقة .

(٢) هل كان هؤلاء الذين ارتضينا تعاريفهم يفسرون الالف والياء بما فسرناه . . ؟

(٣) انظر نصوص سيبويه وابن جني والداني السابقة .

على أنه إذا جارينا من اختار ذلك التعريف ــ في التفرقة بين الألف والفتحة ، والياء والكسرة ــ فإن النص على تقريب الفتحة مــن الكسرة ، والالف من الياء ، لا يشمل إلا حالة واحدة من حالات الإمالة فقط هي التي نحو « هدى » [1] : وذلك اذا اعتبرنا ذلك التعريف وحدة متماسكة ، وهذا هو الظاهر من قول أبي حيان [2] : الإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء ، فيلزم ان تنحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة ، فهذا التعريف صريح فــي امالة نحو هدى فقط دون الحالتين الاخيرتين .

فان اعتبرنا قولهم « وبالالف نحو الياء » مستقلا عن قولهم « بالفتحة نحو الكسرة » كان هذا التخريج شاملا لأنواع الامالة الثلاث ، وكان يغنى عنه الاقتصار على السطر الأول وهو « تقريب الفتحة من الكسرة » دون حاجة الى السطر الآخر الذي هو « وبالالف نحو الياء » .

ومن هنا اضطر ابن هشام الى ان ينص علــى هــذه الحالات الثلاث نصا ظاهرا اذ قال في تعريف الامالة :

« ان تذهب بالفتحة الى جهة الكسرة ، فان كان بعدها ألف ذهبت الى جهة الياء كالفتى ، وإلا فالممال الفتحة وحدها كنعمة وسحر » [3] .

وتعريف ابن هشام كذلك يتيح لنــا مناقشته ؛ اذ فرق بــين الألف والفتحة ، فجعل هناك فتحة ، وجعل هناك ألفا ، وهما في الحقيقة ظاهرة صوتية واحدة .

وقوله « إن كان بعدها ألف ذهبت الــى جهة اليــاء كالفتى شرط لا ضرورة له . وقوله وإلا فالممال الفتحة وحدها كنعمة وسحر نص لا فائدة

---

(١) انظر الحالة الاولى من الحالات الثلاث من قبل .
(٢) ارتشاف الضرب ص ٢٠٤ .
(٣) التوضيح ج ٢ ص ٢٥٠ .

منه ؛ لأن الممال في كل الأحوال هو الفتحة وحدها ، غاية الامر انها فتحة طويلة ــ أي الألف ــ في الفتى ، وفتحة قصيرة في نعمة وسحر .

والملاحظ أن المتقدمين من النحاة والقراء كانوا أدق تعريفا للإمالة من المتأخرين ، فهؤلاء منذ القرن السابع ــ على حسب الكتب التي فحصناها ــ حتى السيوطي ينصون في تعريف الامالة ــ على الفتحة والألف ــ مفرقين بذلك بينهما ، ويظهر أنهم أرادوا بذلك النص صراحة على حالة الامالة في نحو هدى ، فأضاع منهم الحالتين الأخريين في نحو نعمة وسحر .

على أننا اذا أردنا تعريفا يتفق مع مذهب المتقدمين في عدم التفرقة بين الفتحة والألف كما يتمشى مع اتجاه المتأخرين من المحدثين أمكننا أن نرضى التعريف الآتي للإمالة : ــ

فهي « أن تقرب الفتحة قصيرة كانت أو طويلة الى الكسرة قصيرة أو طويلة كذلك » .

ومن هنا نقبل قول ابن منظور في كتابه لسان العرب : والإمالة هي التي بين الألف والياء [1] نحو قولك في عالم وخاتم عالم وخاتم [2] .

وقد نقل ابن منظور (٧١١هـ) عن بعض النحويين ما لا يتفق مع نصه السابق الذي ارتضيناه وذلك إذ يقول « واستعمل بعض النحويين الشوب في الحركات ، فقال أما الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبل الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف ، قال وذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت ، فكما أن الحركة ليست بفتحة محضة ، كذلك الألف التي بعدها ليست الفا محضة . وهذا هو القياس ؛ لأن الألف تابعة للفتحة فكما أن الفتحة مشوبة فكذلك

---

(١) أي القصيرتين او الطويلتين

(٢) مادة مال في لسان العرب .

الألف اللاحقة لها أ هـ [1] . ونرى من نقل عنه ابن منظور قد جعل هناك فتحة وجعل هناك ألفا في نحو (عابد) مع أنها في الحقيقة شيء واحد .

وتفهم كلام سيبويه يجعلنا نطمئن الى النتيجة التي وصلنا اليها ، والتعريف الذي ارتضيناه ، ذلك لأن سيبويه لم يفرق بين الكسرة والياء في نصه الآتي الذي استغله القراء والنحاة من بعده في تعريف الإمالة : ـ

قال سيبويه « فالألف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور ، وذلك قولك عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل ، وإنما أمالوها **للكسرة التي بعدها ، ارادوا ان يقربوها منها** كما قربوا في الادغام الصاد من الزاي فكما يريد في الادغام ان يرفع لسانه من موضع واحد كذلك يقرب الحرف الى الحرف على قدر ذلك ، **فالألف قد تشبه الياء فارادوا ان يقربوها منها** »[2] ونحن نوجه النظر الى عبارتين في ذلك النص تنتهيان بنا الى ان الكسرة عند سيبويه هي الياء قوله أولا : ـ

« أرادوا أن يقربوها منها » أي الألف من الكسرة ، ثم قوله ثانيا : ـ

« أرادوا أن يقربوها منها » أي الألف من الياء ، فهذا دليل على أنه لم يفرق بين الكسرة والياء .

كل ما نريد أن ننفيه في تلك التعاريف ما وقع فيه أصحابها من أن هناك فتحة وأن هناك ألفاً في نحو كتاب وعالم وهدى . والحقيقة ان الفتحة لا وجود لها في هذه المواضع من الكلمات وأشباهها فكل من التاء في كتاب والعين في عالم والدال في هدى محركة بألف المد وحدها .

ومن الإنصاف لسيبويه تقرير أنه لم يقع في مثل ذلك الخلط الذي وقع فيه النحاة من بعده ، وتتبع نصوص سيبويه يهدينا الى أنه لم يعترف

---

(١) لسان العرب (مادة شوب) ج ١ ص ٤٩٣ .
(٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٥٩ .

بالفتحة عند حديثه على الإمالة فيما كان فيه ألف المد ، واليك جدولا يبين أمثلة سيبويه ونصه على ما يمال فيها .

الأمثلة	ما يمال فيها
(١) عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل	الألف [١]
(٢) عمـاد	الممال الألف [٢]
(٣) الاسوداد	الممال الألف [٣]
(٤) معزى وحبلى	الممال الألف [٤]
(٥) خاف وطاب وهاب	الممال الألف [٥]
(٦) كيال ويباع	الممال الألف [٦]
(٧) في النجادين ومررت ببابه	أمالوا الألف [٧]

ثم انظر قوله هذا باب **من امالة الالف يميلها فيه ناس من العرب كثير** . [٨]

ذكر فيه **امالة الالف** في يريد ان يضربها ويريد أن ينزعها ، وفي مضربها ، وبها وبنا ، وبيني وبينها ، ويريد أن يكيلها ، ولم يكلها ، وليس شيء من ذلك **تمال الفه** في الرفع إذ قال هو يكيلها .

(١) جـ ٢ ص ٢٥٩ .
(٢) جـ ٢ ص ٢٥٩ .
(٣) جـ ٢ ص ٢٥٩ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٦٠ .
(٥) جـ ٢ ص ٢٦١ .
(٦) المصدر السابق جـ ٢ الكتاب لسيبويه ص ٢٦٠ .
(٧) جـ ٢ ص ٢٦١ المصدر السابق .
(٨) جـ ٢ ص ٢٦٢ المصدر السابق .

فلم يرد في هذه النصوص ذكر لإمالة الفتحة ، ومن هنا كان سيبويه دقيقا في تعبيره ، ملتزما الطريق السوي في نصوصه ، متفقا مع المحدثين فيما أورده ولكن بعض القدامى لم ينتبهوا الى ذلك على النحو الذي رأيناه من قبل .

هذا واذا علمنا أن القراء لم ترد عنهم إمالة في نحو سحر ، وإنما أمالوا الألف في نحو طاب وهدى والأبصار ، وأمالوا الهاء وما قبلها في نعمة لشبهها بالألف كذلك [1] ـ اذا علمنا ذلك أمكننا أن نرتضي :

التعريف الآتي للقراء :

« الامالة تقريب الالف حقيقة أو حكما [2] من الياء :

قال الداني « واعلم ان الفتح والامالة وبين اللفظين في جميع ما قدمناه في كتابنا هذا إنما تكون هذه الثلاثة في الألف ، ولا يتوصل الى ذلك فيها إلا ان يبتدأ بذلك في الحركة التي قبلها ؛ لكي تتبعها الألف فيه كما تقدم،لأن الألف صوت لا معتمد له في الفم ، وإنما تديرها الحركة التي قبلها وتتبعها،ألا ترى أنك اذا فتحت ما قبلها صارت ألفاًكقولك آ ا . فهذا حكمها حيث وقعت [3] ، ويتفق معه مكي في التبصرة اذ يقول: «اعلم أن الإمالة إنما تكون في الألف ومعناها هو أن تقرب الألف نحو الياء » [4] .

---

(١) انظر الموضح ص ٣١٥ .
(٢) حقيقة كما في هدى وحكما كما في نعمة
(٣) الموضح للداني ورقة ٦٢ .
(٤) التبصرة لمكي ص ٩٦ .

الفصل الرّابع

الفتح والامالة أيهما الأصل

ما المراد بالاصالة ..؟ وما المراد بالفرعية ..؟ لـم يفسر القدامى من النحاة والقراء المراد من هذين اللفظين فـي باب الإمالة ، ولكنهم أصدروا أحكامهم عن الفرعية والأصالة في كل من الفتح والإمالة مـن غير تعرض لشرح المراد من هذين اللفظين . فلم يعد أمامنا إلا الاتجاه إلى كتب اللغة نستوضحها المراد من هذين ، ثم نتتبع كتب النحاة والقراء لنتعرف الرأي في اصالة الامالة أو فرعيتها . متخيرين كتابا على الأقل من كل قرن . على النحو الذي اتبعناه من قبل في التحدث عن درجات الامالة واسمائها عند النحاة والقراء .

جاء في القاموس مادة فرع « فرع من هذا الأصل مسائل جعلها فروعه فتفرعت » [1] وليس في مادة (أصل) في القاموس ما يعيننا على تفهم المراد من الاصل في موضوع بحثنا [2] .

فالمفهوم من كلمة الأصل في قولنا الفتح أصل والامالة فرع مثلا أن الفتح نطق به أولا ، وكان النطق به سابقا على النطق بالامالة ، وذلك مـا

---

(١) القاموس المحيط للفيروزابادي ج ٣ ص ٦٢ مادة فرع .
(٢) انظر لسان العرب وغيره من المعاجم .

يشير إليه صاحب المبهج في كلامه إذ يقول في معرض التدليل على اصالة الفتح :

« ان التفخيم هو اللغة القديمة السابقة ، وان الامالة هي اللغة الطارئة اللاحقة » [1] .

أو أن الفتح أعم في كلام العرب وأكثر من الإمالة ، فكل ممال يجوز فتحه [2] ، وليس كل مفتوح تجوز إمالته،ثم لنبدأ في تتبع أقوال النحاة والقراء في هذا الموضوع على الوجه الذي بيناه من قبل .

---

(١) المبهج ورقة ٧٣ مصور بدار الكتب .
(٢) ص ٨٠ من كتاب الكشف عن علل القراءات وحججها وورقة ٧٣ من المبهج وابن الجزري في النشر،ثم انظر ج ٩ ص ٥٤ شرح المفصل لابن يعيش .

المؤلف	سنة وفاته	انحوي هو أم قارىء	النصوص التي أوردها خاصة باصالة الفتح او الإمالة
سيبويه في الكتاب	١٨٣ هـ	نحوي	لم يتعرض سيبويه في (الكتاب) لهذا الموضوع نصا ـ ولكنه قال (١) : الاصل في فاعل ان تنصب الالف ولكنها تمال لما ذكرت لك من العلة ـ الا تراها لا تمال في (تابل) فلما كان ذلك الاصل تركوها على حالتها في الرفع والنصب وقد نقل صاحب المبهج عن سيبويه « ان الفتح هي اللغة القديمة السابقة (٢) » .
ابو عبيد القاسم ابن سلام في كتابه القراءات	٢٢٣ هـ		اورد له الداني في كتابه الموضح ما ينص على ان الاصل هو التفخيم (٣) .
ابن خالويه في الحجة	٣٧٠ هـ	قارىء نحوي	الحجة لمن فخم انه اتى بالكلام على اصله ووجهه الذي كان له؛ لأن الاصل التفخيم، والإمالة فرع عليه (٤) .
ابو علي الفارسي في الحجة	٣٧٧ هـ	قارىء نحوي	الفتح في نحو مجراها هو الأصل (٥) .
مكي بن ابي طالب في الكشف	٤٣٧ هـ	قارىء	اعلم ان اصل الكلام كله الفتح والإمالة تدخل في بعضه ـ في بعض اللغات لعلة ـ والدليل على ذلك جميع الكلام الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة بداخله الا في بعضه في بعض اللغات لعلة ، والاصل ما عم وهو الفتح (٦) .
الداني في الموضح	٤٤٤ هـ	قارىء	قال : « والفتح عند علمائنا الأصل ، والإمالة فرع داخل عليه » ثم ساق ادلة خمسة على ذلك، وسأناقش هذه الادلة فيما بعد بعد ايرادها (٧) .
الزمخشري في المفصل	٥٤٨ هـ	نحوي	لم يتحدث عن الفرعية او الاصالة في الفتح او الإمالة .

(١) ج ٢ ص ٢٦٨ .
(٢) المبهج ورقة ٧٣ .
(٣) ورقة ٢٣ من المبهج .
(٤) ج ١ ص ٣ الحجة .
(٥) الحجة ج ١ ص ٣٥٨ .
(٦) الكشف ص ٨٠ .
(٧) الموضح ورقة ٢٣ .

المؤلف	سنة وفاته	النحوي هو أم قارىء	النصوص التي اوردها خاصة باصالة الفتح أو الإمالة
سبط الخياط البغدادي في المبهج	٥٤١ هـ	قارىء	التفخيم هو الاصل والإمالة فرع عليه لأن التفخيم هو اللغة القديمة السابقة والإمالة هي اللغة الطارئة اللاحقة واستدل بالحديث « وان القرآن نزل بالتفخيم » وكل ممال يجوز فتحه والفتح يطرد في الجميع (١) .
ابن الانباري في اسرار العربية	٥٧٧ هـ	نحوي لغوي	والإمالة فرع عن التفخيم والتفخيم هو الاصل بدليل ان الإمالة تفتقر الى أسباب توجبها .
السخاوي في جمال القراء	٦٤٣ هـ	قارىء	الإمالة والتفخيم لغتان وبجميع ذلك نزل القرآن وليس بعض القراء بذلك أولى من بعض ولم يزل نقل ذلك متواترا من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل الينا (٢) .
ابن يعيش في شرح المفصل	٦٤٣ هـ	نحوي	التفخيم هو الأصل والإمالة طارئة ، ويبرهن على ذلك بقوله « والذي يدل على ان التفخيم هو الاصل انه يجوز تفخيم كل ممال ولا يجوز امالة كل مفخم ، وايضا فان التفخيم لا يحتاج الى سبب ، والإمالة تحتاج الى سبب (٣) .
ابن الحاجب في الشافية	٦٤٤ هـ	نحوي	لم يتحدث عن الفرعية أو الاصالة في الفتح أو الإمالة .
الرضى في شرح الشافية	٦٨٨ هـ	نحوي	لم يتحدث الرضى شارح الشافية عن اصالة الفتح أو الإمالة ، ولكنه اورد في كلامه ما يدل على ان الاصل الفتح ، وذلك اذ يقول « وكل موضع يحصل فيه سبب الإمالة جاز ذلك الفتح (٤) » وهذا قريب من كلام ابن يعيش في المفصل .

(١) المبهج ورقة ٧٣ .
(٢) جمال القراء باب الإمالة .
(٣) شرح المفصل ج ٩ ص ١٥٤ .
(٤) شرح الشافية ص ٥ .

المؤلف	سنة موته	انحوي هو ام قارىء	النصوص التي اوردها خاصة باصالة الفتح أو الإمالة
الجعبري في شرح الحرز	٧٣٢ هـ	قارىء	قال الجعبري « الاصل الفتح لعدم توقفه على أمر زائد .. والإمالة فرعية » ثم عاد يقول « وقول الناظم : باب الفتح اي فتح الصوت لا الحركة وبدأ به لأصالته (١) » .
ابو حيان في الارتشاف	٧٤٥ هـ	نحوي	لم يتحدث ابو حيان عن الفرعية او الإصالة في الفتح او الإمالة .
ابن القاصح في شرح الشاطبية	٨٠١ هـ	قارىء	قال في شرح الشاطبية . والفتح ضد الإمالة ، وقدمه لأنه الاصل والامالة فرع عنه ، فكل ممال يجوز فتحه ، وليس كل ما يفتح يجوز امالته،لأن الإمالة لا تكون الا لسبب من الاسباب (٢) .
ابن الجزري في النشر	٨٨٣ هـ	قارىء	حكى ابن الجزري آراء من تقدّمه في ذلك الموضوع فقال « وقد اختلف أئمتنا في كون الإمالة فرعا عن الفتح ، أو أن كلا منهما اصل برايه مع اتفاقهم على انهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن،فذهب جماعة الى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر ... وكما انه لا يكون امالة الا بسبب فكذلك لا يكون فتح ولا تفخيم الا بسبب قالوا ووجود السبب لا يقتضى الفرعية ولا الإصالة وقال آخرون : ان الفتح هو الاصل ، وان الإمالة فرع بدليل أن الأمالة لا تكون الا عند وجود سبب من الاسباب ، فان فقد سبب منها لزم الفتح ، وان وجد شيء منها جاز الفتح والامالة . فما من كلمة تمال الا وفي

(١) ورقة ١٢٠ شرح حرز الاماني للجعبري . / ٦١٢ قراءات دار الكتب .
(٢) شرح الشاطبية ص ١١٦ .

المؤلف	سنة وفاته	أنحوي هو أم قارىء	النصوص التي أوردها خاصة باصالة الفتح أو الإمالة
تابع ابن الجزري			العرب من يفتحها ، ولا يقال كل كلمة تفتح ففي العرب من يميلها . قالوا فاستدللنا باطراد الفتح ، وتوقف الإمالة على أصالة الفتح ، وفرعية الإمالة . قالوا وايضا فان الإمالة تصير الحرف بين حرفين بمعنى ان الالف الممالة بين الالف الخالصة والياء ، وكذلك الفتحة الممالة بين الفتحة الخالصة والكسرة والفتح يبقى الالف والفتحة على اصلهما. قالوا : فلزم ان الفتح هو الاصل والإمالة فرع . ثم قال : قلت (أي ابن الجزري) ولكل من الرايين وجه وليس هذا موضع الترجيح (١) . وهكذا حكى ابن الجزري حجة من يقول باصالة الفتح وفرعية الإمالة . وحجة من يقول باصالة كل منهما دون ان يبين رايه الخاص في هذه المسالة . وكلامه في موضع آخر لا يحدد موقفه من هذه المسالة تحديدا واضحا اذ يقول: « ان اللسان يرتفع بالفتح ، ويتجدد بالإمالة ، والانحدار اخف على اللسان من الارتفاع ؛ فلهذا امال من امال . واما من فتح فإنه راعى كون الفتح امتن او الاصل (٢) وان كانت عبارته الاخيرة من هذا النص تشير إلى انه يرى أصالة الفتح . وهو في كتابه منجد المقرئين يرى اصالة كل من الفتح والإمالة وذلك اذ يقول : « الإمالة والتفخيم لغتان ليست

(١) النشر ج ٢ ص ٣٢ .
(٢) النشر ج ٢ ص ٣٥ .

المؤلف	سنة وفاته	انحوي هو أم قارىء	النصوص التي اوردها خاصة باصالة الفتح أو الإمالة
السيوطي في الاتقان	٩١١ هـ	قارىء	**احداهما اقدم من الاخرى ، بل نزل القرآن بهما جميعا » .** نقل كلام من قبله (اكثره معتمد على ابن الجزري) اذ يقول : واختلفوا . هل الإمالة فرع من الفتح ، او كل منهما اصل برايه ووجه الاول ان الإمالة لا تكون الا لسبب فإن فُقِدَ لزم الفتح ، وان وُجِدَ جاز الفتح والإمالة ، فما من كلمة تمال الا في العرب من يفتحها ، فدل اطراد الفتح على اصالته وفرعتها (١) .
السيوطي في الجمع وشرحه الهمع	٩١١ هـ	نحوي	لم يتحدث في جمع الجوامع ولا شرحه الهمع عن هذه المسالة (٢) .
الأشموني في شرح الألفية	٩٢٩ هـ	نحوي	جاء في شرح الفية ابن مالك للأشموني « واما اهل الحجاز فيفخمون بالفتح وهو الاصل » وقال من قبل ذلك : « كل ممال يجوز فتحه » وهي قضية يذكرها من يرى أصالة الفتح وفرعية الإمالة(٣) .

(١) الإتقان ج ١ ص ١٤ .
(٢) جمع الجوامع والهمع ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٣) شرح الاشموني ج ٤ ص ٢٠٧ .

مُلاحَظـــات

يتبين من العرض السابق ما يأتي : ــ

(١) الحديث في إفاضة مقصودة عن أصالة الإمالة أو فرعيتها عن الفتح إنما هو من صنيع القراء لا النحاة ، فلم يتحدث قصدا في ذلك الموضوع سيبويه في كتابه (١٨٣ هـ) ولا المبرد في مقتضبه (٢٨٥ هـ) ولا أبو القاسم الزجاجي في جمله (٣٤٠هـ) ولا الزمخشري في مفصله (٥٣٨ هـ) ولا ابن الحاجب في شافيته (٦٤٤هـ) ولا ابو حيان في ارتشافه (٧٤٥هـ) ونرى السيوطي (٩١١هـ) في الإتقان يتحدث عن هذه المسألة على حين أنــه في الجمع والهمع لا يتحدث ، فهو في الأول قارىء وفي الآخر نحوي . وهذا هو ما لحظه جرنيرت في كتابه الإمالة [١] حيث نسب هذا الخلاف في أصالة الإمالة أو فرعيتها الى القراء ولم ينسبه الى النحاة .

(٢) إن أول من تحدث في هذا الموضوع من القراء ــ على حسب الكتب التي فحصنا ــ أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه القراءات (٢٢٣هـ) ثم ابن خالويه (٣٧٠ هـ) في كتابه الحجة ، وأبو علي الفارسي (٣٧٧) [٢]. وجاء من بعدهم مكي (٤٣٧هـ) والداني (٤٤٤هـ) .

(٣) إن الحديث في هذه المسألة اتخذ صورة واضحة فــي كتــاب

---

(١) ص ٣٤ Die imala

(٢) كل من ابن خالويه وابي علي الفارسي نحوي قارىء ، ولكنهما في كتابهما الحجة قارئان نحويان .

الموضح للداني (٤٤٤هـ) حيث احتج لأصحاب الفتح ، ثم احتج لأصحاب الإمالة مستندا في ذلك الى أحاديث أسندها ، ثم الى علل أوردها . وسنناقش الداني فيما أورده في ختام هذا الفصل .

(٤) إن الذي دفع القراء ــ في رأينا ــ الى التحدث في ذلك الموضوع أحد أمور ثلاثة :

١ ــ ما رواه زيد بن ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم « **من أن القرآن نزل بالتفخيم** » ، فدفعهم ذلك الى القول بأصالة الفتح ، وفرعية الإمالة ، واحتج أبو عبيد القاسم بن سلام بهذا الحديث في اختياره الفتح وتغليبه إياه بذلك على الإمالة [١] .

وقد كره قوم الإمالة ــ كما يقول السيوطي ــ لهذا الحديث [٢] ، ولكن الذين ينتصرون لها يؤولون المراد بالتفخيم ــ الغلظة والشدة والتعظيم والتبجيل ، وتحريك أوساط الكلم بالضم والكسر في المواضع المختلفة فيها دون إسكانها [٣] .

أو معناه يقرأ على قراءة الرجال لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء [٤] .

ب ــ تعرض القراء لتعليل الفتح في أمثال « طارد وماد ومارج » التي أمالها النحاة ولم يملها القراء، فاستغل القراء القول بأصالة الفتح ، واتخذوا القاعدة الأصولية سندا فقالوا « ما جاء على أصله لا يسأل عن سببه » [٥] .

جـ ــ اختلاف مذاهب القراء في الفتح والإمالة ، فكان طبيعيا أن يتحدثوا عن الأصالة أو الفرعية في كل منهما .

---

(١) الموضح ورقة ٢٤ .
(٢) الاتقان جـ١ ص ١١٧ .
(٣) الموضح للداني ورقة ٢٤ .
(٤) الاتقان للسيوطي ص ١١٧ .
(٥) الكشف في علل القراءات وحججها لمكي بن ابي طالب جـ ١ ص ٩٦ .

(٥) إن النمو الملحوظ في هذا الموضوع إنما هو في التعليل لاصالة الفتح أو الإمالة ، وان هذا النمو يبلغ أقصى مراحله عند الداني في كتابه الموضح ، وقد اعتمد القراء بخاصة وبعض النحاة ـ على الداني في موضحه ، فأخذوا بعض العلل ، وتركوا الاخرى كما فعل ابن يعيش وابن الجزري [١] .

ومن المناسب أن نبين هنا ان بعض القراء لهم أقوال متضاربة في هذا الموضوع ، فقارىء مثل مكي بن أبي طالب يحكم بأصالة الفتح وفرعية الإمالة في كتابه الكشف في صدر كلامه عن علل الفتح والامالة ، وما هو بين اللفظين [٢] ، ولكنه عندما يتكلم في أقسام العلل نراه يقول : ـ

« اعلم ان العلل التي توجب الامالة ثلاث: وهي الكسرة **وما اميل ليدل على أصله** ، والامالة للامالة ، والذي يهمنا من هذا النص هو قوله **وما اميل ليدل على أصله** ، ثم نراه بعد ذلك يعلل لامالة جاء وشاء بأربع علل ، ويذكر العلة الثانية « ان الالف التي هي عين الفعل الممالة أصلها الياء فيهما»، وبمثل هذه العلة يعلل للامالة فيبقية الأفعال الجُوف التيأمالهاحمزة ما عدا خاف، فانه يقول معللا إمالتها: « **ان عين الفعل منها اصله الكسر** » .

على أنه في الامكان أن نظفر بحالة ثالثة عند مكي ذكر ان الامالة أصل فيها وذلك في الأفعال « قضى ورمى وسعى » اذ يقول « إن قضى ورمى وسعى » إنما كتبن بالياء ؛ لأن أصل ألفهن الياء [٣] .

وفي موضع آخر نرى مكيا يحكم بالاصالة للفتح في مارد وطارد وشارب وبارد ومارج ونحوه « فيقول » ما بال أهل الإمالة ـ يقصد من

---

(١) ينظر كلام الداني في آخر الفصل ويوازن بينه وبين ما اوردته سابقا من كلام ابن يعيش في شرح المفصل وابن الجزري في النشر :
(٢) الكشف جـ ١ ص ٨٠ .
(٣) الكشف لمكي بن ابي طالب جـ ١ ص ٩٢ .

القراء ــ لم يميلوا مارد وطارد....، فالجواب انهم عدلوا الى الفتح في ذلك لانه الاصل ، ولأن ما أتى على أصله يجب ألا يقال فيه لم أتى على أصله ، والفتح هو الأصل لكن لم ترد عن أحد من القراء علمته [1] .

وعلى هذا نستطيع أن نفهم رأي مكي بن أبي طالب فيما يختص بالأصالة والفرعية على النحو الآتي : ــ

ا ــ ما كان له أصل يائي فالامالة فيه هي الأصل والفتح فرع منها .

ب ــ ما كانت فيه كسرة لاحقة أو سابقة للألف فالفتح هو الأصل والامالة فرع عنه .

وهذا الذي استنتجناه من كلام مكي يتفق مع المخطوطات الكوفية القديمة قال « جرنيرت » في كتابه الامالة ما ترجمته « نجد في بعض مخطوطات كوفية قديمة كل القدم ان ـــ ي التي هي لام الفعل الفعل كرمى، وفي بعض صيغ الاشتقاق (تداعى) مكتوبة بشكل ـِ ي وليس هناك من تعليل لهذه الظاهرة إلا قدم نطق رمى بالامالة عنه مفتوحا [2] .

كما يتفق مع ما انتهى اليه الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه اللهجات العربية [3] اذ قال : ــ

« في مثل الفعلين باع وقال ، يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بها « بيع وقول » ثم تطور الصوت الأول « أ a » الى « e : » والصوت الثاني « au » الى « o : » أي أن فتحة فاء الكلمة في الفعل الاول قد أميلت الى الكسرة ، وأنها في الفعل الثاني قد أميلت الى الضمة ثم قال بعد ان نقل عن ابن جني أنواع الامالة : ــ

(١) الكشف جـ ١ ص ٩٦ واقول ان الامالة في هذه الكلمات قد رواها قتيبة عن الكسائي .
(٢) ص ٧ ، ص ٩ من كتاب الامالة لجرنيرت .
(٣) ص ٤٧ وما بعدها من كتاب اللهجات العربية .

« أشهر أنواع الامالة إمالة الفتح الى الكسر » وهذا النوع هو المراد بالامالة حين تطلق في كتب القراءات واللغة ، وعلى هذا اذا قيل لنا إن من أسباب إمالة ألف المدّ كونَ أصلها ياء كما في باع وجب أن نفهم من هذا ان الأصل اليائي قد تطور أولا الى الامالة ، ثم تطورت الامالة الى الفتح أي ان المراحل التي مر فيها مثل هذا الفعل باع هي : ـ

(بيع) ثم (إمالة) ثم (فتح)

فالصوت المركب « ai » قد تطور أولا الى : e ثم الى : a تلك هي المراحل التي تبررها القوانين الصوتية ، والتي لها نظائر في اللغات الأخرى، ولذلك نستطيع أن نرجح ان بعض الكلمات العربية التي اشتملت على ياء أصلية قد تطورت اولا الى إمالة ثم الى الفتح ، فالاصل إذن في مثل هذه الكلمات هو الامالة وقد تفرع الفتح عنها .

أما نحو « مارد وطارد ... » فالامالة فيه فرع عن الفتح « وذلكِ لأن الانسان الاول كان ينفق مجهودا عضليا أكثر مما ينفقه الانسان المتحضر فهذا الاخير مال الى السهولة في النطق ، والاقتصاد في الجهد العضلي ، ومن هنا تطور النطق (بمارد) واشباهها من الفتح الى الامالة ، اذ ان الانتقال من الفتح ثم الى الكسر في (مارد) أو بالعكس كما في كتاب يتطلب مجهودا عضليا أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض بأن تصبح متشابهة « لأن حركة الامالة أقرب الى الكسرة منها الى الفتحة » [1] « اذ ان الفتحة ـ طويلة أو قصيرة ـ تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة طويلة أو قصيرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ، فلما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسر ... فصار الصوت بين بين ، فاعتدل الامر بينهما ، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر فاعرفه » [2] .

---

(١) اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس ص ٤٨ .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٥ .

وهكذا تجد ان الانسجام الصوتي ، والاقتصاد في المجهود العضلي، كان سببا في التطور من الفتح الى الامالة في مثل هذه الكلمات • مارد ــ طارد ــ عالم ــ كتاب •• الخ •

كما كان الانسجام الصوتي سببا في الفتح مع حروف الاستعلاء في نحو « صاعد وضامن وطائف وظالم وغائب وخامد وقاعد ، لأن هذه الحروف منفتحة المخارج ، فلذلك وجب الفتح معها ، ورفضت الامالة فيها ، فكانت ألفها منصوبة غير ممالة لارادة تجانس الصوت [1] •

على أي حال كان اضطراب أقوال الأقدمين من القراء والنحاة في إصالة الفتح أو الامالة [2] • دليلا على انهم ادركوا ان الامالة أحيانا تكون لها الاصالة دون أن يهتدوا الى تعليل يعتمد على أسس علمية صحيحة ، وإنما عللوا بتلك العلل النحوية التي شغف بها النحاة زمنا والتي بدت واضحة فيما كتبوا وألفوا •

على أنه ليس أحد منهم قال بفرعية الفتح واصالة الامالة ، وإنما الذي حكى من اختلافهم في كتبهم : ــ

(ا) اصالة كل من الفتح والإمالة • [3]

(ب) اصالة الفتح وفرعية الإمالة • [4]

على ان نظرة المحدثين الى هذه المسألة تبين لنا كما تقدم اصالة الامالة وفرعية الفتح في بعض الحالات ، كما تبين لنا اصالة الفتح وفرعية الامالة في حالات أخر •

---

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٥٩ .
(٢) انظر ابراز المعاني ص ١٣٥ .
(٣) انظر ابن خالويه ج ١ ص ٣ والكشف ص ٨٠ والمبهج ص ١٢٩ والمفصل ص ٥٤ ج ٩ وابراز المعاني ص ١٣٥ وشرح الرضى على الشافية ص ٥ والنشر ج ٢ ص ٣٢ .
(٤) قد سبقت هذه العلل مع نصوصها .

واذا كنا قد انتهينا الى هذه النتيجة فيجدر بنا أن نعرض للداني فيما أورده في كتابه الموضح من الأدلة على اصالة الفتح وفرعية الامالة ، وما أطلقه من ذلك من غير تقييد لحالات دون أخرى ، ومناقشتنا لأدلة الداني تغني عن مناقشة أدلة غيره ممن تعرض للكلام في اصالة الفتح أو الامالة ، اذ كان الداني كما قلنا يمثل أقصى مرحلة من مراحل النصوص في هذا الموضوع ، جعلته معلمة يأخذ منه من جاء بعده من القراء والمؤلفين .

وسنورد أدلته ثم نأخذ في مناقشتها واحدا واحدا : ـ

قال (رحمه الله) : والفتح عند علمائنا الأصل ، والامالة فرع داخل عليه وذلك بدلائل خمسة : ـ

(أحدها) ان كل حرف يمال جائز ان يفتح ابتداء ، ولا يجوز أن يمال إلا عند وجود سبب يدعو الى إمالته كالياء والكسرة ونحوهما مما سنأتي به إن شاء الله تعالى .

(والثاني) أن الامالة تجعل الحرف بين حرفين ، وليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين ، وإنما الاصل أن يخرج كل حرف من موضعه خالصا غير مختلط بغيره .

(والثالث) ان إطلاق جميع النحويين القول بجواز رسم ما كان من ذوات الياء بالألف الذي الفتح منها ـ وإن لم يقع ـ فيه إشكال .

(والرابع) ان الكاتب اذا أشكل عليه الحرف فلم يدر أمن ذوات الياء هو أم من ذوات الواو رسمه بالألف لا غير .

(والخامس) أن الصحابة (رضوان الله عليهم) رسموا في المصاحف كلها الصلوة والزكوة والحبوة والنجوة وكمشكوة ومنوة الثالثة بالواو ، وأجاب عن ذلك النحويون قالوا : رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم فتوهموا لشدة الفخامة أنها واو فرسموها على ذلك ، ودل

هذا كله على أن الأصل هو الفتح • وإنما عدل عنه مـن اختار الامالة من القراء والعرب رغبة في أن يتناسب الصوت [1] اه كلام الداني •

أما الدليل الاول فلا نسلم للداني به ، ذلك لأن الامالة واجبة لا جائزة عند من هي في لغته ، فان قصد الداني ان كل حرف لا يمال عند قبيلة من القبائل فجائز أن يفتح عند قبيلة أخرى فذلك ما لا يؤيد الداني ، لأن محط الموازنة إنما يكون في القبيلة الواحدة لا بين القبائل المتعددة ، فلو ان قبيلة مّا كان في لهجة أفرادها الإمالة ، فإنها تلتزم ذلك ولا تفتح لقـول سيبويه « فان من يميل يلزمها ـ يقصد ناب ومال وباع ـ الامالة على كل حال [2]» وكذلك الحال في الفتح • وقول الداني « لا يجوز أن يمال الحرف إلا عند وجود سبب يدعو الى امالته كالياء والكسرة ••• » لا ينهض دليلا على ما أراد من أصالة الفتح وفرعية الامالة ، فكما أنه لا يكـون إمالة إلا لسبب كذلك لا يكون فتـح ولا تفخيم إلا بسبب ، ووجـود السبب لا يقتضي الفرعية ولا الأصالة [3] •

وأما قوله في **الدليل الثاني** ان الامالة تجعل الحرف بين حرفين وليس الأصل أن يكون الحرف بـين حرفين ••• الخ فانا نقول كذلك إن الألف المفخمة تجعل الحرف بين حرفين [4] بين الألف الخالصة والواو ـ والداني يعترف بذلك في الدليل الخامس [5] وكذلك الفتحة المفخمة بـين الفتحة الخالصة والضمة • على أن الحروف وإن كـانت عدتها ٢٩ فهنـاك حروف

---

(١) الموضح ورقة ٢٣ .
(٢) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٢ .
(٣) النشر ج ٢ ص ٣٢ .
(٤) شرح الشافية لابن الحاجب ج ٣ ص ٣٥٥ ، شرح المفصـل لابـن يعيش و ج ١٠ ص ١٢٧ .
(٥) راجع دليله الخامس فيما قبل .

أخرى مستحسنة منها ألف الامالة [1] والتفخيم [2] وقد عدها الصرفيون والنحاة متفرعة عن الألف الخالصة ، ولماذا لا يكون كل منهما أصلا ؟ وقد رأينا في مقاييس أصوات اللين الدولية أن كل مقياس أصل قائم بذاته مع ان « E , e » بين a , i وأن o , a بين u , a [3] ولو سلمنا جدلاً بفرعية ألف الترخيم فذلك ليس معناه فرعية لهجة الامالة وأصالة لهجة الفتح ، فهذان شيئان مغايران كل المغايرة لفرعية ألف الترخيم أو اصالتها .

ولا نسلم بأن جواز رسم اليائي بالألف الذي الفتح منها دليل على اصالة الفتح ، فقد أجاز النحويون تثنية الواوي بالياء في ربا وضحا فقالوا ربيان وضحيان فهل معنى ذلك أنّ الأصل في مثل هذه الكلمات الياء ؟

وقول الداني (في الدليل الرابع) ان الكاتب اذا أشكل عليه الحرف فلم يدر أمن ذوات الياء هو أم من ذوات الواو رسم بالألف لا غير ، هذا أمر طبيعي أقرب الى طبيعة النطق ، فالواو مثل (دعا) بالألف لفظا وخطا واليائي مثل (رمى) بالألف لفظا وبالياء خطا، فاذا اختلط على الكاتب اللفظ والخط رجح بطبيعة الحال النطق الملفوظ به وهو الألف لا على ان ذلك رجوع منه الى الأصل ؛ بل لأن ذلك ما يتسق مع طبيعة النطق ، ومن هنا رسم بعض الكتاب على الجارة بالألف [4] وليس لها اصالة في اليائية أو الواوية كما رسموا حتى في بعض المصاحف بالألف كذلك [5] .

واحتجاجه في (الدليل الخامس) برسم الصحابة الصلوة ونحوها بالواو على اصالة الفتح منفي بما يأتي : ـ

« لا شك ان كتبة المصاحف كانوا حجازيين ، والحجازيون مأثور عنهم

---

(١) شرح الشافية لابن الحاجب ج ٣ ص ٢٥٤ .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ١٠ ص ١٢٥ .
(٣) انظر الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس ص ٣٤١ .
(٤) راجع اللوحة المصورة من المصحف الكوفي وسترد فيما بعد .
(٥) الموضح للداني ص ٥ وانظر المصاحف للسجستاني ص ١٤٠ .

الفتح والتفخيم ، فهم ان كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة ... الخ بالواو فقد كان ذلك تأثرا منهم بلهجتهم ، ومطاوعة لألسنتهم ، [1] لا لكون الفتح أصلا والامالة متفرعة عنه ، فنحن متفقون مع الداني في التعليل لكتابة الصلوة ونحوها بالواو ، ومختلفون فيما يدل عليه ؛ فهو يتخذ ذلك دليلا على اصالة الفتح مطلقا ، ونحن نتخذه على فشو لهجة الفتح عند الحجازيين، دون ان يكون لذلك أي أثر في اصالة الفتح أو فرعية الامالة ، ولو كان كتبة المصاحف من التميميين أو القيسيين أو الأسديين [2] فهل كانوا يكتبون هذه الكلمات بالواو ...؟

أغلب الظن أنهم كانوا يرسمونها بالياء متبعين في ذلك لهجتهم التي يلتزمونها في الامالة .

وأما قوله في نهاية الدليل الخامس : وإنما عدل عن الفتح من اختار الامالة ، رغبة في أن يتناسب الصوت ، فنحن نقول بدورنا أيضا إنما يعدل عن الامالة الى الفتح رغبة في أن يتناسب الصوت كذلك وهو ما سنعرض له بالشرح والبيان في فصل « فقه أسباب الامالة » ان شاء الله .

---

(١) سنعود الى رسم المصحف في بيان مفصل في فصل تال ان شاء الله
(٢) هذه القبائل من لهجاتها الإمالة .

الفصل الخامس

من يميل من القبائل ومن لا يميل

كم كان يود الباحث في موضوع كموضوعنا يتصل باللهجات العربية أن يتعرف هذه اللهجات المختلفة بالتفصيل ؛ حتى يستطيع أن ينسب كل قراءة تتصل بلهجة من اللهجات الى قبيلة من القبائل ، ويتعرف مدى دوران كل لهجة من هذه اللهجات المختلفة في القراءات ، ولكن الباحث لا يظفر من ذلك إلا بالقليل مما دوِّن في بطون الكتب التي تعرضت ــ فيما تعرضت ــ للهجات القبائل ، وربما كان ذلك عرضا غير مقصود لذاته . وأهم ما يعين الباحث من هذا القليل المدون ــ في التعرف على هذه اللهجات ــ كتب اللغة كلسان العرب مثلا ، وكتب النحو كالكتاب لسيبويه ومن جاء بعده من النحاة، وكتب الأدب ككتاب «الكامل للمبرد» والبيان والتبيين للجاحظ ، وكتب التفسير كتفسير ابن جرير الطبري المسمى « جامع البيان في تفسير القرآن » والتفسير الكبير المسمى « بالبحر المحيط » لأبي حيان ، وكتب التاريخ كمقدمة ابن خلدون وتاريخه ولا سيما الجزء الاول منه ، ففي غضون هذه الكتب تعيين لبعض اللهجات التي ظهرت على الألسنة في القبائل العربية ؛ ومع ذلك إن الذي ذكر في هذه الكتب لا ينقع الغلة ، ذلك لأن العلماء في تدوينهم للغة ساروا جميعا على اعتبار « وحدة اللغة العربية » فلم يرجعوا الألفاظ التي جمعوها الى قبائلها ، ولم

يعنوا برد اللهجات على ألسنة المتكلمين بها، ولو فعلوا لظفرنا بالشيء الكثير من اللهجات المختلفة مردودة الى أصحابها معزوة اليهم ، ولأمكننا أن نكتب كتاب نحو اللهجات القديمة كاملا .

يقول أنو ليتمان :

«لو روى العلماء القدماء كل ما يخص اللهجات ، وأضافوا اليه كل أسماء العشائر والتواريخ التي كانت تستعمل فيها اللغات لأمكننا أن نكتب كتاب نحو اللجات القديمة كاملا ، ولكن ما يمكننا الآن هو اقتباس بعض اللغات واللثغات من الأدب ومن شروح الأدب فقط [1] .

نعم ، جمع هؤلاء العلماء اللغة من القبائل العربية ، فورثنا عنهم كثيرا من **المترادفات** وكثيرا من **الصيغ المختلفة للكلمة** الواحدة غير منسوبة الى القبائل الناطقة بها ، فمن أمثلة المترادفات ما نقوله في معنى « قصير » مثلا . فأبو عمرو بن العلاء ، والأصمعي ينقلان : « حنبل ، وحزنبل » وابن الأعرابي ينقل « حنزاب وكهمس » والكسائي والفراء ينقلان « بحتر وحبتر » ، والليث وابن دريديرويان « حنتار وحندل » [2] فلم ينسب واحد من هؤلاء الجامعين الكلمة التي رواها الى القبيلة التي نقل عنها ، وهذه النقول المختلفة لمرادف « قصير » : (بحتر ــ حبتر) و (حنتار ــ حندل) وإن كان للغوي الحديث يستفيد منها فائدة ما ، فان الباحث في موضوعنا لا يستفيد من معرفة هذه الألفاظ المرادفة لكلمة قصير ؛ لأن هدفه إنما هو معرفة القبائل التي استخدمت هذه المترادفات .

ومن أمثلة الصيغ المختلفة في بناء الكلمة الواحدة قول العرب « الصِّداق والصَّداق ، والصَّدُقة ، والصُّدْقة « وقولهم » الشِّمال ،

---

(١) بقايا اللهجات العربية في الادب العربي بقلم الاستاذ الدكتور انوليتمان فصلة من مجلة كلية الآداب ص ٤ .

(٢) فقه اللغة للثعالبي ص ٢٧ ــ طبعة مصطفى محمد .

والشَّمَل ، والشمِل ، والشأمل والشِّمل [1] فهذه الثروة اللغوية على ما لها من فائدة في قرض الشعر مثلا ــ لا تعرفنا أكانت هــذه الصيــغ أو بعضها لقبيلة واحدة أم كانت كل كلمة منها لقبيلة ، وعلى أي حال لا تعرفنا شيئا عن أسماء القبائل التي استعملتها • ومــن هنــا ايضا ورثنــا للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين [2] ، وللعسل ثمانين [3] وقد جمع حمزة بن حسن الاصفهاني من اسماء الدواهي ما يزيد على اربعمائة : وذكر ان تكاثر اسماء الدواهي من الدواهي [4] •••!!

والمهم عند جامعي اللغة أن يكون ما جمعوه مــن كلام العرب بقطع النظر عن كونه كلام قبيلة بعينها [5] فان الغرض الذي كانوا يسعون اليه من جمع اللغة هو خدمة الكتاب والسنة والوقوف على اسرارهما ، ولم يكن في نسبة اللهجات الى قبائلها ما يزيد هذا الموضوع وضوحا لديهم •••

جاء في مقدمة ابن خلدون (٧٣٢ ــ ٨٠٨هـ) لما جاء الاسلام وفارق العرب الحجاز لطلب الملك الذي كان فــي ايدي الأمم والدول ، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالفات التي للمستعربين ••• ففسدت بما ألقي اليها مما يغيرها لجنوحها اليه باعتياد السمع ، وخشي أهل العلوم منهم ان تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم [6] ••• ولما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالاعراب ، واستنبطت القوانين لحفظها ، ثم استمر

---

(١) الصاحبي لابن فارس ص ٣٨ ــ مطبعة المؤيد سنة ١٩١٠ .
(٢) المزهر للسيوطي ج ١ ص ١٨٩ ــ مطبعة صبيح .
(٣) المزهر للسيوطي ج ١ ص ٢٤٢ .
(٤) فقه اللغة للثعالبي ص ٤٥٨
(٥ كثيرا ما نجد في كتب اللغة التعبير الآتي :
« من سنن العرب كذا وكذا ــ انظر ص ٥٦٤ وما بعدها مــن فقه اللغة للثعالبي او العرب تقول كذا وكذا ــ انظر ص ٢٢١ من الصاحبي لابــن فارس وما بعدها ، وص ٥٧٩ من فقه اللغة للثعالبي .
(٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٦ ــ مطبعة مصطفى محمد .

ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد الى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ، ميلا مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ـ احتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين ؛ خشية الدروس «وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان بذلك ، وأملوا فيه الدواوين ... (١)

وقد نقل السيوطي في المزهر عن الفارابي في خطبته ديوان الادب ما يؤيد ابن خلدون في رأيه اذ يقول (الفارابي) : « القرآن كلام الله وتنزيله » فصّل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم مما يأتون ويذرون ، ولا سبيل الى علمه وادراك معانيه الا بالتبحر في هذه اللغة » (٢) .

حتى العلماء الذين رحلوا الى البادية يأخذون عن اعرابها لم تذكر كتب أسماء القبائل التي رحلوا اليها ، فهذا ابو عمرو بن العلاء يقول « سمعت أعرابيا يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها...(٣) فمن ذلك الاعرابي.؟ والى أي قبيلة ينتسب .؟ لم يكن ذلك مهماً عند أبي عمرو بقدر أهمية ان ذلك الكلام من كلام الأعراب .

وهذا يونس بن حبيب البصري يذكر عنه أبو البركات الانباري (٥٧٥ هـ) « انه سمع من العرب » (٤) فمن هؤلاء الذين سمع عنهم يونس ابن حبيب البصري .؟ لم يكن ذلك مُهِمًّا عند من روى اخبار يونس . والذين نقل عنهم الانباري والخليل ـ وقد سأله الكسائي « من أين علمك هذا ..؟ » يقول « من بوادي الحجاز ونجد وتهامة » . فخرج الكسائي

---

(١) من المصدر السابق ص ٥٤٨ .
(٢) المزهر ج ٢ ص ١٩٣ .
(٣) نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي البركات الانباري ص ٢١ ـ اخراج جمعية احياء مآثر علماء العرب .
(٤) المصدر السابق ص ٣٢ .

وأنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى مـا حفظه » [1] فلم يبين الخليل أي هذه القبائل الساكنة في بوادي الحجاز ونجد وتهامة .. بل هي معظم قبائل العرب ، فاجابة الخليل مبهمة لا تحدد قبيلة بعينها ، ثـم يخرج الكسائي فينفذ خمس عشرة قنينة من الحبر في الكتابة عن العرب ، دون أن يبين النص هذه القبائل التي كتب عنها الكسائي .

ومن الحق أن نذكر ان جامعي اللغة لم يعينوا القبائل لا جهلا منهم بها ولكنهم تركوا ذلك ، لأنه لم يكن في حسابهم ، ولأن ذيوعها علـى ألسنة المتكلمين بها جعلها متعاورة بينهم . قال الصاحبي بعد ان ذكر اختلاف لغات العرب : « وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى أصحابها لكن هذا موضع اختصار ، وهي إن كانت لقوم دون قوم إنها لمّـا انتشرت تعاورها كل » [2] فلم تعد اللهجات متميزة كل التمييز .

واذا كان الباحث يلقي هذه العقبات في التعرف على اللهجات العربية بوجه عام فأمامه عقبات اكثر حين يبحث في موضوع الامالة ، ذلـك لأن الامالة لهجة من هذه اللهجات التي لم تحظ بنسبها الى القبائل الناطقة بها إلا بمقدار يجيء في كتب النحو واللغة عرضا غير مقصود ، وتزيد على هذه اللهجات صعوبة في أنها لا يسهل تسجيلها في الرواية المكتوبة [3] ، فمن العسير محاولة استطلاع شواهد بها امالة من مجموعات الشعر الغزيرة التي لدينا ، ومما يقلل الاهتمام بها انه لا يترتب عليها شيء من اللحن الذي كان

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣ .

(٢) الصاحبي لابن فارس ص ٢٢ .

(٣) يقول الاستاذ ماتسون « وقام جدال كبير حول ما اذا كانت الامالة ترسم في الخط العربي بياء في آخر الكلمة ، ولكن لا يمكن القطع في ذلك برأي، وان كان بروكلمان في كتابه (Grammatik, Grundriss) قال انها كانت ترسم كذلك ، ولا توجد في المخطوطات علامة خاصة بها ، أما فـي الكتب المطبوعة فيدل عليها عادة بالف تحت الحرف المـال (دائرة المعـارف الاسلامية مادة امالة) وسنعرض فصلا خاصا لعلامات الامالة الخطية .

النحويون يعنون بتوقيه ، وبضبط القواعد للاحتياط منه . نحن نعرف ان الامالة لغة لبني تميم وأسد وقيس [1] . وان في كل قبيلة من هذه القبائل شعراء كانوا يتبعون قبائلهم في لهجاتهم فالامالة يلتزمها الشاعر المميل اذا ما نطق بنظمه من شعر .

فالمخبل السعدي التميمي حين يقول مادحا عطفة بن هوذة :

أعرفت من سلمى رسوم ديار بالشط بين مخفق وصُحار
وكأنما أثر النعاج بجوها بمدافع الركبين ودع جوار [2]

حين ينشد التميمي تلك الابيات فان مقتضى لهجته أن يميل الكلمات « سلمى ، وديار ، وصحار ، وسائر الكلمات التي في نهاية هذه الأبيات » . وكذلك يفعل في شعر قيس بن عاصم التميمي فيميل ، بني واحياوران في قوله :

إنما المجد ما بنى والد الصد ق واحيا فعلَه المولود
وتمام الفضل والشجاعة والسلم اذا زانه عفاف وجود [3]

وكذلك شاعر اسدي مثل عبيد بن الابرص مثلا ، يروى له هذه الابيات وفيها كلمات ذكر النحاة انها تمال عند أسد :

فيهن هند التي هام الفؤاد بها بيضاء آنسة بالحسن مرسومة

---

(١) كتب النحو والقراءات وانظر ما سيأتي في هذا الفصل .

(٢) وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياء جاهلة عن الاخبار
فكأن عيني غرب ادهم داجن متعود الاقبال والأدبار
فجزى الإله سراة قومي نضرة وسقاهم بمشارب الأبرار
قوم اذا خافوا عثار اخيهم لا يُسلمون اخاهم لعثار
امثال علقمة بن هوذة اذ سعى يخشى على متالف الأبصار
اثنوا عليّ واحسنوا وترافدوا لي بالمخاض الهزل والأبكار
مهذب الاغاني ج ٢ ص ١٦٤ ـ مطبعة مصر .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٦ .

فبرقها حرق ، وماؤها دفق وتحتها ريـق،وفوقها ديمة
فذلك الماء لو أني شربت به اذا شفى كبدا شكاءً مظلومة[1]

ولكنا لا نجد أثرا للامالة فيما وصل الينا مـن اشعارهم [2] ؛ لأنهـا وصلتنا مكتوبة لا منطوقة • فلم يبق لدينا سوى الرجوع الى كتب القراءات والنحو في باب الامالة لنستخرج منها من عينوه مـن القبائل المميلة ، وما ذكروه من الشواهد التي لا بد أنهم اعتمدوا فيها على الرواية الصوتية •

وما ورد في كتب النحاة والقراءات يدلنا على ان أصحاب الامالة من القبائل هم تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد ، وهم لا يختلفون في ذلك ، فعباراتهم تكاد تكون واحدة إلا ما كان من صاحب الهمع اذ نقل عـن أبي حيان قوله « حكى صاحب الغنية وهو أبـو يعقوب يوسف بـن الحسن الاستراباذي في هذا الكتاب عن أبي بكر بـن مقسم ان بعض أهل نجـد واكثـر اليمـن يميلـون **الف حتى لان الامالة غالبة في السنتهم في اكثر الكلام** » [3] •

وإلا ما اورده السيوطي ايضا في الهمع اذ زيد على هذه القبائل المميلة « يمامة أهل نجد » حيث قال : العرب مختلفون في ذلك ، فمنهم من امال وهم تميم وأسد وقيس **ويمامة** اهل نجد » [4] والتحقيق ينفي « يمامة » ويستبدل بها « عامة » (*)

(*) لوجوه :
الوجه الاول : ورود كلمة « عامة » او مـا في معناها في الكتب السابقة للسيوطي واللاحقة له ، فابن يعيش (٦٤٣ هـ) يقول في شرح المفاصل « عامة=

---

(١) من مهذب الاغاني ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ مطبعة مصر سنة ١٩٢٥ « الحرق السريع » والدفق السائل . والريق أول المطر . والديمة المطر الدائـم اليوم والليلة أو اليومين والليلتين أو الثلاثة .
(٢) عقدنا فصلا لعلامات الامالة الخطية فليرجع اليه .
(٣) جمع الهوامع للسيوطي : ٢/٢٠٤ .
(٤) جمع الهوامع للسيوطي ج ٢ ص ٢٠٤ مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ .

= اهل نجد من تميم واسد وقيس يسرون الى الكسر من ذوات الياء في نحو يشاء وخاف وجاء وكاد ... » (١)

وابو شامة الدمشقي (٦٦٥ هـ) في ابراز المعاني يقول « الفتح لغة اهل الحجاز والامالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس واسد (٢) .

وابن الجزري (٨٨٣ هـ) يقول في النشر :

« الامالة لغة عامة اهل نجد من تميم واسد وقيس . (٣)

والاشموني في شرحه على الالفية يقول :

« واما اصحابها (اي الامالة) فتميم ومن جاورهم من سائر اهل نجد كأسد وقيس » (٤) .

والشيخ خالد يقول في التصريح على التوضيح :

« أما اصحابها فتميم وقيس واسد وعامة نجد » (٥) .

الوجه الثاني : ورود كلمة « عامة في كتاب آخر للسيوطي نفسه هو « الاتقان في علوم القرآن » حيث قال :

« والامالة لغة عامة اهل نجد من تميم واسد وقيس (٦) .

الوجه الثالث : ان يمامة لا تنطق بدون (ال) وانما هي في كلام العرب « **اليمامة** » وقد وردت في كتاب الاغاني فيما يقرب من ثمانين مرة وكلها بالألف واللام ، ويقول ابن خلكان « اليمامة بلدة بالحجاز في البادية .. » (٧) .

ويقول الالوسي « هي مدينة دون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في المقدار .. وهي اكثر نخلا من بلاد الحجاز » (٨) وتطلق ايضا على اقليم قائم بذاته في شبه الجزيرة العربية قال الالوسي « والحجر » بكسر الحاء المهملة هي الى الجنوب من دومة الجندل وكانت بها ديار ثمود ، اما الحجر بالفتح فهي في **اليمامة** بقرب مدينة **اليمامة** : (٩)
=

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٤ المطبعة المنيرية .
(٢) ابراز المعاني لابي شامة ص ١٥٢ ـ مطبعة الحلبي .
(٣) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٠ مطبعة مصطفى محمد .
(٤) شرح الاشموني « الجزء الرابع » ص ٤٣٨ طبعة صبيح .
(٥) التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ١١٤ المطبعة الكستلية سنة ١٢٧٩ هـ .
(٧) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٣ مطبعة السعادة سنة ١٩٤٨ م وانظر ايضا ج٤ ص١٩٣ القاموس المحيط مادة « اليم » .
(٨) من بلوغ الارب للالوسي ج ١ ص ١٦٦ المطبعة الرحمانية ١٣٤٣ هـ .
(٩) المصدر السابق ج ١ ص ٢١١ .

وقبل الانتقال الى القبائل التي لا تميل يجدر بنا ان نناقش ما نقله السيوطي من « جمال القراء عن صفوان بن سالم انه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ « يا يحيى » فقيل له : يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش ... ؟ فقال هي لغة الاخوال بني سعد . [1]

وهذا إن صح نص صريح على أن قبيلة سعد بن بكر تميل [2] ، غير اني أرجح ان هذا الحديث موضوع :

اولا ــ ليس فيمن يروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) شخص بهذا الاسم ، ففي الاصابة في تمييز الصحابة يذكر تسعة وعشرون رجلا باسم صفوان ليس فيهم من هو ابن سالم . [3]

ثانياً ــ ليس هناك من رجال الحديث الذين لم يروا عن الرسول مباشرة وتلقوا عنه من اسمه صفوان بن سالم .

وابن الجزري وقد ترجم للقراء الذين أخذوا عن الرسول لم يرد في كتابه « غاية النهاية في طبقات القراء » أي ذكر عن صفوان بن سالم هذا ،

= فاذا قيل « يمامة اهل نجد » كان ذلك خلطا لا يقبله العقل ولا الطبيعة الجغرافية لكل من اليمامة ونجد في بلاد العرب .

يتضح اذن ان القبائل المميلة باجماع النحاة : « عامة اهل نجد من تميم واسد وقيس » ، وان « يمامة » الواردة في همع الهوامع للسيوطي صحتها « عامة » ، ولا بد ان يكون ذلك خطا كتابيا من النساخ او مطبعيا سببه ما بين الكلمتين من تقارب في الرسم .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ١١٤ .

(٢) جاء في كتاب « اللهجات العربية » للدكتور ابراهيم انيس ان قبيلة سعد ابن بكر تفتح ولا تميل .
انظر ص ٤١ . وربما تعرضت لذلك بالشرح فيما بعد .

(٣) الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٨٧ ــ ١٩٢ ــ مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

بل لم يرد في الكتاب كله ترجمة لمن اسمه صفوان الا صفوان المدني، وكل ما قاله عنه :

« صفوان المدني غير منسوب، روى القراءة عن نافع ابن ابي نعيم [1]» ونافع بن نعيم أخذ القراءة عرضا عن جماعة من تابعي اهل المدينة [2] فهو لم يدرك النبي حتى يروى عنه ، فأولى ألا يروى صفوان المدني عن النبي فعلى فرض ان صفوان المدني هو صفوان بن سالم فليس هو الذي روى عن النبي مباشرة وبهذا يجرح الحديث .

هذا الى ان الحديث لم يرو في كتب الصحاح الستة ، ولم يروه القرطبي (٦٧١ هـ) في كتابه « التذكار في أفضل الأذكار » [3] ، ولا ابن كثير (٧٧٤هـ) في كتابه « فضائل القرآن » [4] على شدة عناية هذين العالمين في كتابيهما بالأحاديث الصحيحة التي تتعلق بالقرآن كتابة وجمعا وتلاوة وهديا وأداء .

وما ذكرنا كاف في استبعاد هذا الحديث ، على أننا زيادة في التحقيق بحثنا عن سالم الذي يذكر الحديث المذكور على أنه أب لصفوان فلم نجد من القراء من اسمه سالم غير سالم مولى ابي حذيفة الصحابي الكبير ، وسالم كما يقول ابن الجزري في طبقات القراء هو الذي وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، وكان أحد الاربعة الذين قال النبي عنهم « خذوا القرآن من أربعة » عبدالله بن مسعود ، وابي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى ابي حذيفة ، (رضي الله عنهم) ، فالاولى بالرواية في حروف القرآن

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري جـ ١ ص ٣٣٦ مطبعة السعادة ١٩٣٢ ، و جـ ٢ ص ٣٣١ من المصدر السابق .
(٢) جـ ٢ ص ٣٣١ من المصدر السابق .
(٣) لابي عبدالله القرطبي المفسر طبعة الخانجي سنة ١٣٥٥ هـ .
(٤) للحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي مطبعة المنار سنة ١٣٤٨ هـ .

سالم لا صفوان ، على ان سالما ، لم يرو إلا حديثا واحدا في كتاب احوال القيامة وقال ابن الجزري « ولا اعلم له غيره » [1] .

وقد اورد السخاوي (٦٤٣ هـ) في جمال القراء [2] هذا الحديث وذكر انه عن صفوان بن عسال ، فعلى فرض صحة هذا السند الاخير إن الباحث يشك كثيرا في ان يكون هذا اللفظ الاصطلاحي في الإمالة مستعملا في عهد الرسول ، وإذن ورود كلمة « تميل » في الحديث أبعدته عن الصحة ، وقربته من الوضع .

على أنه بالرغم من كل ما قلناه في تجريح هذا الحديث سندا ومتنا ـ إنه من الثابت ان سعد بن بكر تميل ، ذلك لأنها فرع من فروع قيس ، جاء في صبح الأعشى « من قبائل قيس هوازن ، وفي هوازن بنو سعد الذين كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رضيعا فيهم [3] ، وسعد بن بكر من بطون هوازن بن منصور ، وهم رضعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) [4] وقد ذكر ابن الجزري نقلا عن كتاب « الكامل » لأبي القاسم الهذلي ان « الامالة لغة هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر » [5] .

وشيوع الإمالة في قبيلة لا يقدح في فصاحتها ، ويبدو لنا ان المقصود بالكسر في عبارة السيوطي في المزهر : « ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم : ـ أي قريش ـ عنعنة تميم ، ولا عجرفية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة ، **ولا كسر اسد وقيس** [6] ـ ليس الإمالة في الحرف بل

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٣٠١ .
(٢) جمال القراء للسخاوي مخطوط بدار الكتب برقم ٩ قراءات م .
(٣) صبح الاعشى مطبعة دار الكتب جـ ١ ص ٣٤ .
(٤) نسب عدنان وقحطان لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ص ١٣ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ .
(٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ص ٦٠ المطبعة الوطنية سنة ١٣٥٠ هـ .
(٦) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ١٢٧ .

الكسر في حركة حرف المضارعة ، ولما كانت سعد بن بكر من هوازن ، وهوازن من قيس فقد يسبق الى الذهن ان سعد بن بكر تكسر حرف المضارعة ، وهذا الكسر من غير شك غير فصيح ، فجدير بلغة سعد بن بكر الفصيحة أن تتنزه عنه ، وليس لدينا في اللغة الفصيحة ما يكسر فيه حرف المضارعة سوى إخال • ولأن عمرو بن العلاء يُعد أفصح العرب عليا هوازن، وأبو عبيد يعد عليا هوازن سعد بن بكر [1] فالنتيجة الصحيحة لهذه المقدمة أن سعد بن بكر أفصح العرب ، أو على الاقل قرينة قريش في فصاحتها فمن المنتظر ان تتنزه عما يعده العرب مجافيا للفصاحة وهو الكسر المراد به كسر حرف المضارعة • لا الإمالة التي نحن بصدد الحديث عنها •

وتضطرب النصوص في التحدث عن أهل الحجاز أمميلون هم أم غير مميلين •••

ولنستعرض الآن نصوص النحاة والقراء لعلنا نظفر بشيء يهدينا الى وجه الحق في هذا الموضوع •

فابن يعيش في (٦٤٣ هـ) في شرح المفصل [2] والرضى (٦٨٧ هـ) في شرح الشافية [3] ، وابو شامة (٦٦٥ هـ) في ابراز المعاني [4] يذكرون ان الفتح لغة اهل الحجاز ، بل إن عبارة الرضى نصها « أهل الحجاز لا يميلون » [5] •

على حين ان سيبويه [6] وطائفة من النحاة المتأخرين يقررون

---

(١) الصاحبي لابن فارس ص ٢٨ ، وعليا هوازن اربع قبائل هي سعد بن بكر، وجشم بن بكر ، ونضر بن معاوية ، وثقيف .
(٢) جـ ٩ ص ٥٤ .
(٣) جـ ٣ ص ٤ .
(٤) ص ١٥٢ .
(٥) جـ ٣ ص ٤ .
(٦) الكتاب جـ ٢ « باب الامالة » .

« ان الحجازيين يميلون في مواضع قليلة » (١) .

ويقول ابن الانباري (٥٧٧هـ) في أسرار العربية: وهي ــ أي الإمالة ــ تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بني تميم وغيرهم (٢) .

وجاء في الارتشاف لأبي حيان (٧٤٥ هـ) ان اهل الحجاز وكثيرا من العرب لا يميلون الياء . وان أهل الحجاز يميلون الكسرة (٣) .

وقد تعرض الدكتور ابراهيم أنيس لمذهب الحجازيين في الفتح فقال في كتابه « اللهجات العربية » « أجمع علماء العربية على نسبة الفتح لأهل الحجاز (٤) ، ثم قال في موضع آخر : والفتح واجب عند من لا يستطيعون غيره كمعظم الحجازيين (٥) وهناك فرق واضح بين تعبير الدكتور ابراهيم أنيس « إن الفتح لهجة معظم الحجازيين » وقول النحاة « إن الحجازيين يميلون في مواضع قليلة » فالكثرة والقلة في تعبير الدكتور أنيس منصبتان على الأفراد المتكلمين ، بمعنى ان هناك طائفة كبيرة من الحجازيين يفتحون ، وطائفة بجانبها قليلة يميلون ، والكثرة والقلة في تعبير النحاة منصبتان على الكلمات يميلها الحجازيون **جميعا** ، وبجانبها طائفة كبيرة يفتحها الحجازيون **جميعا** . وسنرى النصوص المنقولة عن علماء العربية الاولين مترددة بين المفهوم من التعبيرين .

ولنستعرض الآن نصوص القدامى ؛ لعلنا نتعرف هذه المواضع التي أمالها الحجازيون . يقول سيبويه (١٨٣ هـ) :

ومما يميلون ألفه كل شيء من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا

---

(١) همع الهوامع للسيوطي ج ٢ ص ٢٠٠ ، شرح الاشموني ج ٤ ص ٤٣٨ ، من التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٢) اسرار العربية ص ١٦٠ .
(٣) ارتشاف الضرب ص ٢٠٨ ــ لابي حيان .
(٤) اللهجات العربية ص ٤٠ ــ مطبعة الرسالة .
(٥) المصدر السابق ص ٥٠ .

كان اول فعلت مكسورا نحوا نحو الكسرة ، كما نحوا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء وهي لغة لبعض اهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون، ولا يميلون ما كانت الواو فيه عينا إلا ما كان منكسر الاول وذلك خاف وطاب وهاب [1] .

وجاء في الكتاب لسيبويه ايضا :

بلغنا عن ابن أبي اسحق انه سمع كثيِّر عزة يقول « صار بمكان كذا وكذا ثم قال بعد :سطر : وقالوا : مات وهم الذين يقولون مِتُ ، ومن لغتهم صار وخاب » [2] .

ويقول الفراء (٢٠٧ هـ) :

« أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد وما كان من ذوات الياء والواو ، قال : وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يسرون الى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء ، ويفتحون في ذوات الواو مَثل قال وجال » [3] .

وكلام الفراء هنا صريح في ان الحجازيين لا يميلون شيئا من الافعال الجوف ألبتة سواء أكانت واوية مطلقا أم يائية .

أما سيبويه فإنه لا يطلق القول هذا الاطلاق : بل يفصِّل فيه بعض التفصيل، فالحجازيون فيما يرويه يميلون ما يؤول الى « فِلت » سواء أكان واوياكخفت أم يائيا كجئت ، ولا يميلون ما يؤول الى « فُلت » .

فنحن الآن امام نصين ــ نص سيبويه ، ونص الفراء ، ومن هذين النصين أمام ثلاث طوائف من الأفعال الجُوف .

---

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) شرح المفصل ــ لابن يعيش ج ٩ ص ٥٤ .

(ا) أفعال واوية لا ينكسر أوائلها عند اسنادها لضمير الرفع كقال وجال .

(ب) أفعال واوية ينكسر أولها عند اسنادها لضمير الرفع وذلك خاف .

(ج) أفعال يائية وذلك طاب وصار وخاب .

فالفراء يعطي عموما ، اذ يقرر ان الحجازيين يفتحون هذه الافعال الجوف جميعا ولا يميلون شيئا منها ألبتة ، وان عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يفتحون في ذوات الواو مطلقا سواء ما يؤول منها إلى فِلت أو فَلت،ولا يميلون إلا ذوات الياء من هذه الافعال .

وسيبويه يعطي تفصيلا ، اذ يقرر ان بعض أهل الحجاز يميل الطائفتين الأخيرتين من الأفعال السابقة (ب ، حـ) ، أي أن دائرة الإمالة عند بعض الحجازيين تتسع في كلام سيبويه عن دائرتها عند عامة أهل نجد ــ وهم المشهور عنهم الإمالة ــ في كلام الفراء .

ثم يبدو في نص سيبويه شيء من الاضطراب ، ذلك لأنه بعد ما قرر ان بعض الحجازيين يميلون ما كان مثل خاف وطاب عاد فقال :

وأما العامة فلا يميلون ، ولو سكت ولم يزد لكان كلامه خاليا من اضطراب ولكنه قال :

« ولا يميلون ــ والمفهوم ان الضمير هنا يعود على عامة أهل الحجاز ــ ما كانت الواو **فيه عينا الا ما كان منكسر الاول وذلك خاف وطاب وهاب** » .

ويفهم من هذا ان عامة أهل الحجاز يتفقون مع بعض أهله في إمالة خاف وطاب وذلك بعد ان قرر أنهم يختلفون معهم في ذلك ...

ويأتي أبو حيان في ارتشاف الضرب فيقول : ــ

الإمالة في نحو طاب وجاء وشاء مما هو على فعَل يفتح العين ، وهاب

وخاف مما هو على فعِل بكسرها لبعض الحجاز يوافقون بنـي تميم قـال : وعامتهم فرق بين ذوات الواو نحو خاف فلم يمل ، وبين ذوات اليـاء نحو طاب وهاب فأمال . (١)

ويتابع الأشموني أبا حيان فيقول في شرحه على الألفية لابن مالك :ـ

نقل عن بعض الحجازيين إمالة نحو خاف وطاب وفاقا لبنـي تميـم ، وعامتهم يفرقون بين ذات الواو نحو **خاف** فـلا **يميلون** ، وبين ذوات الياء نحو **طاب** فيميلون (٢) .

ونرى أن أبا حيان والأشموني من بعده ـ قد ازالا الاضطراب الظاهر في نص سيبويه ، ولكن تفصيل كل منهما فيما نقله عـن **عامة الحجازيين** من التفريق بين **خاف وطاب** ـ لا يعين عليـه نص سيبويه ألبتة ، ورجْـعُ الضمير في قوله : « ولا يميلون » .

وتوضيحا لهذه المذاهب نقدم خلاصة النصوص السابقة في الجدول الآتي ؛ ليعرف في يسر موضع الخلاف بين الفراء وسيبويه ، وتوجيه كـل من أبي حيان والأشموني .

طوائف الأفعال الجوف	الفـراء		سيبويـه			أبو حيـان والأشموني		
	الحجازيون	تميم واسد وقيس	الحجازيون		تميم واسد وقيس	الحجـازيون		تميم واسد وقيس
			بعضهم	عامتهم		بعضهم	عامتهم	
ا) قال وجال	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح	بالفتح
ب) خاف	بالفتح	بالفتح	بالإمالة	بالإمالة وبالفتح	بالإمالة	بالامالة	بالفتح	بالامالة
ـ) طاب	بالفتح	بالإمالة	بالإمالة	بالإمالة وبالفتح	بالإمالة	بالإمالة	بالإمالة	بالإمالة

(١) ارتشاف الضرب ص ٢٠٩ .
(٢) منهج السالك ج ٤ ص ٢١٠ .

والنتيجة :

١ ــ أنه لا خلاف بين الحجازيين وغيرهم في فتح ما كان مثل قال وجال من الأفعال الجوف عند الفراء وسيبويه •

٢ ــ يقع الخلاف في الطائفتين الآتيتين :

(ا) الحجازيون يفتحون **خاف وطاب** في نص الفراء ، وبعض الحجازيين يميلونهما في نص سيبويه ، ويقع الاضطراب في كلام سيبويه عن عامتهم •

(ب) تميم وأسد وقيس يفتحون خاف في نص الفراء ، ويميلونها في نص سيبويه • ومعنى هذا أن دائرة الإمالة عند بعض الحجازيين تتسع في كلام سيبويه عن دائرتها عند عامة أهل نجد وهم المشهور عنهم الإمالة في كلام الفراء •

٣ ــ يزيل أبو حيان الاضطراب الواقع في نص سيبويه :

فخاف يميلها بعض الحجازيين ويفتحها عامتهم • وطاب يميلها الحجازيون جميعا •

على أنه يجب أن نفصل القول في الشواهد والأمثلة الواردة في كتب النحاة والقراء ــ على ما سيأتي فيما بعد ــ ؛ لنستطيع تفهم هذه الآراء ، وترجيح رأي على آخر ، فالشواهد التي ذكرها سيبويه وتابعه من بعده النحاة ربما عينت لنا القبائل المميلة ، وكشفت عن طبيعة النطق عند بعض الحجازيين أيفتحون أم يميلون •

وقبل أن نعرض لهذه الشواهد بالدرس يجدر بنا أن نبدأ ببيان القبائل التي تميل،ويمكن ان نستخلص من الكتاب لسيبويه الممال من الكلمات وغير الممال منسوبا الى القبائل التي ذكرها سيبويه على النحو الآتي : ــ

١ ــ قال سيبويه : إن أهل الحجاز لا يميلون الالف في نحو سربال وشملال وعماد وكلاب [١] ، ولكنك تقول ، الاسوداد فيميل الالف ههنا من أمالها في الفعال لأن وداد بمنزلة كلاب » [٢] .

٢ ــ عند الكلام على الإمالة في الافعال الثلاثة الواوية كغــزا وصفا ودعا يذكر سيبويه انه « اذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو فالإمالة مستتبة ؛ لأنها قد خرجت الى الياء ، وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بني تميم وغيرهم » [٣] . وهو هنا يكتفي بذكر من لا يميلون من بني تميم من غير ان يحدد لنا « غيرهم » الذين يشاركونهم في عدم الإمالة، بل هو لم يحدد لنا البطون التي تميل والتي لا تميل من بني تميم أنفسهم .

٣ ــ باب « معزى وحبلى » لم يحدد سيبويه القبائل المميلة ولا غير المميلة في هذا الباب بل كان تعبيره : ومما يميلون ألفه كل اسم كانت في آخره ألف زائدة للتأنيث أو لغير ذلك ؛ لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء... وناس كثير لا يميلون الالف ويفتحونها يقولون « حبلى ومعزى » [٤] .

٤ ــ باب « خاف وطاب وهاب وصار » الإمالة فيه لغة لبعض أهــل الحجاز ، وأما العامة فلا يميلون [٥] وهو هنا يتركنا كذلك بدون تحديد لهذا البعض الذي يميل من أهل الحجاز .

٥ ــ باب « كيال وبياع » يقول سيبويه « وسمعنا بعض مــن يوثق بعربيته يقول « كيال كمــا ترى فيميل ، وإنما فعلوا هــذا لأن قبلهــا ياء فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها نحو سراج وجمال ، وكثير مــن

---

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٥٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٦٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٦٠ .
(٤) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦١ .
(٥) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦١ .

العرب واهل الحجاز لا يميلون هذه الالف » [1] •

ولم يذكر سيبويه من ذلك البعض الموثوق بعربيته الذي يميل • ومن هؤلاء العرب الكثيرون الذين لا يميلون الالف في هذا الباب ••• [2] •

٦ ــ وعند الكلام على التفرقة بين مثل عدا ومنا مما فيه حاجز واحد بين الكسرة والالف وبين ما هو من باب رأيت عنبا مما فيه حاجزان قويان بين الكسرة والالف يقول سيبويه : ان الذين يميلون فــي الطائفة الاولى بنو تميم، ويقوله ايضا قوم من قيس وأسد ممن ترتضي عربيته [3] • ومع اعترافنا له بقدر من التحديد في ذكر قبيلتي قيس وأسد نرانا ما زلنا نجهل بطون هاتين القبيلتين التي تميل والتي لا تميل •

(نتائج العرض السابق لنصوص سيبويه)

١ ــ أهل الحجاز لا يميلون الالف في سربال وشملال ، وعماد وكلاب والاسوداد •

٢ ــ ناس كثير من بني تميم وغيرهم لا يميلون الاسمــاء اذا بلغت اربعة احرف او جاوزت من بنات الواو •

٣ ــ لم يحدد سيبويه القبائل المميلة وغير المميلة فــي بــاب (معزى وحبلى) •

---

(١) الكتاب ج ٢ ص ٢٦١ •
(٢) كل هذه النصوص المبهمة تؤيد القضية التي ذكرت في اول هذا الفصل من ان علماء العربية القدامى لم يكونوا مهتمين بتعيين لهجات القبائل ••
(٣) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٢ •

٤ ــ تقدم مذهب أهل الحجاز وغيرهم في باب « خاف وطاب وهاب وصار » .

٥ ــ كثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون الالف في كيال وبياع .

٦ ــ بنو تمم وقوم من قيس وأسد يميلون الالف في عدا ومنا .

هذا هو مدى ما نظفر به من تحديد القبائل التي تميل والتي لا تميل فيما نقله سيبويه .

ولننتقل الآن الى الشواهد التي ذكرها النحاة في كتبهم لعلها تكشف لنا عن مذهب القبائل التي ينتسب اليها قائلوها . وكل ما استشهد به النحاة في باب الإمالة أربعة شواهد هي :

١ ــ ها ان ذي عذرة من قول النابغة :

ها ان ذي عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد[1]

٢ ــ وقول الفرزدق :

وما حل من جهل حبا حلمائنا ولا قائل المعروف فينا يعنف[2]

٣ ــ عسى الله يغنى عن بلاد ابن قادر بمنهمر جون الرباب سكوب[3]

٤ ــ وقول سيبويه « بلغنا عن ابن أبي اسحق أنه سمع كثير عزة يقول :

« صار بمكان كذا وكذا » [4] أي بامالة الالف في صار .

ولا تسد هذه الشواهد جميعها شيئا من النقص الذي نشعر به ؛ ذلك

---

(١) شرح شواهد الاشموني لعبد السلام الجزائري ج ٣ ص ٢٨٧ ــ المطبعة الاهلية بنهج الديوان تونس سنة ١٣٤٧ هـ .
(٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٥٩ .
(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٩ ومن شرح شواهد الاشموني ج ٣ ص ٢٨٦ .
(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٦١ .

لأن الاول شاهد على عدم جواز الإمالة في ألـف « ها » لأجـل كسرة أن بعدها ، لأنها في كلمة اخرى منفصلة عنها ، وقد قال ابن مالك « ولا تمل لسبب لم يتصل»، فشرط تأثير سبب الامالة أن يكون من الكلمة التي فيهـا الألف [1] .

ومن الممكن ان نكتفي بأن نقول « إن الشاهد الاول من حيث غرضنا لا يفيدنا فيما نحن بصدده ، غير انه يجدر بنا ان نفترض في المستشهد انه لم يعمد الى النابغة ليختار بيتا من شعره يستشهد به على امتناع الامالة فيما لم تتحقق فيه شروط الامالة ، إلا لأن النابغة يميل فيما تتحقق فيه شروط الامالة (وإلا لكان الاختيار عبثا ، اذا كان الشاعر لا يميل في أية حالة) ومن ثم نستطيع ان نستنبط ان قبيلة النابغة من القبائل التي تميل ، وبرجوعنا الى نسب قبيلة ذبيان عرفنا أنها مـن غطفان بـن سعد وهي مـن قيس [2] ، والمعروف عن قيس أنها تميل فهل تميل قبيلة ذبيان ؟

وأما الشاهد الثاني « وما حل من جهل.. » فهو للفرزدق ، والفرزدق معروف انه من تميم [3] .

وقد استشهد سيبويه بالبيت على ان ما كان من بنات الياء تمال الفه ؛ لأنها في موضع ياء وبدل منها فنحوا نحوها ، كما ان بعضهم يقول « قـد رد » ثم أورد قول الفرزدق : ـ

وما حل من جهل حبا حلمائنا ولا قائل المعروف فينا يعنف

يشم كأنه ينحو نحو الياء [4] .

---

(١) فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك لعبد السلام الجزائري المطبعة الاهلية سنة ١٣٤٧ تونس .
(٢) نسب عدنان وقحطان لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ص ١١ .
(٣) الاغاني جـ ٨ ص ١٨٠ .
(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٥٩ .

وأهمية هذا الشاهد تظهر في شوب الضمة في رد شيئا مـن الكسر وذلك نوع من الامالة (١) .

بقي الشاهدان الثالث والاخير ، أما الشاهد الثالث فربما كان قائله أو راويه بالامالة يكشف لنا عن القبيلة التي تميل ، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب وتكملة البيت .

«عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر بمنهمر جون الرباب سكوب»

والشاهد في قوله « قادر » ، حيث سمع امالة الالف في قادر، وقد قال سيبويه في الكتاب بعد كلام ما نصه «وسمعنا من نثق به من العرب يقول»

«عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر بمنهمر جون الرباب سكوب»(٢)

قال الأعلم « استشهد به على جواز إمالة الالف من قادر، وان كان قبلها الحرف المانع لقوة الراء المكسورة على الامالة » (٣) .

وليس يعنينا الآن التحدث في الراء المكسورة ، وقوتها على الإمالة ، وغلبتها حرف الاستعلاء (القاف) فذلك موضعه فيما بعد . وإنما الذي يعنينا في هذا الشاهد قائله . والقبيلة التي ينتمي اليها ؛ لعل ذلك يكشف عن بعض القبائل التي كانت الإمالة تجري على السنتها ولا تستقيم بغيرها .

والبيت منسوب في كتاب سيبويه لهدبة بن خشرم (٤) ، وقد نقل ذلك صاحب كتاب فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك (٥) ، ونسبه الشيخ خالد الأزهري في شرح التصريح الى سماعة النعامي (٦) ، ونسبه العيني في

---

(١) سر صناعة الاعراب لابن جني نسخة خاصة ملك الاستاذ ابراهيم مصطفى.
(٢) المصدر نفسه .
(٣) شرح شواهد الاشموني .
(٤) جـ ٢ ص ٢٦٩ لسيبويه .
(٥) فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك جـ ٤ ص ٢٨٧ .
(٦) جـ ٢ ص ٣٥٤ مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٢٠ هـ .

كتابه فرائد القلائد في مختصر الشواهد الى سماعة النعامي يهجو رجلا من نمير [1] ، والنعماني في رأينا خطأ صوابه النعامي ، فلا يوجد في القبائل من اسمها نعمان ، وانما يوجد « نعامة » وبنو نعامة [2] .

فمن هدبة بن خرشم ؟. والى من ينتسب سماعة النعامي ؟ ترجم أبو الفرج الاصفهاني لهدبة ونسبه، فقال: هو هدبة بن خشرم بن كرز بن ابي حية ابن الكاهن ، وهو سلمة بن اسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان ابن الحرث بن سعد بن هذيم شاعر من اسلم بن الحرث بن قضاعه ...

ويقال : بل هو سعد بن اسلم ، وهذيم عبد لأبيه ربّاه ، فقيل سعد بن هذيم يعني سعدا هذا ، وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز ، وكان راوية ، كان يروي لكعب بن زهير ، وكعب يروي لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هدبة ، وكثير راوية جميل .

فلذلك قيل، «ان آخر فحل اجتمعت له الرواية الى الشعر كثير..»[3].

وإذن هدبة من بني عامر ، وبنو عامر من قضاعة [4] ، وقد روى أبو تمام في الحماسة لهدبة بن خشرم الابيات الثلاثة الآتية : ـ

وإني من قضاعة من يكِدها ... أكده، وهي مني في أمان
ولست بشاعر السفساف فيهم ... ولكن مدره الحرب العوان
سأهجو من هجاهم من سواهم ... وأعرض فيهم عمن هجاني[5]

والبيت الاول صريح في نسبة هدبة الى قضاعة ، وقضاعة متفرعة قبائل وبطونا ، فمن قبائل قضاعة كلب بن وبرة « ومن سائر قضاعة بنو القين ،

---

(١) فرائد القلائد المطبعة الكاستلية سنة ١٢٩٧هـ ص ٣٨٧ .
(٢) انظر نسب عدنان وقحطان وبخاصة ص ٦ و ص ١١ .
(٣) الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ـ مطبعة الساسي ج ٢١ ص ١٦٩ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) مختصر شرح التبريزي للحماسة ج ١ ص ١٨٨ .

وبنو سليج ، وتنوخ ، وجرم ، وبهراء ، وبلى ، ومهرة ، وعذره وسعد بن هذيم ، والحارث بن هذيم ، وضبة ، ابن سعد بن هذيم وسلامان بن سعد هؤلاء كلهم في عذرة ، وهم اخوتهم » (١) .

وقضاعة من بني حمير بن سبأ ، واسمه قضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير ، قال بعض رجازهم :

قضاعة بن مالك بن حمير مُنسَّب المعروف غير المنكر (٢)

فهل نستطيع أن نقول : ان قضاعة وفيها هذه القبائل تميل ؟. ليس لدينا من الشواهد الكافية ما يمكننا من الإجابة عن هذا السؤال على وجه كامل .

واذا كانت قضاعة سبئية (٣) هاجرت من اليمن ، فإلى أين هاجرت ؟ يبدو انها هاجرت الى الحجاز، وحملت معها الامالة الغالبة على ألسنة أهل اليمن في أكثر الكلام (٤) .

على ان بعض علماء الأنساب يقول : إن قضاعة معدية ، قال عبد الملك ابن حبيب سمعت محمد بن سلام البصري النسابة يقول : العرب ثلاث جراثيم — نزار واليمن وقضاعة . قلت له : فنزار اكثر أم اليمن فقال — ما شاءت قضاعة إن تمعددت فنزار اكثر ، وإن تيمنت فاليمن أكثر ، قلت — فما هي عندك . قال — معدية لا شك فيه » (٥) .

ويفهم من كلام أبي الفرج الأصفهاني (٦) ان قضاعة عدنانية وقد حدد هجرتها من تهامة الى الشام أخيرا .

---

(١) الحماسة لابي تمام الطائي ص ١٨٨ ج ١ طبعة صبيح سنة ١٣٣٥ هـ .
(٢) نسب عدنان وقحطان للمبرد ص ٢٤ .
(٣) نسب عدنان وقحطان للمبرد ص ٢٣ .
(٤) همع الهوامع للسيوطي ٢ج ص ٢٠٤ .
(٥) الانباه على قبائل الرواة ص ٦٣ .
(٦) الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ج ١١ ص ١٥٤ .

وهذا المهجر يقرره القلقشندي اذ يقول : « إن قضاعة أغرمت بالملك فكانت الممالك التي أقيمت في العراق والشام من قضاعة » [1] .

وينقل انوليتمان عن السيوطي ان أهل سوريا دخلوا في قضاعة [2] .

وسواء أكانت قضاعة يمنية أم معدية فان النصوص تكاد تجمع على أنها هاجرت الى الشام ، وحملت معها اليه لهجتها في الامالة التي تبيناها من فحص نسب هدبة بن خشرم قائل البيت:« عسى الله يغني .. » ولا تزال في الشام لهجة الامالة ظاهرة غامرة على السنة ناسه حتى هذا الزمان .

واذا كانت نسبة البيت « عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر» الى سماعة النعامي فمن بنو نعامة ؟

هم بنو صعب بن أسد من قبائل بني أسد فيما ذكر المبرد في نسب عدنان وقحطان [3] .

فبنو أسد على هذا يميلون إن صحت نسبة هذا البيت الى سماعة النعامي كما نقل الشيخ خالد الأزهري في التصريح ــ وهذا الاستنتاج يتفق مع نص علماء العربية على ان الأمالة لغة لبني أسد .

فان كان منسوبا الى هدبة ، فهدبة كما يقول صاحب الأغاني في الحديث عنه « شاعر فصيح **متقدم من بادية الحجاز** » [4] .

وهذا يتفق مع ما عرفناه من النصوص التي أوردها سيبويه في ان بعض الحجازيين يميلون .

ولننتقل إلى الشاهد الاخير الذي نعتمد عليه في تحديد القبائل المميلة،

---

(١) صبح الاعشى للقلقشندي ج ١ ص ٣٤٥ .
(٢) بقايا اللهجات العربية ص ٨ .
(٣) نسب عدنان وقحطان ص ٨ .
(٤) الاغاني للاصفهاني ج ٢١ ص ١٦٩ .

ذلك الشاهد هو قول سيبويه في الكتاب « بلغنا عن ابن ابي إسحق أنه سمع كثير عزة يقول : « صار بمكان كذا وكذا أي بامالة الألف في صار » [1] .

فالمعروف ان كثير عزة من خزاعة [2] فهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخارق بن سعيدة بن سبيع بن جعنمة بن سعد ابن مليح بن عمر بن **خزاعة بن ربيعة** ، واذن خزاعة تميل ، وهي ايضا سبئية [3] هاجرت من اليمن ، فالى أين هاجرت ؟ ان المعروف ان كثير عزة من الشعراء الغزلين الذين عاشوا في بادية الحجاز فلعل خزاعة احدى هذه القبائل السبئية التي هاجرت الى الحجاز كما فعلت أختاها : الأوس ، والخزرج [4] .

وقد قال ابو بكر بن مقسم : إن أكثر أهل اليمن يميلون ألف حتى ؛ لأن الامالة غالبة على ألسنتهم في أكثر الكلام [5] .

هذا ولا يتحتم ان تكون قبيلة من أنشد البيت وسمعه سيبويه من نفس قبيلة الشاعر الذي قال البيت حتى تنتقل لهجته الى لهجة المنشد الذي سمع منه سيبويه،ولكن اختيار سيبويه لهذا الشاهد من بين الشواهد العدة دليل على ان قائل هذا الشاهد ينتمي الى قبيلة مذهبها الامالة او عدمها على حسب الموضع الذي يستشهد عليه سيبويه بالشاهد الذي سمعه .

وعلى هذا الاساس بحثنا عن نسب قائلي هذه الشواهد مستدلين به على مذهب قبائلهم في الأمالة . ويرجع عندنا صحة اتجاهنا أنه بالرجوع الى

---

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦١ .
(٢) الاغاني جـ ٨ ص ٢٥، والشعر والشعراء لابن قتيبة ـ مطبعة المعاهدة ٩٣٢م .
(٣) انظر نسب عدنان صفحتي ١٨ و ٢٢ .
(٤) نسب عدنان ص ٢١ .
(٥) همع الهوامع للسيوطي جـ ٢ ص ٢٠٤ .

نسب قائلي هذه الشواهد التي سمعت من منشدين غير قائليها [1] وجدنا انهم ينتمون الى قبائل ذكر النحاة صراحة انها من القبائل المميلة .

وإذن قد ثبت لدينا من نصوص النحاة ومن الشواهد التي أوردوها أن من الحجازيين مميلون وهذا يقدح في عموم قول من قال « إن الامالة لغة بني تميم ، والفتح لغة أهل الحجاز [2] » ، كما يفند قول الرضى في شرح الشافية « ليست الامالة لغة جميع العرب ، وأهل الحجاز لا يميلون ، وأشدهم حرصا عليها بنو تميم » [3] .

والحق بعد الذي قدمنا من النصوص والشواهد ان ليس لنا ان نقطع بأن الحجازيين جميعا يفتحون ، وليس منهم مميلون .

وقد رأينا في نص سيبويه ان من الحجازيين من يميل « خاف » وهذا يوجه النظر الى شيء جديد في البحث ، ذلك لأن خاف كما يرى مكي ابن ابي طالب في كتابه الكشف أضعف الأفعال الجوف تمكنا في باب الامالة وذلك لأنها من ذوات الواو أولا ، ولحرف الاستعلاء (الخاء) ثانيا[4] .

ويتفق الدكتور ابراهيم أنيس مع مكي اذ يقول « من الصعب أن نسوغ من الناحية الصوتية ما زعمه النحاة من جواز الامالة فيما أصله واو مثل خاف ، لأن الامالة في هذه كان حقها أن تكون من الفتح الى الضم لا من الفتح الى الكسر » [5] .

وهنا نرى ان دائرة الامالة تتسع عند بعض الحجازيين فتشمل الافعال الجوف اليائية ، ثم تتسع ثانية لتشمل باب خاف ، ثم تتسع مرة ثالثة لتشمل

---

(١) كالشاهد الاول والثاني والثالث اما الرابع فقد ذكر سيبويه صراحة ان ابن ابي اسحق سمع من كثير عزة الامالة .
(٢) انظر عبارة الفراء السابقة في صدر الكلام في هذا الموضوع .
(٣) شرح الرضى على الشافية ج ٣ ص ٤ .
(٤) الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي بن ابي طالب ص ٨٣ .
(٥) اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس ص ٤٩ .

« إمالتهم لكلمة الناس » فقد ذكر عبد الله بن داود الحربي عن ابي عمرو ان الامالة في الناس في موضع الخفض لغة أهل الحجاز [1] .

وفي إمالة الحجازيين للناس ما يوجه النظر كذلك فليس فيها من سبب إلا الكسر الذي يستدعيه الخفض،ثم يذكرون علة أخرى وهي كثرة دور هذا اللفظ على الألسنة [2] .

وليس من شك في ان هناك كلمات كثيرة الدور على الألسنة غير لفظ الناس [3] ومما يدل على هذا الاتجاه ما جاء في كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة لابن خالويه ، فان قيل فلزم من إمال النار أن يميل الجار ، فقل لما كثر دور النار في القرآن أمالوها ، ولما قل دور الجار في القرآن بقوه على أصله » [4] .

ولعل من المرجح ان كلمة النار الكثيرة الدوران كانت مما يميله الحجازيون [5] .

وهكذا تتسع دائرة الامالة عند الحجازيين ، وهذا ينفي أو يقلل التعميم الذي يقرره معظم النحاة وهو ان الفتح لغة الحجاز .

من كل ذلك يتبين لنا انه اذا كان لا بد لنا أن نقرر ان « الفتح لغة أهل الحجاز » فليكن مفهوما ان المقصود من « اهل الحجاز » طائفة منهم اذ ان من الحجازيين من جرى لسانه بالامالة . وقد رأينا كيف أخذت دائرة الامالة تتسع عندهم حتى شملت طائفة كبيرة من الكلمات .

---

(١) النشر ج ٢ ص ٣٦ .
(٢) شرح الاشموني ج ٤ ص ٢٢٠ ومن الموضح ورقة ٣٣ ص ٧٥ .
(٣) أمالوا الحجاج ايضا لهذه العلة (انظر المصدر السابق) وان كنا سنناقشهم في ذلك في فصل يأتي بعد مبينين ان المراد بالالسنة الالسنة المميلة .
(٤) الحجة لابن خالويه ص ٣ مخطوط بدار الكتب برقم ١٩٥٢٣ .
(٥) انظر الموضح للداني ص ١٧٠ .

وقد اتضح من الشواهد التي ذكرها سيبويه أنها لشعراء عاشوا في بادية الحجاز ، فلعل المميلين من الحجازيين هم المتبدون منهم ، ومن يفتحون هم المتحضرون ، أو لعل الامر على عكس ذلك، أي ان الحجاز المتبدّية كانت تفتح ، ثم تخلت إلى الإمالة في حاضرتها ، وما بقي مـن الألفاظ المفتوحة في باديتها هو الاصل في لهجتها وما جرت عليه ألسنتها وهذا ما نميل إليه •

والنتيجة التي ينتهي اليها الباحث :

ان الامالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار اليها الاقدمون في كتبهم ، وانما كانت ظاهرة اكثر شيوعا مما ذكروه ، فقد كانت تنتظم معظم القبائل العربية وان تفاوتت قلة وكثرة ، فهي اذن صفة كثيرة الشيوع جدا عن العرب في نطقهم :

فقد رأينا ان في اليمن إمالة ، بل إنها كما يقول ابن مقسم ــ غالبة على ألسنتهم في أكثر الكلام (١) •

ورأينا ان في الحجاز إمالة ، بل ان ابن الانباري يجعلها خاصة بلغة أهله (٢) •

وان في تميم وأسد وقيس إمالة على النحو الذي ظهر في معالجة هذا الفصل •

ولكن النحاة عندما ذكروا المميلين في القبائل اعطوا أهمية خاصة ــ كعادتهم ــ الحديث عن الحجازيين ، وعن تميم وأسد وقيس • وكان سبب هذا الاهتمام الظاهر بالحجازيين أن لغتهم هي لغة القرآن الكريم ، وناهيك بهذا سببا باعثا على العناية بلهجتهم!أما قبائل تميم وأسد وقيس فهي القبائل التي أخذ عنها علماء العربية الاعلام ، وبخاصة تميم حيث كانت تسكن جانب نجد المجاور للعراق • فكانت أرضهم مهبط العلماء الذين يفدون اليها للتلقي عن فصحائها وأعرابها الذين لم تفسدهم العجمة •

---

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٤ •
(٢) اسرار العربية ص ١٦٠ •

ولم يكن قرن الحجازيين بالتميميين في الحديث عن الإمالة فقط ، بل نجد ذلك منثورا في أبواب النحو المختلفة . وقد عقد السيوطي في كتابه المزهر فصلا ذكر فيه الالفاظ التي اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم [1] أتى فيه على طرف من مذهب الحجازيين في بعض المسائل ، ومذهب التميميين فيها ونجد غير هذه المسائل في كتب النحو في مواضع مختلفة [2] .

فاذا تحدث النحاة في باب الامالة عن الحجازيين والتميميين ومن جاورهم من أسد وقيس فليس معنى ذلك ان غيرهم من القبائل لا يميل ، وإنما كان ذلك من النحاة جريا منهم على تسجيل ما يختص بلهجة الحجازيين والتميميين ومجاوريهم ، لما ذكرنا من أسباب وذلك لا يتعارض هو وما لظاهرة الامالة من شيوع على الألسنة في القبائل المختلفة .

---

(١) المزهر للسيوطي ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) كتمييزكم وبناء امس وهيهات وفعال علما لمؤنث ـ وفك المضارع المضعف المجزوم والامر وتحقيق الهمز وغير ذلك .

الفصل السّادس

حكم الإمالة: أواجبة هي أم جائزة

يجدر بنا ان نشير هنا الى الفقرة الناقدة التي أوردها الدكتور ابراهيم أنيس عن حكم الإمالة في كتابه اللهجات العربية اذ يقول « ولا نستطيع ان نتصور كيف جعل النحاة الامالة من الامور الجائزة ؛ فقد قرروا ان كل ممال يجوز فتحه»ولو صح هذا القول لامكن ان نتصور ان من القبائل من كانوا يميلون ويفتحون كما تشاء لهم اهواؤهم ، وهذا الامر لا يقبله اللغوي الحديث [1] ، فمما لا شك فيه ان الامالة من الوجهة التاريخية ومن الوجهة اللهجية امر لا مفر من وجوده أو عدمه ، وهي كما يقول في موضع آخر « لا تعدو ان تكون عادة ككل العادات اللغوية يتوارثها الخلف عن السلف دون شعور بها » [2] .

واذا جاز لنا ان نضيف شيئا الى كلام الدكتور انيس في هذا الصدد على سبيل التعقيب فهو انه يبدو لنا ان الدكتور يقصد من « النحاة » الذين جعلوا الامالة من الامور الجائزة المتأخرين منهم ــ من أمثال ابن يعيش في المفصل [3] . ورضى الدين الاستراباذي (سنة ٦٨٦ هـ) في شرح شافية

---

(١) اللهجات العربية ص ٥٠ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٤ .

ابن الحاجب [1] ، والسيوطي (٩١١ هـ) في جمع الجوامع وشرحه الهمع [2]، والشيخ خالد الأزهري في شرحه التصريح على التوضيح [3] والأشموني في شرحه الألفية [4] .

أما المتقدمون من النحاة ، والمؤلفون القدامى في القراءات فقد رأوا ما يقرر الدكتور أنيس من الرأي، وسأعرض هنا للنصوص الواردة في كتب النحو والقراءات الخاصة بهـذا الموضوع ، مرتبة ترتيبا زمنيـا ، تمهيدا لمناقشتها والتعليق عليها ، وبيان مدى اتفاقها مع مـا يراه الدكتور ابراهيم انيس ونظرة اللغوي الحديث .

قال سيبويه (١٨٤ هـ) في الكتاب « واعلم انه ليس كل مـن أمال الالفات وافق غيره من العرب ممن يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه فينصب بعض ما يميل صاحبه ، ويميـل بعض مـا ينصب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر ، فاذا رأيت عربيا كذلك فلا ترينه خلط في لغته ، ولكن هذا من أمرهم » [5] .

وكلام سيبويه في هذا النص صريح في ان العربي لا يمكنه ان يتخلى عن عادته اللغوية في الفتح والإمالة ، فهو يفتح ما يميله غيره، ويميل ما يفتح غيره لا كما يشاء له الهوى ، بل لأن ذلك كما يقول سيبويه « من لغته ، التي توارثها ولا يمكن ان يجري على لسانه غيرها .

ويقول سيبويه في موضع آخر ، فأما تاب ومال وباع فانه من يميل يلزمها الإمالة على كل حال » [6] .

---

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ٥ .
(٢) همع الهوامع ، ص ١١٥ في الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٣) شرح التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٤) شرح الاشموني ج ٤ ص ٢٠٧ .
(٥) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٢ .
(٦) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٦ .

وسيبويه في هذا النص اكثر صراحة في ان الامالة واجبة عند من مذهبه الإمالة ، ولا يستطيع ان يتخلى عنها على كل حال .

وما قاله سيبويه من ان حكم الامالة الوجوب لا الجواز قاله ابو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) فقد عبر عن اسباب الامالة « بالموجبات » ، وانكر عليه ذلك الاشموني مخطئا اذ يقول « وأما حكمها ــ أي الامالة ــ فالجواز وأسبابها مجوزة لها لا موجبة ، وتعبير أبي علي ومن تبعه عنها بالموجبات تسمُّح فكل ممال يجوز فتحه [١] .

ويقول ابو علي في كتابه الحجة : « الامالة في ألف فاعل اذا كانت الراء عينا أقوى من الإمالة في الالف اذا كانت الراء لاما ؛ لأن الكسرة في العين لازمة غير مفارقة ، وكسرة اللام قد تنقل عنها للرفع والنصب، وبحسب لزوم ما يوجب الامالة تحسن الامالة ، ولا يكون غير اللازم كاللازم [٢] .

وأبو علي في هذا النص يفاضل بين الكسرة اللازمة،وغير اللازمة سببا من أسباب الامالة ، وهو يقرر أن كلا من نوعي الكسرة **موجب للامالة** ولكنها مع الكسرة اللازمة تحسن وتقوى .

فاذا تركنا النحاة المتقدمين وهم يقولون **بوجوب الإمالة** كما رأينا ــ وانتقلنا الى كتب القراءات رأينا مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) في كتابه الكشف عن علل القراءات وحججها وقد ألفه كما ذكر في مقدمته سنة (٤٢٤هـ) ينص في مواضع كثيرة من هذا الكتاب على **أن حكم الإمالة الوجوب** ، فهو يقول «**ان الياء توجب الإمالة**» [٣] كما يقول عند التحدث عن أقسام علل الامالة « اعلم ان العلل التي **توجب الامالة** [٤] .. »

---

(١) شرح الاشموني على الالفية جـ ٤ ص ٢٠٧ .
(٢) الحجة لابي علي الفارسي جـ ٧ ص ٣٧٧ .
(٣) الكشف عن علل القراءات مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ب ١٩٩٨٢ قراءات ص ٨٠ .
(٤) المصدر السابق .

ويقول في التعليل للفتح في «الزكاة والصلاة» ـ «اذ لا علة توجب الامالة ، لا كسرة ، ولا أصل في الياء ، ولا روى عن أحد » [1] .

ويقول في موضع آخر « وأما الإمالة في تقاة فإنما وجبت لأجل أن أصل الألف الياء ... » [2] .

ومكي في كتابه التبصرة قال « وقد تمال الالف ، وأصلها الواو لعلة توجب ذلك » [3] .

والى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري ـ على حسب ما فحصت ـ كان كل من النحاة والمؤلفين في القراءات يقولون بوجوب الإمالة ، حتى اذا كان القرن السادس وجدنا الزمخشري من النحاة (٥٣٨ هـ) يسكت في كتابه المفصل عن مسألة وجوب الإمالة أو جوازها فلا يتعرض لها بذكر ، كما نجد سبط الخياط البغدادي من القراء (٥٤١ هـ) يمثل مرحلة بين بين في هذه المسألة فهو يتردد بين القول بوجوب الإمالة وجوازها اذ يقول في المبهج ، « لما كانت الإمالة لا تجوز إلا في مواضع ، والفتح يطرد في الجميع علم حينئذ ان الفتح هو الاصل » [4] .

ويقول في موضع آخر ، والإمالة في حال الجر من نحو دار ونار ونهار وبوار وآثار ومقدار وما أشبه ذلك جائزة حسنة » [5] .

ولكنه يعود فيقول « اذا وقعت الراء مفتوحة وجب تفخيمها ... » وإن انكسرت وجبت الإمالة .. » [6] .

---

(١) المصدر السابق ص ٩٧ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) التبصرة ص ٩٦ مخطوط بدار الكتب برقم ب ٢٣٩٣٦ .
(٤) من المبهج ص ١٢٩ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٨١ قراءات .
(٥) من المبهج ص ٧٥ مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٧٥ قراءات .
ويراجع السكافي في القراءات السبع تأليف الرعيني المقري الاشبيلي سنة ٤٧٦هـ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٦١٤ قراءات .
(٦) المصدر السابق .

ومنذ القرن السابع الهجري نجد النحاة والقراء يتقارضون هذا الخطأ في كتبهم ، فابن يعيش يقول في شرح المفصل « والتفخيم هو الأصل ، والإمالة طارئة بدليل انه يجوز تفخيم كل ممال ، ولا يجوز إمالة كل مفخم » [1] .

ثم قال في موضع آخر « وأسباب الإمالة مجوزة لا موجبة، أو لا ترى انه ليس في العربية سبب يوجب الإمالة لا بد منها ؛ بل كل ممال لعلة فلك ألا تميله مع وجودها فيه » [2] ؟

ويأتي الرضى (٦٨٦ هـ) في شرح شافية ابن الحاجب فيقول :

« اعلم ان أسباب الإمالة ليست بموجبة لها ، بل هي **المجوزة لها عند من هي في لغته** ، وكل موضع يحصل فيه سبب الإمالة جاز لك الفتح » [3]

ونرى الرضى قد اخطأ خطأ ظاهرا لا يمكن الاعتذار منه حيث يقول : بل هي المجوزة **لها عند من هي في لغته وقوله** ، عند من هي في لغته لا نستطيع كما يقول الدكتور أنيس أن تتصوره [4] ، فلا شك ان الإمالة كما يقول سيبويه من قبل : **واجبة عند من هي في لغته** [5] .

وابن القاصح من قراء القرن الثامن الهجري (٨٠١ هـ) ينقل كلام النحاة في جواز الإمالة حيث يقول « الفتح هو الاصل » والإمالة فرع عنه ، فكل ممال يجوز فتحه ، وليس كل ما يفتح يجوز إمالته » [6] .

وابن الجزري (٨٨٣ هـ) ينقل عن أئمته ما يفهم جواز الإمالة [7]

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٤ .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٥ .
(٣) شرح الرضى على شافية ابن الحاجب ج ٣ ص ٥ .
(٤) اللهجات العربية ص ٥٠ .
(٥) انظر كلام سيبويه في اول الكلام في هذا الموضوع .
(٦) سراج القارىء ص ١١٦ .
(٧) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٢ .

وينقل كلامه السيوطي (٩١١ هـ) في الاتقان [١] ويقول السيوطي في جمع الجوامع « أن الإمالة ، أن تنحى جوازا بالألف نحو الياء » [٢] . وقد سبقت عبارة الأشموني ورأيه في تجويز الإمالة ، وبذلك قال صاحب التصريح الشيخ خالد الأزهري .

والحق اننا لا يجوز ان نرمي النحاة المتأخرين بالخطأ في قولهم بجواز الإمالة ، فعباراتهم ـ ما عدا الرضى ـ كما بينت من قبل ـ لا تحدد الفهم الذي تؤاخذهم به ، ونلومهم عليه ، فهم يريدون بجواز الإمالة جوازها كما يقول السيوطي « بالنظر الى لسان العرب » [٣] ، بعد ان اصبحت لغتهم لغة عامة لا قبلية ، فنحن الآن يجوز لنا ان ننطق بامالة ، « طاب » مثلا على لغة أهل نجد من تميم وقيس وأسد كما يقول الفراء ، كما يجوز لنا أن ننطق بها مفتوحة على لغة قريش ، اما العربي الاول فما كان له ان ينطق بها على غير لهجته مفتوحة او ممالة .

هذا هو التفسير الذي يمكننا أن نعتذر بـه عن النحاة المتأخرين [٤] ومن تابعهم من القراء ، ويؤيد هذا التفسير ما أورده النشر [٥] ، ونقله عنه السيوطي في الاتقان [٦] اذ يقول : واختلفوا : هل الإمالة فرع عـن الفتح أو كل منهما أصل برأسه ؟ ووجـه الاول ان الإمالة لا تكون إلا لسبب ، فان فقـد **لزم الفتح** ، وان وجد جاز الفتح والإمالة ، وعلل لحكم جواز الإمالة بقوله : « **فما من كلمة تمال الا وفي العرب من يفتحها** » . أي فما من كلمة تمال عند قبيلة إلا وفي العرب من يفتحها من قبيلة أخرى . وهذا كلام صحيح ، يجيز لنا على مفهومه أن نقول بجواز الإمالة ، قال ابن يعيش :

---

(١) الاتقان ص ١١٥ .
(٢) جمع الجوامع جـ ٢ ص ٢٠٠ .
(٣) جمع الجوامع جـ ٢ ص ٢٠٠ .
(٤) ما عدا الرضى الذي كان صريحا بحيث لا نجد سبيلا الى الاعتذار عنه .
(٥) جـ ٢ ص ٣٢ .
(٦) ص ١١٥ .

« ونحو ذلك ــ يشير الى علل الإمالة ــ مما هو علة للجواز الواو اذا انضمت ضما لازما نحــو وقتت وأقتت ، فانضمام الواو امر يجــوز الهمــزة ولا يوجبها » [1] وهكذا شرح ابن يعيش المقصود مــن قول النحاة المتأخرين إن علل الإمالة مجوزة لها لا موجبة. فالمسألة مسألة اختلاف في غير الاصول المقررة .

على اننا نذهب الى ابعد مما ذكر الدكتور أنيس فنقــول : إن إمالة الافعال الجوف عند حمزة مثلا ، وإمالة مــا قبل هاء التأنيث عند الكسائي كانت تجري في قراءة كل منهما جريانا هو أقرب الى الالتزام والوجوب منه الــى المراوحة والجواز ، فلما دونت القراءات [2] ، وعرفت مذاهب القراء المختلفة في الفتح والإمالة جاز للقارىء ان يقرأ الافعال الجــوف فيميل عيناتها كما كان يقرأ حمزة ، وأن يقرأها بالفتح كما كان يقرأ ابن كثير .

وهكذا كان شأن كل قارىء من هؤلاء القراء الاولين في قراءته شديد الشبه بالعربي في قبيلته ، فمن كان يفتح من القراء كابن كثير كان يفتح ولا يتخلى عن مذهبه في الفتح ، ومن كان يميل ، كــان يميل ولا يتخلى عــن مذهبه في الإمالة . وجاء الناس من بعد هؤلاء القراء ممن لم تكن لهم لهجة خاصة ، وانما كانوا يصطنعون اللسان العربي العام فوجدوا مذاهبهم في الفتح والإمالة ، فكان لهم ان يقرأوا فاتحين أو مميلين على طريق الجواز لا الوجوب والله أعلم .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٠ .
(٢) كان اول من جمع القراءات ابن مجاهد (٣٢٤ هـ)

الفصل السابع

القراء السبعة والإمالة

أرسل الله سيدنا محمدا (صلى الله عليه وسلم) الى الناس كافة « وما أرسلناك إلا كافة للناس » [1] «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» [2] وأوحى إليه القرآن الكريم ويسّره بلسانه « لأنذركم به ومن بلغ » [3] و « ليبشر به المتقين وينذر به قوما لدا [4] » . فكان القرآن هاديا ومتحديا . وأقبل العرب عليه يتلونه ويهتدون بهديه متعبدين ، أو يواجهون تحديه جاحدين، ولم يكن لهؤلاء وهؤلاء إلا أن يقرأوا بلهجاتهم التي جرت عليها ألسنتهم، ولا يمكنهم النطق بدونها ، فالهذلي مثلا يقرأ : —

عتى حين ... ، والأسدي يقرأ « تِعلمون .. » بكسر حرف المضارعة والتميمي يهمز ، والقرشي لا يهمز ، والآخر يقرأ واذا قيل وغيض باشمام الضم الكسر . وهذا ما لا يطوع به كل لسان [5] .

---

(١) آية « ٢٨ » من سورة سبأ .
(٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء ، ثم انظر في تفسير هاتين الآيتين وهو يؤكد عموم رسالة محمد عليه السلام ، جـ ١١ ص ٣٥٠ تفسير القرطبي دار الكتب ، جـ ١٤ ص ٣٠٠ منه ايضا ، جـ ١٧ ص ٧٨ تفسير الطبري المطبعة الميمنية بمصر ، جـ ٢٢ ص ٥٨ منه ايضا ثم جـ ٧ ص ١٨ من تفسير الفخر الرازي، جـ ٦ ص ٣٤١ من البحر المحيط .
(٣) آية ١٩ من سورة الانعام .
(٤) آية ٩٧ من سورة مريم .
(٥) القرطين لابن مطرف الكناني جـ ١ ص ٢٢٢ ثم انظر النشر جـ ١ ص ٢٢ .

وكان الحديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف،فاقرءوا ما تيسر منه ... » ميسرا عليهم رافعا الحرج عنهم .

وقد حدث حذيفة بن اليمان مرفوعا قال « قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، واياكم ولحون اهل الفسق وأهل الكتابين » (١) .

ولما كانت الإمالة لهجة من هذه اللهجات التي جرت على السنة بعض قبائل العرب كما بينا في فصل سابق فهي أحد لحون العرب التي رخص الرسول في قراءة القرآن بها ، قال أبو شامة « القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب لأنه أنزل عليهم كافة ، وأبيح لهم ان يقرءوه على لغاتهم المختلفة فاختلفت القراءات فيه لذلك » (٢) .

وكانت هذه الإباحة دليلا على سماحة هذا الدين ، والتيسير منه على المتعبدين . قال مكي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فإن سأل سائل فقال : ما الذي تفيد القراءة على اكثر من حرف ؟ فالجواب ان الله عز وجل لم يجعل على عباده حرجا في دينهم ، ولا ضيّق عليهم فيما افترض عليهم ، وكانت لغات من انزل عليهم القرآن مختلفة ، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده الى لغة اخرى إلا بعد تكلف مئونة شديدة ، فيسر الله عليهم ان أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ، ليقرأ كل قوم على لغتهم ، وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم ، وعلى ما جرت به عادتهم ، فقوم جرت عادتهم بالهمز ، وقوم بالتخفيف وقوم بالفتح ، وقوم بالامالة ، وكذلك الاعراب واختلافه في لغاتهم ، والحركات واختلافها في لغاتهم وغير ذلك ، فتفصح كل قوم وقرءوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قرب

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٢٦ والنشر ج ٢ ص ٣٠ والاتقان ص ١١٤ ج اول .
(٢) ابراز المعاني ص ٤٨٧ .

منهم ، وكان في ذلك رفق عظيم ، وتيسير كثير لهم ، ونظير هذا في القرآن مما رفق الله فيه بعباده ويسر عليهم نزول الفرائض والأحكام والأوامر والنواهي لشيء بعد شيء في اكثر من عشرين سنة فكانوا لذلك أقبل ، وهو عليهم اسهل ؛ اذ لو نزل كله مرة واحدة لصعب عليهم واشتد ، ولحقهم في ذلك عنت وصعوبة ، فمنّ الله عليهم بنزول شيء بعد شيء من الفرائض ، فإذا انسوا بالفرض وعلموا به ، وطال الامر ، وصار عندهم عادة نزل فرض آخر ايضا ، حتى كمل الله دينه ، ويسر على عباده ، فنعمة الله لا تحصى ، ونظير ذلك ايضا في القرآن إن الله جل ذكره علم أن القرآن لا يجمعه كل إنسان في وقت نزوله ، ولا يقف على ما نص فيه جميع العلماء ، فكرر القصص والتحذير والتخويف والتوحيد والإخبار عن البعث والنشور والحجج على جوازه وغير ذلك في اكثر سور القرآن ليكون من بلغه بعض السور وقف على ذلك اجمع ، ومن بلغه البعض الآخر وقف فيه على نحو ذلك ، ومن بلغه سورة واحدة وقف على أكثر ذلك ، فلا يفوت احدا منهم ما به الحاجة اليه مما أراد الله إعلامه لخلقه [1] » .

وكان أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) سمحا كشريعته ودينه ، اذا ما كتب الى القبائل كتب اليها بلغتها التي تفهمها ؛ اذ علم ألسنة العرب، يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها.. فليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني ، وطهفه النهدي ، وقطن بن حارثة العليمي ، والأشعث بن قيس ، ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن ، وانظر كتابه الى همدان [2] .

---

(١) الإبانة لمكي بن أبي طالب ص ٧ .
(٢) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض وما بعدها ج ١ ص ٣٨٧ .

« إن لكم فرَاعها وَوِهَاطها [1] وعَزازها [2] »، تأكلون عِلاقَها ، وتَرْعَون عَفاها ، لنا من دِفئِهِم وصِرَامهم [3] ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدفة الثَّلب ، والناب ، والفارض والداجن [4] والكبش الحَوَري [5] وعليهم الصَّالغُ والقَارِحُ [6] .

وكتابه الى النهدي :

لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضةُ [7]، ولكم العارض، والقَريشُ، وذو العِنَان الركوب ، والفَلُوُّ الضَّبيسَ [8] ، لا يُمنع سَرحكُم ، ولا يُعضَدُ طَلحُكم ، ولا يَحبَسُ دَرُّكم [9] ولا يؤكل أكلكم ، ما لم تُضمِرُوا الإمَاق [10] ، وتأكلوا الرِّبَاق [11] ...

وكتابه الى وائل بن حجر وأهل حضرموت .

---

(١) مرتفعاتها ومنخفضاتها .
(٢) العزاز ما صلب من الارض .
الدف = نتاج الإبل وما ينتفع به منها سمي دفئا لانه يتخذ من اوبارها واصوافها ما يستدفا به . والمراد هنا الإبل والغم .
(٣) الصرام النخل .
(٤) الثلب الجمل تكسرت انيابه هرما . والداجن الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم .
(٥) الكبش الحوري منسوب الى الحور وهي جلود تتخذ من جلود الضأن وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ .
(٦) الصالغ هو من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه ويكون ذلك في السنة السادسة والقارح الفرس اذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة .
(٧) الفريضة ـ الهرمة المسنة .
(٨) العارض المريضة ، والفريش التي وضعت حديثا . ذو العنان الركوب الفرس الذلول الفلو المهر الصغير الضبيس العسر الصعب الذي لم يرض .
(٩) الدر اللبن والمراد ذوات الدر من المواشي اراد انها لا تحشر الى المصدق وتمنع المرعى الى ان تجتمع الماشية ثم تعد لما في ذلك من الاضرار .
(١٠) الاماق مخفف من الأماآق ترك الهمز منه ليوازن الرباق ، والاماق نكث العهد من الالفة .
(١١) الرباق جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه عدة عرى تشد به البهيمة من يدها او عنقها كل عروة ربقة بالكسر والفتح .

الى الأفيال العَباهِلة [1] والأرواع المشابيبِ [2] في التَّبِيعَةِ [3] شاةٌ ، لا مقوَّرَةَ الألباطِ ولا ضِنَاكَ [4] وأنطُوا الثَّبَجَةَ [5] . وفي السُّيُوب الخُمس ، ومن زَنى مِمْ بكر فاصفعوه مائة ، واستوفضوه عاما ، ومن زنى مم ثيب فضرَّجُوه بالأضاميم ، ولا توصيمَ في الدين [6] ولا غُمة في فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يترفل [7] على الاقيال .

هكذا كان شأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) اذا ما كتب وكذلك كان شأنه اذا ما أقرأ، وقد جوز الباقلاني ان يكون « عليه السلام » أقرا واحدا بعض القرآن بحرف ، وبعضه بحرف آخر على ما يراه أيسر على القارىء [8] .

ويحدثنا أبو البقاء علي بن عثمان بن الحسن القاصح العذري في كتابه قرة العين في الفتح والامالة وبين اللفظين في باب ذكر الأئمة والرواة ، اعلم أن الإمالة تروى عن نافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ، وأما ابن كثير فانه لم يمل شيئا في جميع القرآن [9] . وعبارة الامام الجعبري

---

(١) العباهلة الذين اقروا على ملكم فلم يزالوا عنه (بالبناء للمجهول) .
(٢) الارواع جمع أروع وهو من يعجبك بحسن منظره او لشجاعته كالرائع والمشابيب ـ السادة الرءوس الحسان المناظر .
(٣) التبعة اسم لادنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان كالخمس من الابل والاربعين من الغنم .
(٤) الضاك الكثير اللحم للذكر والانثى والمراد به انه لا تؤخذ المفرطة في السمن كما لا تؤخذ الهزيلة .
(٥) انطوا اعطوا ، الثبجة الوسط من المال التي ليست من خياره ولا رذالته، احدا من ثبجة الناقة ما بين الكاهل الى الظهر .
(٦) التوصيم الفترة والتواني اي لا تفتروا في اقامة الحدود ولا تتوانوا اليها .
(٧) يترقل اي يسود ويترأس استعارة من ترقيل الثوب . انظر شرح الالفاظ من جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٦ وما بعدها .
(٨) منجد المقرئين لابن الجزري ص ٦١ .
(٩) قرة العين مخطوط رقم ٣٠٣ قراءات دار الكتب ص ٢ .

في شرحه حرز الاماني أدق من عبارة ابن القاصح واكثر تفصيلا اذ يقول : القراء أقسام منهم من لم يمل شيئا وهو ابن كثير ومنهم من أمال وهم قسمان .

ا ــ مقل وهم « قالون [1] وابن عامر وعاصم » .

ب ــ ومكثر وهم ورش [2] وأبو عمرو وحمزة والكسائي [3] .

وابن الجزري يعطينا في كتابه منجد المقرئين قضية عامة إذ يقول « وما أحد من القراء إلا رويت عنه امالة قلت أكثرت [4] واذن قد روى عن ابن كثير امالة . وإن كان الجزري لم يبين ذلك فقد بينها الداني في كتابه الموضح ، اذ ذكر ان ابن كثير في رواية البزي عنه انه كان يقرأ الهاء والياء مكسورة من قوله تعالى « كهيعص » [5] .

وتعطينا كتب القراءات المواضع التي امالها القراء جملة وتفصيلا ، فبعضهم يذكر قواعد عامة ويضرب لها الأمثلة ، وبعضهم يستقصي جميع الأحرف الممالة ومن أمالها من القراء في تفصيل « ونكتفي هنا بما ذكره الداني في التيسير [6] في حديثه عن الاحرف التي أمالها القراء ، قال (رحمه الله) :

« أعلم أن حمزة والكسائي كانا يميلان كل ما كان من الأسماء والأفعال من ذوات الياء فالاسماء نحو قوله (عز وجل) موسى ، وعيسى ، ويحيى الموتى ، وطوبى ، واحدى ، وكسالى ، وأسارى ، ويتامى ، وفرادى،

---

(١) احد راوبي نافع .
(٢) احد راوبي نافع .
(٣) شرح جرز الاماني للجعبري ورقة ١٢٠ مخطوط بدار الكتب برقم ٦١٢ قراءات .
(٤) منجد المقرئين ص ٦٠ .
(٥) الموضح للداني ورقة ٥٧ .
(٦) التيسير باب الامالة .

والنصارى ، والايامى ، والجوايا ، وبشرى ، وذكرى ، وسيمى ، وضيرى وشبهه مما ألفه للتأنيث ، وكذلك الهدى والعمـى ، والضحى ، والزنى ، ومأويه ، ومأويكم ، ومثويه ومثويكم ، وما كان مثله من المقصور ، وكذلك الادنى ،وأزكى ، وأولى ، والأعلى ، وشبهه من الصفات •

والافعال نحو قوله تعالى : أبى ، وسعى ، وزكى ، وفسوى ، ويخفى ، وتهوى ، ويرضى ، وشبهه مما ألفه منقلبة من ياء ، وكذلك امالا أنّى التي بمعنى كيف نحو قوله« أنى شئتم وأنى لك وشبهه ، وكذلك متـى وبلى وعسى حيث وقع ، وكذلك ما أشبهه مما هو مرسوم في المصاحف بالياء ما خلا خمس كلم وهن ، حتى ، ولدى ، وعلى ، والى ، ومـا زكـى ، فانهن مفتوحات باجماع ، وكذلك جميـع ذوات الواو مـن الاسماء والافعال : فالاسماء نحو الصفا ، وسنا برقه ، وعصاه ، وشفا جرف ، وأبا أحد وشبهه •

والافعال نحو خلا ، ودعا ، وبدا ، ودنا ، وعفا ، وعلا ، وشبهه ما لم يقع شيء من ذلك بين ذوات الياء في سورة أواخر آيها على ياء أو يلحقه زيادة نحو قوله عز وجل « يدعى ، وتتلى ، وفمن اعتدى ، ومن استعلى ، وأنجيكم ، وكذلك نجيانا ونجيكم ، وزكيها وشبهه ، كان الإمالة فيه سائغة لانتقاله بالزيادة الى ذوات الياء •

وقرأ ابو عمرو ما كان من جميع ما تقدم فيه راء بعدها ياء بالإمالة، وما كان رأس آية في سورة أواخر آيها على ياء ، أو هاء ألف ، أو كان على وزن فعلي أو فعلي أو فعلي بفتح الفاء وكسرها وضمها ولـم يكن فيـه راء بين اللفظين وما عدا ذلك بالفتح •

وقرأ ورش جميع ذلك بين اللفظين إلا ما كان من ذلك فيسورة أواخر آيها على هاألف ، فانه أخلص الفتح فيه على خلافٍ بين أهل الاداء في ذلك• هذا اذا لم يكن في ذلك راء وهذا الذي لا يوجد نص بخلافه عنه •

امال ابو بكر رمى في الانفال [1] واعمى في الموضعين فـي سبحان الذي [2] ، وتابعه أبو عمرو على امالة اعمى في الاولى لا غير وفتح ما عدا ذلك .

وأمال حفص مجريها في هود [3] لا غير .

وقرأت من طريق اهل العراق عن ابي عمرو يا ويلتي [4]، ويا حسرتي [5] وأنى ، اذا كانت استفهاما بين اللفظين ، ويـا أسفي بالفتح ، وقرأت ذلـك بالفتح من طريق أهل الرقة ، وأمال ذلك حمزة والكسائي على أصلهما .

وقرأ الباقون باخلاص الفتح في جميع ما تقدم .

* * *

وقبل ان نأخذ في التعليل لمذهب كل إمام من هؤلاء الأئمة في الاقلال أو الاكثار مـن الامالة نوجه النظر **الى اننا تقرر غير ما انتهى اليه القراء من ان عاصما كان مقلا، فقد كان مكثرا من الإمالة اكثارا يدعو الى الدهشة مما روى عنه من الاقلال او نسب اليه** .وهذه القضية التي انتهيت اليها سأتناولها في هذا الفصل بالإيضاح والتعليل والتفسير إن شاء الله ـ سأعلل لما أثر عن **عاصم من الاكثار في الامالة كما اعلل لما اشتهر به من الاقلال فيها ، واوفق بين ما أثر عنه ، وما اشتهر به .**

ثم نضع بين يدي التعليل لمذاهب القراء الحقائق الآتية . وهي خاصة بالبيئات التي عاش فيها عاصم الكوفي ، وابـو عمرو البصري ، وحمزه ، والكسائي .

---

(١) س ٨ آ ١٧ .
(٢) س ١٧ آ ٧٦ .
(٣) س ١١ آ ٤١ .
(٤) س ٥ آ ٣١ ، ١١ آ ٧٢ ، ٢٥ آ ٨٢ .
(٥) س ٣٩ آ ٥٦ .

(١) ان اختطاط الكوفة وتمصيرها كان سنة ١٧ هـ اختطها سعد بن أبي وقاص [١] .

(٢) وان اختطاط البصرة وتمصيرها كان سنة ١٤ هـ اختطها عتبة بن غزوان [٢] .

(٣) ان سعدا أنزل القبائل منازلهم في الكوفة ، وكان من بينهم تميم واسد [٣] .

ثم نقدم ما في الجدول الآتي من الحقائق التي تعين على معرفة شيوخ الأئمة القراء الذين قرءوا عليهم وأخذوا عنهم .

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٨٩ .
(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ١٤٩ .
(٣) المصدر السابق .

الإمام وتاريخ وفاته	شيوخه	راويـاه	امقل هو ام مكثر في الإمالة	ملاحظات
عبدالله بن عامر (الدمشقي ١١٨ هـ)	عرض على أبي الدرداء والمغيرة بن شهاب صاحب سيدنا عثمان ـ وعرض على سيدنا عثمان نفسه.	له راويان يرويان عنه بوسائط : هشام السلمي (٢٤٦) هـ ابن ذكوان القرشي (٢٤٢) هـ	مقل	ابو الدرداء انصاري خزرجي احد الذين جمعوا القرآن حفظه على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) . ولي قضاء دمشق (١) . المغيرة بن شهاب المخزومي (٢) . عثمان بن عفان القرشي (٣) .
ابن كثير المكي ٤٥ هـ ـ ١٣٠ هـ	عبدالله (٤) بن السائب	له راويان يرويان عنه بوسائط : البزي ٢٥٥ هـ قنبل ٣٩١ هـ	مقل بل لم يرو عنه إمالة في قول الجعبري	عبدالله بن السائب المخزومي قارىء أهل مكة (٥) وهو الذي بعث عثمان (رضي الله عنه) معه بمصحف الى اهل مكة ـ لما كتب المصاحف وسيرها الى الأمصار وامره ان يقرىء الناس بمصحفه (٦) البزي ـ مولي بني مخزوم مؤذن المسجد الحرام ٤٠ سنة .

(١) طبقات القراء جـ ١ ص ٦٠٦ .
(٢) طبقات القراء جـ ٢ ص ٣٠٥ .
(٣) طبقات القراء جـ ١ ص ٥٠٧ .
(٤) طبقات القراء جـ ١ ص ٤٤٣ .
(٥) طبقات جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٦) ابراز المعاني ص ٢١ .

الإمام وتاريخ وفاته	شيوخه	راويـاه	أمقل هو أم مكثر في الإمالة	ملاحظـات
عاصم الكوفي ١٢٧ هـ	ابو عبدالرحمن السلمى (٧٤ هـ) زر بن حبيش الأسدي الكوفي (٨٢هـ) ابـو عمرو الشيباني الأسدي الكوفي(٩٦هـ)	حفص الأسدي الكوفي (١٨٠ هـ) ابو بكر الأسدي الكوفي (١٩٣ هـ)	مقل في المشهور عنه مكثر فيما انتهينا اليه مـن تتبـع واستقصاء للمأثور لـه .	ابو عبد الرحمن السلمى تعلم القرآن من عثمان (رضي الله عنه) وعرض على عَلِي . زر ـ عرض على عثمان ، وعلى ابن مسعود الشيباني ـ عرض على ابن مسعود
ابوعمرو البصري (١٥٤ هـ)	يقرأ علي نافع(١) وابن كثير(٢) . وجماعة من جملة التابعين بالحجاز والعراق .	له راويان يرويان عنه بواسطة (يحيـى بـن المبـارك اليزيـدي) حفص الدوري(٢٤٦هـ) السوسي (٢٦١ هـ)	مكثر	ابو عمرو تميمي (٣) ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومـات بالكوفة (٤)
حمزة الكوفي (١٥٦ هـ)	عرض علـى : سليمان الأعمش حمران بن أعين	له راويان يرويان عنه بواسطة سليم خلف (٢٢٩هـ) خلاد (٢٣٠هـ)	مكثر	كان الاعمش يجود حرف ابن مسعود. وكان ابن أبي ليلى يجود حرف علي . وكـان ابـو اسحـق يقـرأ مـن هـذا الحرف، ومـن هـذا الحرف

(١) ابراز المعاني ص ٥ .

(٢) طبقات القراء وص ٢ الابانة جـ ٢ ص ٣٣١ .

(٣) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٤) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٢ .

الإمام وتاريخ وفاته	شيوخه	راويـاه	أمقل هو ام مكثر في الإمالة	ملاحظات
	ابن اسحق السبيعي محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى			وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود، ولا يخالف مصحف عثمان، وهذا كان اختيار حمزة (١) .
نافع المدني (١٦٩ هـ)	قرأ على سبعين من التابعين (٢) .	له راويان من غير واسطة قالون (٢٥هـ) ورش (١٩٧هـ)	قالون مقل في روايته (عن نافع) ورش مكثر	قالون ، مدني . ورش ، مصري .
الكسائي (١٨٩ هـ)	قرأ على حمزة اربع مرات عرضا وعليه اعتماده .	له راويان من غير واسطة ابو الحرث (٢٤٠)والدوري(٢٤٦هـ)	مكثر	الكسائي ١ ـ مولي الأسديين (٣) . ٢ ـ كان يتخير القراءات .

(١) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٦٢ .
(٢) ابراز المعاني ص ٥١ .
(٣) طبقات القراء جـ ١ ص ٥٣٥ .

ونستطيع أن نستخلص من الجدول السابق الحقائق الآتية : ــ

(١) ان الميلين من القراء عاشوا في بيئة عراقية (في الكوفة أو البصرة) إذا استثنينا (نافعا المدني) وسنعلل لمذهبه فيما بعد إن شاء الله •

(٢) ان هؤلاء الأئمة الميلين ــ ما عدا عاصما ــ أدركوا النصف الثاني من القرن الثاني الهجري :

فأبو عمرو البصري يتوفى سنة (١٥٤هـ)

وحمزة الكوفي » » (١٥٦هـ)

ونافع المدني » » (١٦٩هـ)

والكسائي الكوفي » » (١٨٩هـ)

أما عاصم فقد توفي سنة ١٢٧ وفي رواية اخرى انه توفي سنة ١٣٠ •

(٣) أما غير الميلين من القراء فماتوا قبيل نهاية الربع الاول من القرن الثاني الهجري :

فعبدالله الدمشقي يموت سنة ١١٨ هـ

وابن كثير » » ١٢٠ هـ

وإنما اهتممنا بتسجيل هذه الحقائق لأننا نريد أن نربط بين البيئات التي عاش فيها هؤلاء الأئمة، والقبائل التي استوطنت هذه البيئات،ومذاهبها في الفتح أو الإمالة،والأزمان التي تكفي لهذه القبائل أن تتكاثر وتتناسل منذ تاسيس البصرة سنة ١٤ هـ وتأسيس الكوفة سنة ١٧هـ وتفرغ أفرادها إلى اقراء القرآن في مدة يتلقى بعدها هؤلاء القراء عن شيوخهم المقرئين من أفراد هذه القبائل أو غيرهم •

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل ان عاصما الكوفي ــ وهو أقدم الأئمة الميلين،وأسبقهم يكون من شيوخه اسديان كوفيان همازر بن حبيش

الأسدي الكوفي (٨٢هـ) وأبو عمرو الشيباني الأسدي الكوفي (٩٦هـ) وأن هذين عاشا بعد شيخ عاصم الاول أبي عبد الرحمن السلمي الذي توفي سنة (٧٤هـ) ، وان الاولين يمثلان مدرسة الإمالة عند عاصم كما سنوضح بعد ، وذلك يعزز ما ذكرناه من قبل من أن طبيعة الاشياء تقضي بمضي مدة تستحصف فيها ما نسميه هنا المذاهب الأدائية ، وتستقر فيها القبائل النازلة في الكوفة والبصرة ؛ حتى تفرغ الى العلم والتعليم والاقراء .

وعلى ذلك نستطيع أن نرجع مذهب كل إمام من هؤلاء الأئمة الى أحد عاملين أو هما معاً :

(ا) شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم .

(ب) البيئات التي توطنوها وما شاع فيها من لهجة الفتح أو الإمالة .

ولنأخذ في تطبيق ذلك على القراء قارئا قارئا .

(١) عبدالله بن عامر (ت ١١٨هـ)

فعبدالله بن عامر (١٧٨هـ) اليحصبي الدمشقي أسن القراء السبعة وأعلاهم سندا قرأ على جماعة من الصحابة حتى قيل أنه قرأ على عثمان بن عفان (رضي الله عنه) [١] وعثمان بن عفان قرشي حجازي [٢] ، فكان من الطبيعي أن تكون قراءة الفتح هي الطابع العام لقراءة عثمان ، ثم ان ابن عامر قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان ، ثم هو كذلك قد عرض على أبي الدرداء الأنصاري في جامع دمشق ، فقد حدثوا ان أبا الدرداء (رضي الله عنه) كان اذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفا ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه ، فاذا غلط

(١) ابراز المعاني لابي شامة ص ٦ .
(٢) طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٥٠٧ .

عريفهم رجع الى أبي الدرداء فسأله عن ذلك ، وكان ابن عامر عريفا على عشرة ، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر [1] .

فابن عامر ــ وهذه صلته بسيدنا **عثمان القرشي** ، ثم بصاحب سيدنا عثمان ، وهو ابو شهاب المخزومي ، ثم أخذه عــن ابي الدرداء الأنصاري الخزرجي ، من الطبيعي أن يكون مقلا في الإمالة غير مكثر فيها .

(٢) ابن كثير (ت ١٢٠هـ)

وابن كثير المكي [2] (١٢٠ هـ) ولد بمكــة سنة (٤٥ هـ) وظل ثلاثة أرباع قرن بمكة مقيما فيها [3] ولم يزل هو الإمام المجمع عليه في القراءة بمكة حتى مات بها [4] ويقرأ في هذه البيئة الحجازية على عبدالله بن السائب المخزومي قارىء أهل مكة بأمر من عثمان [5] .

فهو الذي بعث عثمان (رضي الله عنه) معه بمصحف الى أهل مكة لما كتب المصاحف وسيرها الى الأمصار ، وأمره أن يقرىء الناس بمصحفه[6] .

ونرى ابن كثير ايضا يقرأ على مجاهد بن جبر ابي الحجاج المكي أحد الاعلام التابعين والأئمة المفسرين [7] ــ ثم هو يقرأ ايضا على درباس مولي عبدالله بن عباس[8] . واذن كان مــن الطبيعي وهــذه البيئــة الحجازية الضاربة اطنابها حول ابن كثير ، في هذا العمر المتطاول ، وهؤلاء الشيوخ الحجازيون الذين أخذ القراءة عرضا عنهم ، ثم توليه إمامة الإقراء بمكة ــ كان من الطبيعي ان يمعن ابن كثير في الفتح ولا يميل، حتى ان بعضهم حكى

(١) طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٦٠٦ .
(٢) انظر ابراز المعاني لابي شامة ص ٢١ .
(٣) طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٤٤٥ .
(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٤٢٠ .
(٥) ابراز المعاني ص ٢١ .
(٦) طبقات القراء ج ٢ ص ٤١ .
(٧) طبقات القراء ج ١ ص ٤٤٣ .
(٨) المصدر السابق .

عنه انه لم يمل شيئا في القرآن (١) .

(٢) عـاصِم (ت ١٢٧هـ)

وأما عاصم فالمشهور عنه من كتب القراءات انه مقل فـي الإمالة (٢) ولكن التتبع الدقيق لقراءة عاصم وأسانيد روايه عنه يهدينا الـى شيء لم يشتهر به عاصم، ولكنه اثر عنه، يهدينا الى انه كان من المكثرين كثرة غامرة.

فلم تقتصر إمالته فقط على « مجريها » في رواية حفص عنه ، ولا على رمي في الانفال ، واعمى في موضعي سبحان في رواية أبي بكر كما جاء في التيسير للداني (٣) والشاطبية للشاطبي (٤) ، بل المروي غير ذلك ، فقد روى الشموني عن الأعشى عن ابي بكر عن عاصم إمالات أحرف تتبعتها في كتاب الموضح للداني ، وحصرتها فخرجت منها بنتيجة تخالف المشهور عن عاصم في كتب القراء ، ولكن هذه النتيجة على كل حال تفسر لنا التساؤل الذي كان يدور دائما حول عاصم كيف ــ مع انه كوفي ــ يكون مقلا في الإمالة..؟

فقد روى الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه أمال ما ورد في كتاب الله تعالى من الأسماء التي الراء في آخرها مجرورة وقبلها ألف زائدة أو مبدلة ، وقد قسمها الداني في كتابه الموضح عشرة أقسام :

(١) القسم الأول ــ ما ورد في كتاب الله تعالى من الاسماء التي الراء في آخرها مجرورة وقبلها ألف وكان على وزن أفعال ــ وأحصاه الداني بأربعة واربعين موضعا (٥) من مثل وعلى ابصارهم فـي البقـرة ، ولأولي الأبصار في آل عمران .. الخ .

---

(١) شرح الجعبري لحرز الاماني ورقة ١٢٠ .
(٢) انظر قرة العين لابن القاصح وورقة ١٢٠ من شرح الجعبري
(٣) التيسير .
(٤) الشاطبية .
(٥) الموضح للداني ص ٣٥ .

(ب) والقسم الثاني ــ ما ورد من ذلك علــى وزن فَعّال ، وجميع الوارد منه سبعة عشر موضعا مثلة كل كفار ــ بكل سَحّار [1] .

(ج) والقسم الثالث مــا ورد من ذلك على وزن فِعَال وجميع الوارد من ذلك ثمانية عشر موضعا من دياركم ومــن ديارهم والــى حمارك في البقرة [2] .

(د) والقسم الرابع ــ ما ورد من ذلك وزن فُعّال وجميع الوارد من ذلك ثمانية مواضع كالفُجّار في سورة (ص) [3] .

(هـ) والقسم الخامس ــ ما ورد من ذلك على وزن فَعَال ، وجميع الوارد مــن ذلك اثنان وثلاثون موضعا ، مثاله واختلاف الليل والنهار في البقرة [4] .

(و) القسم السادس ــ ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن فَعَل بفتح الفاء والعين مع تخفيفها ، واذا انقلبت عينه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وجميع الوارد مــن ذلك تسعة وثمانون موضعا مثاله والجارذي القربى والجار الجنب في النساء [5] .

(ز) والقسم السابع ــ ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن فِعَال بكسر الفاء وتشديد العين في الأصل لا في اللفظ وذلك موضع واحد في آل عمران وهو قوله تعالى بدينار [6] .

(ح) ــ والقسم الثامن ــ ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن فعلال وذلك موضع واحد في آل عمران قوله بقنطار [7] .

---

(١) الموضح للداني ص ٤١ .
(٢) الموضح للداني ص ٤٣ .
(٣) الموضح للداني ص ٤٤ .
(٤) الموضح للداني ص ٤٤ .
(٥) الموضح للداني ص ٤٦ .
(٦) الموضح للداني ص ٥٠ .
(٧) الموضح للداني ص ٥١ .

(ط) والقسم التاسع ــ ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن مفعال وذلك موضع واحد في الرعد قوله بمقدار [1] .

(ي) والقسم العاشر ــ ما ورد في كتاب الله تعالى من ذلك على وزن أفعال وذلك (والأبكار) في موضعين : آل عمران والمؤمن [2] .

وقد روى الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم ايضا انه امال.

(١) الجوار وجملة الوارد منه ثلاثة مواضع [3] .

(٢) لفظ كافرين والكافرين اذا كانا في موضع نصب او خفض ، وهو كثير الدور ومعرفته لا تشكل ــ على حد قول الداني [4] .

(٣) وما جاء من لفظ الناس مجرورا قال الداني : وهــو كثير الدور ومعرفته لا تشكل [5] .

(٤) وكان عاصم في رواية الشموني عن الاعشى عن ابي بكر عنه ــ يقف على هاء التأنيث بالامالة الخالصة [6] كما روى حفص عن عاصم :

(١) امالة بشرى في البقرة والنمل [7] .

(٢) والتوراة [8] .

(٣) وإناة [9] .

---

(١) الموضح للداني ص ٥١ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٧ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٠ .
(٥) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٦) المصدر السابق ص ٣١٥ .
(٧) المصدر السابق ص ٩٣ .
(٨) المصدر السابق ص ١٤٣ .
(٩) المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٤) لمن اشتراه في البقرة بالامالة [١] .

(٥) فتحة الراء والالف بعدها في تراءى الجمعان في حال الوصل[٢].

(٦) وما كان من لفظ ترى ويرى ونرى بالتاء والياء والنون [٣] .

(٧) (إني أراك) «في الانعام» (اني ارى ما لا ترون) «في الانفال» ولكني أراكم ، « اني أراكم » «في هود» ، (اراني) اعصر خمرا، (أراني) احمل في «يوسف» اسمع (وأرى) « في طه » .

أني (أرى) في المنام في الصافات .

إلا (ما أرى) في المؤمن .

ولكن (اراكم) في الاحقاف [٤] .

(٨) بل جاء في كتاب الحجة ــ حدثنا ابن مجاهد قال حدثنا الخزاز عن محمد بن يحيى عن أبي الربيع **عن حفص عن عاصم مؤصدة والمشأمة بالكسر فيهما قال** غير احمد يعني اذا وقف،فاما اذا وصل فالفتح لا غير [٥] .

وقد روى ذلك ابو بكر عنه [٦] .

وهكذا كان عاصم مكثرا من الإمالة كزملائه العراقيين : البصري أبي عمرو،والكوفيين حمزة والكسائي . الى حد انه أمال مـا قبل هاء التأنيث وهو مذهب معروف للكسائي روى ذلك ابو بكر عنه [٧] ، كما رواه حفص ايضا [٨] .

---

(١) الموضح للداني ص ٢١٦ .
(٢) الموضح للداني ص ٢١٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٣١ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٤١ .
(٥) الحجة لابي علي الفارسي ص ٣٨١ ج ٧ .
(٦) الموضح للداني ص ٣١٥ .
(٧) المصدر السابق ص ٣١٥ .
(٨) الحجة لابي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٨١ .

وقد دعتني هذه النتيجة التي استرعت نظري، ونبهتني الى شيءجديد، الى البحث عن الشموني والأعشى وهما اللذان رويا عن أبي بكر وعاصم والتعرف على مبلغ دقتهما ـ وتحريهما الضبط ، ودرجة ما لها في نفوس الناس من ثقة ، فتتبعت اخبارهما في كتب التراجم ، فوجدت انهما عدلان مشهوران بالضبط ، فالشموني فيما يقول ابن الجزري عنه مقرىء ضابط مشهور ، وهو اجل اصحاب الأعشى وأحذقهم [1] ، والأعشى أجل أصحاب ابي بكر ، قال ابو بكر النقاش عنه ، كان الاعشى صاحب قرآن وفرائض ولست أقدم عليه أحدا في القراءة على أبي بكر [2] . « وقد قرأ عليه القرآن مرتين[3] . واذن نحن مطمئنون ـ ازاء هذا ـ الى صدق ما رواه الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم .

بقي سؤالان تحسن الإجابة عنهما اتماما للحديث عن عاصم .

أول هذين السؤالين لماذا اشتهر عـن عاصم غير المأثور عنه ..؟ لماذا اشتهر عنه الإقلال في الإمالة مع ان المروى عنه الاكثار فيها ..؟

والآخر من هذين السؤالين لماذا انفرد ابو بكر برواية الإمالة عن عاصم هذا الانفراد الظاهر في مظهر غامر .. على حين رويت عن حفص امالة في احرف قليلة ؟ بل إن المشهور عنه أقل من ذلك القليل امالة مجريها فقط في جميع القرآن ..

ليس لدينا للرد عن السؤال الاول ، والتعليل لهذا التخالف بين المشهور عن عاصم والمروى عنه إلا ما يذكر في مثل هذه الحالات من ان القارىء له قراءتان : **احداهما** قديمة عدل عنها ، **والاخرى** جديدة اختارها ورواها كثير من الرواة عنه ويفسر ذلك ما روى عن الكسائي :

---

(١) طبقات القراء ج ٢ ص ١١٤ .
(٢) هو ابو بكر بن عياش راوي عاصم .
(٣) انظر طبقات القراء ج ٢ ص ٣٩٠ .

قال أبو الحرث كان يقرأ نخرة ثم رجع الى ناخرة [1] .

والى جانب ذلك يجب ان يكون في حسابنا عند التعليل لهذا التخالف بين المشهور عن عاصم (١٢٧هـ) والمروى عنه أنه كان اسبق قراء العراق ، فقد سبق كلا من حمزة الكوفي (١٥٦هـ) وأبا عمرو البصري (١٥٤هـ) بنحو ربع قرن ، وسبق الكسائي الكوفي (١٨٩هـ) بنحو من ستين عاما ، فلعل القبائل العربية المميلة النازعة الى العراق لم تكن قد تمت سيطرتها اللغوية المتفصحين من الكوفيين في عهد عاصم ، ولعلها لم تكن قد تناسلت وتكاثرت بحيث تجعل عاصما يثبت على الميل الذي رواه عنه ابو بكر ، فكانت قراءته في الفتح أقرب الى قراءة أهل المدينة . والظاهر أنه لم يكن متأثرا بهم في الميل الى الفتح فقط،بل في عد آيات المصحف ايضا ، فقد روى عن يحيى بن آدم عن أبي بكر قال « لم يكن عاصم يعد (ألم) آية ، ولا (حم) آية ولا (كهيعص) آية ولا (طه) آية ، ولا نحوها لم يكن يعد شيئا من هذا آية قلت (أي ابن الجزري) وهذا خلاف ما ذهب اليه الكوفيون في العدد [2] .

ومن هنا نستطيع ان نفهم لماذا جعل ابن حنبل قراءة عاصم تالية لقراءة أهل المدينة عندما سأله ابنه عبدالله . أي القراءات احب اليك ؟ ، قال « قراءة أهل المدينة فان لم تكن فقراءة عاصم » [3] .

وقد كان عاصم إمام القراءات بالكوفة في عهده . وكانت الكوفة أكبر مدارس العالم الإسلامي في قراءة القرآن ومدارسته ، وكان مسجد الكوفة يعج بأصوات القراء في كل وقت فكأنما يعلو دوي النحل من جوانبه ، فكان هذا الامام (عاصم) جامعا للقراءات ووجوهها والروايات وأسانيدها فجمع الامالة والفتح ، ثم اشتهرت عنه رواية الفتح لما ذكرنا .

---

(١) الحجة لابي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٤٠ .
(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٨ .
(٣) المصدر السابق .

وأما الإجابة عن السؤال الآخر فواضحة من تتبع شيوخ عاصم ، وما كان يقرىء به كلا من راوييه ، فالمعروف ان عاصما قرأ على زر بن حبيش وهذا أسدي كوفي ، ثم قرأ على أبي عمرو الشيباني ، وهو اسدي كوفي كذلك [1] ومعروف ان بني أسد مميلون [2] هذا الى ان قراءة عاصم تنتهي الى عبدالله بن مسعود كما تنتهي قراءة حمزة والكسائي [3] ومن هنا نجيز لانفسنا ان نسمي هؤلاء الشيوخ « **مدرسة الإمالة في قراءة عاصم** » .

وبجانب هؤلاء الشيوخ اصحاب المدرسة المميلة ، شيخ آخر لعاصم من بني سليم هو ابو عبد الرحمن السلمي [4] . وقد حدث ابو بكر بن عباس قال : قال لي عاصم : « ما اقرأني أحد حرفا إلا ابو عبد الرحمن السلمي ، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر » .

وإذن قد كانت هناك مدرستان لعاصم : **احداهما** ممثلة في السلمى يؤثر عنها الفتح ، **والاخرى** ممثلة في زر بن حبيش ـ يؤثر عنها الإمالة ، فما أثر هاتين المدرستين في رواية كل من أبي بكر وحفص عن عاصم ؟ لقد روى أبو بكر عن عاصم إمالة غامرة كما رأينا ، ولم يرو حفص عن عاصم إلا مجريها في المشهور عنه، فهل اتصلت رواية ابي بكر بشيوخ عاصم زر أو الشيباني من أصحاب المدرسة المميلة ؟ وهل اتصلت قراءة حفص بشيخ عاصم أبي عبد الرحمن السلمى وهو صاحب المدرسة الفاتحة ؟

يجيب عن هذا ما رواه حفص عن عاصم اذ قال : قال لي عاصم : **« ما كان من القراءة التي اقراتك بها فهي القراءة التي قرات بها على ابي عبد الرحمن السلمى عن علي ، وما كان من القراءة التي اقراتها ابا بكر بن عياش ـ وهو مكثر في رواية الإمالة عن عاصم كما انتهينا اليه من قبل ـ فهي القراءة**

---

(١) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٨ .
(٢) انظر الفصل السابق .
(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .
(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٨ .

التي كنت اعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود (١))) .

وبهذا النص وبما ذكرناه من قبل نستطيع ان نفهم في وضوح لا لبس معه ولا خفاء فيه موقف كل من أبي بكر وحفص في روايتهما عن شيخهما عاصم . كما يفسر لنا ونحن مطمئنون : لماذا أكثر ابو بكر من الإمالة في روايته عن عاصم ، وقلل حفص منها ؟.

(٤) أبو عمرو البصري (ت ١٥٤هـ)

والامر مع أبي عمرو البصري واضح فهو تميمي اولا (٢) ، وتظهر أثر البيئة العراقية عنده ظهورا واضحا ، ومذهبه في الإكثار من الإمالة يتسق هو وهذه البيئة ، فقد نشأ ابو عمرو بالبصرة (٣) ، وقرأ فيما يقول ابن الجزري في البصرة والكوفة على جماعة كثيرة (٤) ، وتوجه مع أبيه لما هرب من الحجاج ، فقرأ بمكة والمدينة ، ويكون من شيوخه المكيين حميد ابن قيس الأعرج (٥) ، وعبدالله بن كثير (٦) ، وعكرمة بن خالد المخزومي (٧) ، وعطاء بن ابي رباح (٨) ، ومجاهد بن جبر ابو الحجاج (٩) ومحمد بن عبد الرحمن بن يحيى السهمي (١٠) .

ويكون من شيوخه المدنيين شيبة بن نصاح مقرىء المدينة (١١) وابو

---

(١) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٨ .
(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٨ ربط مذهب ابي عمرو في ذوات الراء بما رواه المبرد في المقتضب من ان بني تميم يميلون ذوات الراء ..
(٣) طبقات القراء ج ١ ص .
(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٩ .
(٥) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٥ .
(٦) طبقات القراء ج ١ ص ٤٤٣ .
(٧) طبقات القراء ج ١ ص ١١٥ .
(٨) طبقات القراء ج ١ ص ٥١٣ .
(٩) طبقات القراء ج ٢ ص ٤١ .
(١٠) المصدر السابق ج ص ١٦٧ .
(١١) طبقات القراء ج ١ ص ٣١٩ .

جعفر يزيد ابن القعقاع [1] ، ونافع المدني احد القراء السبعة [2] ، ويزيد بن رومان [3] .

ومن شيوخه العراقيين الحسن بن أبي الحسن البصري [4] ونصر بن عاصم الليثي البصري [5] ويحيى البصري [6] وعاصم بن أبي النجود الكوفي [7] .

فها نحن اولاء نرى ان شيوخه خليط من العراقيين : بصريين وكوفيين ، والحجازيين مكيين ومدنيين ، وقد كان ابو عمر يختار لنفسه مما يقرأ على شيوخه الكثيرين [8] ويبدو تأثره واضحا بنافع المدني في اشتراكه مع ورش تلميذ نافع في امالة طائفة من الكلمات ، كما يبدو اختياره لنفسه في امالة بعض ما أمال امالة كبرى ، وبعضه الآخر بين بين كما يميل ورش [9] .

وابو عمرو ، مع موافقته ورشا في امالته فواصل السور الاحدى عشرة [10] . بين بين ــ يعتد في باب الإمالة بما يعتد به المدني الاول لعرضه على ابي جعفر كما نص عليه الداني [11] .

---

(١) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٨٩ .
(٢) ابراز المعاني جـ ٥ .
(٣) جـ ٢ ص ٣٨١ .
(٤) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٣٥ .
(٥) طبقات القراء جـ ٢ ص ٣٣٦ .
(٦) طبقات القراء جـ ١ ص ٣١٨ .
(٧) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٤٦ .
(٨) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٢ .
(٩) انظر ورقة ١٢٠ شرح حرز الاماني للجعبري والتيسير للداني ص ٤٦ والتحبير في علوم التفسير .
(١٠) هي طه ، والنجم ، وسبح باسم ربك ، الشمس وضحاها ، الليل ، المعارج ، القيامة ، النازعات ، عبس ، الضحى ، العلق .
(١١) سراج القارىء المبتدىء لابن القاصح ص ١٢١ ، البهجة المرضية في شرح الدرة المضيئة للشيخ الضباع على هامش ابراز المعاني ص ١٦٧ .

وهكذا نجد أبـا عمـرو متأثرا ببيئته وبشيوخه هـذا التأثر الذي أوضحناه من قبل .

(٥) حمزة الكوفي (ت ١٥٦ هـ)

(٦) الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ[1])

فاذا وصلنا الـى الكوفيين حمزة والكسائي وجب أن تقدم بين يدي التعليل لمذهبيهما في الإكثار من الإمالة **الحقائق الآتية :**

(١) ان اهل الكوفة كانوا يقرأون بقراءة عبدالله بـن مسعود [2] ، واليه تنتهي قراءة حمزة والكسائي [3] .

(٢) وإن حمزة عرض على سليمان الأعمش ، وحمران بن أعين وأبي إسحق السبيعي، ومحمد بن عبد الرحمن بن ليلى، وكان الأعمش يجود حرف **ابن مسعود** وكان ابن أبي ليلى يجود حرف علي . وكان ابو اسحق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف ، وكـان حمران يقـرأ قراءة **ابن مسعود** ولا يخالف مصحف عثمان ، **وهذا كان اختيار حمزة** [4] .

(٣) وإن عبدالله بن مسعود كان مـع حرصه على علم كتاب الله معتدا الاعتداد كله بمصحفه وبقراءته . روى ابو بكر السجستاني عـن شيوخه قال : خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال «ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة» غلوا مصاحفكم ، وكيف تأمروني ان اقرأ علـى زيد بـن ثابت ، وقـد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة ؟ وان زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان ، والله ما يزل من القرآن إلا وأنا اعلم في أي شيء نزل ، ما احد اعلم بكتاب الله مني ، وما أنا بخيركم ولو اعلم مكانا تبلغه الابل اعلم بكتاب الله مني لأتيته [5] » .

---

(١) جمعناهما في الحديث لانهما متفقان في البيئة والشيوخ فحمزة استـاذ الكسائي ، وكل منهما كوفي .
(٢) المصاحف للسجستاني ص ١٤ .
(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٢ .
(٥) المصاحف للسجستاني ص ١٦ .

(٤) وان عبدالله بن مسعود كان يقرأ (طِهِ) حدث الداني باسناده عن شيوخه قال قرأ رجل على ابن مسعود (طه) وفتح : قال ابن مسعود (طِهِ) .

وكسر فأعاد الرجل ، فأعاد ابن مسعود ، فقال : والله ما علمنيها رسول الله إلا (طِهِ) ولانزل بها جبريل (عليه السلام) إلا كذلك . قال ابو عمرو الداني : وهذا الحديث المسند أصل كبير في الامالة مع استقامة طرقه ، واشتهار نقلته [١] .

(٥) ويستنتج Jeffry ان (طه) كتبت في مصحف ابن مسعود (رضي الله عنه) (طِهِ) [٢] .

(٦) ويتصل سند حمزة وتلميذه الكسائي من بعده بابي بن كعب : فهو كما جاء في سراج القارىء المبتدىء قرأ (أي حمزه) على ابن ابي ليلى ، على ابي المنهال على سعيد بن جبير على عبدالله بن عباس على ابي ابن كعب [٣] . ومصحف ابي فيه كما استنتج Jeffry (طيها) [٤] .

(٧) وإن حمزة قرأ ايضا على جعفر الصادق على أبيه محمد الباقر على أبيه زين العابدين على أبيه الحسين على أبيه علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) [٥] .

وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا ان تتبين مذهب حمزة في الإمالة ، كما يمكننا التعليل له بيسر وسهولة :

---

(١) الموضح للداني ورقة ٥٧ وانظر ج ٢ النشر ص ٣١ وانظر لسان العرب مادة طه .

(٢) ملحق Jeffry لكتاب المصاحف للسجستاني ص ٥٩ .

(٣) سراج القارىء ص ١٣ .

(٤) ملحق Jeffry لكتاب المصاحف للسجستاني ص ١٤٦ .

(٥) سراج القارىء ص ١٣ .

فاولا كل من ابن مسعود وأبيّ يلتزم في قراءته الامالة في (طه) على اختلاف بينهما فيما يمال من حرفي هذه الكلمة (١) .

وثانيا سند حمزة علي بن ابي طالب سند كله شيوخ كوفيون شيعيون عاشوا في الكوفة ، واتخذوها دارا ، وقرارا ، وجعلوا من رجالها انصارا .

وثالثا اذا اضفنا الى ذلك ان الكوفة نزل بها رجال من قبيلة أسد التي اشتهرت بالامالة كما بينا من قبل ، وأفرادها يقرأون القرآن بلهجتهم في الإمالة إذ هي لحن من لحون العرب التي اباح لهم الحديث الشريف أن يقرأوا بها (١) .

ورابعا انه قد مضت مدة كافية على نزول هؤلاء الاسديين الكوفة، واستيطانهم اياها حتى تكاثروا وسيطرت لهجتهم على لهجة الأعاجم المستعربين ، والمتفصحين ، من أمثال الكسائي وحمزة وغيرهم .

وخامسا اذا علمنا ان الكسائي كان مولى هؤلاء الاسديين وربيبهم (٢) اذا لحظنا هذه الاعتبارات جميعا امكننا ان نفهم سبب اكثار حمزة والكسائي من الإمالة ، اذ كان ذلك ـ في جماع من القول ـ **« بهدى من شيوخهما الذين عنهم يقرءان ، وبيئتهما التي كانا فيها يضطربان ويعيشان »** .

(٧) نافع المدني (ت ١٦٩ هـ)

ثم ماذا عن نافع ؟ ألم يكن مدنيا عاش في المدينة يقرأ للناس دهرا طويلا نيفا عن سبعين سنة (٣) ؟ واذا كان الامر يبدو طبيعيا مع راويه قالون لأنه مدني متأثر ببيئة الحجاز ، فلماذا كان راويه (ورش) مكثرا في رواية الامالة عنه ؟

---

(١) انظر الموضح للداني ورقة ٢٤ .
(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٥ .
(٣) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣١ .

والجواب عن ذلك سهل اذا عرفنا ان نافعا روى عن سبعين من التابعين [1] فهو بذلك عالم بأوجه القراءات جميعا [2] لشيوخ من قبائل مختلفة ، وانه جلس للاقراء هذه المدة الطويلة نيفا وسبعين سنة في مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي جواره ، والمدينة (رعى الله مبناها ومعناها) مهجر الرسول ، وفيها قبره ومزاره يقصده الحجيج من جميع الاقطار الاسلامية اداء للسنة في زيارته ، والتماسا للمأمول من شفاعته . وفيهم مشتغلون بالقراءات والاقراء . والرجل مشهور برياسته للقراءة في المدينة [3] . فيقصده هؤلاء يقرءون عليه بما قرءوا في بلادهم،ويجدون من علمه ومن طبيعة نفسه ورغبته في ثواب القرآن ما يعينهم على ذلك اذ كان في نافع دعابة [4] ، ومن كان في نفسه شيء من ذلك فهو يميل الى الاسجاح والمياسرة ، لا التزمت والمعاسرة ، وهذا ما روى عنه : كان يسهل القراءة لمن قرأ عليه إلا ان يقول له انسان : أريد قراءتك [5] .

قصده **من المصريين** سقلاب بن شيبة[6]، وعثمان بن سعيد ورش[7]، ومعلي بن دحية [8] ، وحميد بن سلامة [9] .

وقصده **من أهل الشام** عراك بن معدان[10]، وخويلد بن معدان[11].

وقصده **من المغاربة** كردم المغربي [12] .

---

(١) الابانة لمكي بن ابي طالب ص ٨ .
(٢) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣١ .
(٣) طبقات القراء ج ٢ ص ٤٣١ .
(٤) طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣١ .
(٥) المصدر السابق (طبقات القراء) ج ٢ ص ٣٤٣ .
(٦) المصدر السابق ج ١ ص ٣٩٨ .
(٧) المصدر السابق ج ١ ص ٥٠٢ .
(٨) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٠٤ .
(٩) المصدر السابق ج ١ صفحة ٢٦٥
(١٠) المصدر السابق ج ١ صفحة ٥١١ .
(١١) المصدر السابق ج ١ صفحة ٢٧٦ .
(١٢) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٢ .

وقصده من الاندلسيين الغاز بن قيس [1] .

ومن خراسان خارجة بن مصعب [2] .

وكان يقرىء كل واحد من هؤلاء وغيرهم ممن يقصده بما يريد ، وقد سئل في ذلك، فقال: سبحان الله !. احرم ثواب القرآن ؟ انا اقرىء الناس بجميع القراءات حتى اذا كان من يطلب حرفي اقرأته به [3] .

وروى الداني عن معلي بن دحية بن قيس ابي دحية المصري قال : سافرت بكتاب الليث بن سعد الى نافع لأقرأ عليه ، فوجدته يقرىء الناس بجميع القراءات . فقلت له : يا أبا رويم ما هذا ..؟ قال لي : سبحان الله ! أأحرم ثواب القرآن ؟ أنا اقرىء الناس بجميع القراءات حتى اذا كان من يطلب حرفي أقرأته به .

. . . . . .

وقد حدث الازرق قال : لم يذكر سقلاب ولا ابن دحية خلافا لورش في سائر الحروف قلت (أي ابن الجزري) وكذا قال يونس بن عبد الاعلى اقرأني ابن أبي دحية مثل ما اقرأني ورش من أوله الى آخره [4] . فأي دليل على ضبط هؤلاء الأئمة المقرئين وهؤلاء الطالبين الآخذين ؟ ذلك مما يبعث الايمان الصحيح بهذه القراءات المروية من هؤلاء الثقات عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وبهذا النص الذي روى عن نافع نستطيع ان نفسر هذه الظاهرة التي قد تبدو غريبة امام النظرة العابرة ، هذه الظاهرة ما نراه من الاختلاف بين

---

(١) طبقات القراء ج ١ صفحة ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٣١ .

(٣) طبقات القراء ج ٢ صفحة ٣٠٤ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٠٤ .

بعض هؤلاء الأئمة والبعض الآخر ، مع ان بعضا منهم قد قرأ على بعض فالكسائي استاذ حمزة [1] ومع ذلك لا نراهما يتفقان في كل الحروف الممالة بل لكل منهما انفرادات نسبت اليه ، وكذلك الامر في أبي عمرو بن العلاء البصري واستاذيه نافع المدني [2] وابن كثير المكي [3] .

وبهذا النص الذي روى عن نافع ايضا يفسر ما نراه عند رواييه قالون وروش من التخالف ، فقالون يروي عن نافع الاقلال في الامالة ، بينهما ورش يروى عنه مكثرا منها [4] .

وزيادة في الايضاح نعرض قول مكي بن أبي طالب في الإمالة قال (رحمه الله) : ــ فان سأل سائل فقال : ما العلة التي من أجلها كثر الاختلاف عن هذه الأئمة وكل واحد منهم قد انفرد بقراءة اختارها مما قرأ به على أئمته . ؟

فالجواب ان كل واحد من الأئمة قرأ على جماعة بقراءات مختلفة ، فنقل ذلك على ما قرأ فكانوا به برهة من أعمارهم يقرئون الناس بما قرءوا فمن قرأ عليهم بأي حرف كان لم يرده عنه اذا كان ذلك مما قرءوا به على أئمتهم ، ألا ترى ان نافعا قال : قرأت على سبعين من التابعين فما اتفق عليه اثنان اخذته ، وما شذ فيه واحد تركته ، يريد ــ والله اعلم ــ مما خالف المصحف فكان من قرأ عليه بما اتفق فيه اثنان من أئمته لم ينكر ذلك ، وقد روى عنه انه كان يقرىء الناس بكل ما قرىء به حتى يقال له:نريد ان نقرأ عليك باختيارك مما رويت وهذا قالون ربيبه وأخص الناس به وورش أشهر الناس في المتحملين اليه ، اختلفا في أكثر من ثلاثة آلاف حرف من قطع وهمز وتخفيف وادغام وشبهه ، ولم يوافق أحد من الرواة عن نافع رواية

---

(١) طبقات القراء ج ١ صفحة ١٢٦ .
(٢) المصدر السابق ج ٢ صفحة ٣٣١ .
(٣) المصدر السابق ج ١ صفحة ٤٤٣ .
(٤) شرح حرز الاماني للجعبري ورقة ١٢٠ .

ورش عنه ، ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش،وإنما ذلك لأن ورشا قرأ عليه بما تعلم في بلده فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض ائمته ، فتركه على ذلك ، وكذلك ما قرأ عليه قالون وغيره وكذلك الجواب عن اختلاف الرواة عن جميع القراء ، وقد روى عن غير نافع انه كان لا يرد أحداً ممن يقرأ عليه اذا وافق ما قرأ به على بعض أئمته ، فان قيل له « آثرنا بما اخترته من روايتك » اقرأ بذلك [1] .

وجاء في كتاب الحجة للفارسي : وأما من جمع بين الامرين كما روى عن نافع انه فتح تلا ، وأمال غيرها يقصد « دحا » وكل واحدة من الامالة وخلافها جائز ، فقوله حسن لأخذه بشيئين كل واحد منهما مسموع مأخوذ به ، فأخذ بأحدهما مرة وبالآخر مرة اخرى [2] .

وبمثل ذلك النص من كلام مكي بن ابي طالب ، وبما سبق من النصوص في الكلام عن نافع واختلاف رواييه (قالون وورش) في الرواية عنه نستطيع ان نعلل انفرادات الراويين عن إمام واحد ، كتفرد هشام بامالة خمسة احرف هي :

مشارب [3] ، آنية [4] ، عابد وعابدون في قل يأيها الكافرون [5] خاصة في ثلاثة مواضع [6] .

وكتفرد ابن ذكوان بامالة المحراب حيث وقع اذا كان مخفوضا [7] .

ولكن هناك مسألة ادق من هذه ، فقد لا يكون الاختلاف بين راويي

---

(١) الابانة لمكي صفحة ٨ .
(٢) الحجة لابي علي الفارسي .
(٣) س ٣٦ آ ٧٣ .
(٤) س ٨٨ آ ٥ .
(٥) س ١٠٩ آ ٣ و ٥ .
(٦) الابانة لمكي ورقة ١٤ .
(٧) التيسير صفحة ٤٦ وما بعدها .

الإمالة ، وإنما يكون الاختلاف عن الراوي نفسه ، يروى مرة عن شيخه الفتح ، ويروى اخرى عنه الامالة : جاء في كتاب الموضح للداني رواية عن ابي عمرو قال: حدثنا الفارسي قال: ثنا عبدالواحد بن عمر عن اصحابه عن قاسم الخياط عن الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم **انه امال الباب كله** (١) ثم أورد روايات اخرى جاء فيها :

روى محمد بن خلف التميمي عن الأعشى **الباب كله بين التفخيم والكسر** .

وكذلك روى ضرار عن يحيى عن أبي بكر وكذا ثنا أبو الفتح شيخنا قال : ثنا ابن طالب قال : ثنا الحسن بن داود قال : ثنا قاسم عن محمد بن حبيب عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم .

ثم قال : وحدثنا أبو الحسن شيخنا قال : ثنا على بن محمد وثنا فارس ابن أحمد قال: ثنا عبدالله الحسين قالا : ثنا احمد بن سهل قال : ثنا على بن محصن قال : ثنا عمرو ابن الصباح قال ذكر أبو يوسف الأعشى عن أبي بكر عن عاصم **انه لا يكسر شيئا** .

ثم أورد سندا آخر برأي رابع قال فيه : وروى لنا ابو الحسن شيخنا عن اصحابه عن الأعشى عن ابي بكر عن **عاصم الامالة في الباب كله** إلا ما كان فيه صاد ، لأن الشموني قال عنه : وعلى أبصارهم مفتوح (٢) .

فهذه أسناد أربعة عن راو واحد بآراء اربعة :

ا ــ بالفتح مطلقا .

ب ــ بالإمالة مطلقا .

جـ ــ بين التفخيم والكسر .

د ــ بالإمالة إلا ما كان فيه صاد .

---

(١) باب ما ورد في كتاب الله تعالى من الاسماء التي الراء في آخرها مجرورة وقبلها الف « وعلى ابصارهم » انظر الموضح للداني ورقة ٢٨ .

(٢) الموضح ورقة ٢٨ .

ونرى أمثلة أخرى لمثل هذه الروايات المتعددة عن الراوي الواحد في كتاب الموضح [1] . ومثلها ما أورده أبو علي الفارسي بسنده اذ قال : روى خلف عن يحيى بن آدم عن ابي بكر عن عاصم أنه كان يميل الراء والهمزة من قوله تعالى ، « رأى الشمس ، ورأى القمر ، ورأى الذين ظلموا العذاب وما كان مثله » .

وكان غير خلف يروى عن يحيى عن ابي بكر عن عاصم في ذلك بفتح الهمزة بعد كسرة الراء مثل حمزة [2] .

فكيف تفسر هذه الروايات المتخالفة ..؟ ومع الاعتداد بصحة هـذه الأسناد دون تجريح لها نستطيع أن نحيل هـذا التخالف الى توافق بأحد التفسيرات الآتية :

١ ــ قد يكون للقارىء قراءتان : إحداهما قديمة عدل عنها الى أخرى جديدة معمول بها عند الرواة عنه [3] ، ومثال ذلك ما روى عن الكسائي في قراءته ناخرة ، فقد روى عنه أبو عمرو الدوري انه كان لا يبالي كيف قرأها أبالألف أم بغير الألف ؟ ، وقال أبو الحرث : كان يقرأ نخرة ، ثم رجع الى ناخرة [4] ، قال الداني « ثنا عبد الرحمن بن محمد : ثنا محمد بن حامد ثنا محمد بن الجهم : ثنا زكريا يحيى بن زياد القراء قال : وسمعته قال أنا أقرأ لك « تعدو » [5] بالتخفيف اتباعا لقراءة الاعشى ولا تراني أقرأها بعد يومي هذا إلا بالتشديد لأنها ذكرت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) [6] .

ب ــ قد لا يعدل القارىء عن إحدى قراءتيه ، وإنما يعتد بهما معا ؛

---

(١) انظر مثلا ورقة ٢٧ و ٤٩ .
(٢) الحجة جـ ١ صفحة ٣٥٠ ن البلدية .
(٣) انظر الموضح صفحة ٣٠ .
(٤) الحجة للفارسي جـ ٧ صفحة ٣٤٠ .
(٥) س ٤ آية ١٥٤ .
(٦) طبقات القراء جـ ٢ صفحة ٣٧١ .

لأنه اذا كان لكل قراءة من ذلك وجه . فقد يجوز أن يكون رأى أن يقرأ بكل واحد منهما [1] .

جـ ـ وربما يكون الخطأ من السامع نفسه وفهمه لمذهب القارىء في المستوى الذي يعتد به في درجة الامالة حتى يعد الحرف ممالا ، وقد ظفرت بمثلين متشابهين يفسران هذه الحالة ـ في كتاب الموضح .

احداهما : قال ابن سعدان كان إسحق اذا لفظ بزادهم كان يشير الى الكسر قليلا ، فاذا قلت له : إنك تشير الى الكسر : قال : لا ، ويأبى إلا الفتح [2] .

وأخراهما : روى محمد بن المسيبي عن أبيه ، وابن سعفان عنه : الطاء والهاء مفتوحتان . قال ابن سعدان : كان إسحق يشير فيها الى الكسرة فاذا قلت له إنك تكسر قال لا ، ويأبى إلا الفتح [3] .

فرواية سعدان هاتين الروايتين في هذين الحرفين عن إسحق دليل على أن إسحق كان يرى مستوى أبعد في درجة إمالة الحرف حتى يعد ممالا،ولا يكفي في هذا المستوى مجرد الإشارة الى الكسر ، على حين ان ابن سعدان يعد مجرد الإشارة الى الكسر إمالة .

وربما كان هذا الاختلاف بين ابن سعدان ومن سمع عنه ـ مصدره حدة سمع ابن سعدان ، حتى أحس إشارة الى الكسر غير مقصودة من القارىء وقد كان ابن سعدان ضريرا [4] ، والمكفوفون مشهورون بهذه الدقة في اسماعهم (نظرية تعويض الحواس) .

وقبل أن نختم هذا الفصل يجدر بنا ان نناقش نصا روى عن الفراء ،

---

(١) الحجة للفارسي جـ ١ صفحة ٣٦٠ .
(٢) كتاب الموضح ورقة ٢٤ .
(٣) الموضح صفحة ٢٥٥ .
(٤) طبقات القراء جـ ٢ صفحة ١٤٣ .

وفهمه ابو شامة على غير وجهه ، وهذا النص يتصل بمذهب كل من عاصم وحمزة في الإمالة .

« حكى ابن مهران عن خلف قال : سمعت الفراء النحوي « يحيى بن زياد » يقول:« افرط عاصم في الفتح ، وأفرط حمزة في الكسر » قال « وأحب اليَّ أن تكون القراءة بين الفتح والكسر مثل قراءة أبي عمرو (رحمه الله) ، وإنما يترك ذلك من يترك لما لا يقدر عليه ؛ لأنه أمر صعب شديد » .

وقد عقب على ذلك أبو شامة بقوله « قلت صدق .. ولصعوبته غلب على ألسنة الناس جعله كالامالة المحضة ، وفرقوا بينهما برفع الصوت وخفضه وهو خطأ،ثم اعطى مقياسا تقاس به الامالة المتوسطة فقال « وأسهل ما يظهر فيه إمالة بين الراء ، فهو في نحو ذكرى أشد بيانا فافهم ذلك وابن عليه » .

ونحن نخالف أبا شامة في فهمه النص السابق عن الفراء ، فليس المراد من إفراط عاصم في الفتح وإفراط حمزة في الكسر إفراطا في الكيفية ، وإنما هو إفراط في الكمية ، فعاصم عرف عنه الإكثار من الأحرف المفتوحة [1] ، وحمزة عرف عنه الاكثار من الألفاظ الممالة ، كما أن أباعمرو اتخذ لنفسه طريقا وسطا بين المذهبين ، فكانت الكلمات التي روى عنه إمالتها بين هذين :

وما ورد في شرح المفصل لابن يعيش يؤكد هذا الذي ذهبنا اليه ، ويعين عليه : قال ابن يعيش والممال كثير في كلام العرب ، فمنه ما يكون في كثرة الاستعمال تفخيمه وإمالته سواء ، ومنه ما يكون أحد الأمرين فيه أكثر وأحسن ، وكان عاصم يفرط في الفتح وحمزة في الكسر ، وأحسن

---

(١) شرح ابي شامة للشاطبية « ابراز المعاني » صفحة ١٦٤ .

ذلك ما كان بين الكسر المفرط والفتح المفرط [1] . فذكره أفرط عاصم في الفتح وحمزة في الكسر بعد نصه على كثرة الكمية الممالة في كلام العرب دليل على أن المراد من إفراط كل من هذين الامامين إفراط في الكم لا في الكيف .

وقد يقال:« اذا كنت تفسر الافراط في الفتح والكسر بأنه إفراط عددي فالأولى أن يقال « أفرط ابن كثير في الفتح » .

والجواب عن ذلك:لعل يحيى بن زياد أراد الموازنة بين قراء عراقيين ، فتحدث عن عاصم ومذهبه في الفتح ، والافراط العددي منه معروف ، ثم تحدث عن حمزة والإفراط العددي منه في الامالة معروف كذلك ، وكلاهما عراقي كوفي ، ولهذا السبب اختار قراءة أبي عمرو البصري العراقي ولم يختر قراءة ورش مع أنه يقارب أبا عمرو في الامالة من حيث كمها .

فإن قيل:اذا كنت تفسر هذا التفسير في المراد من الإفراط في الفتح عند عاصم ، والافراط في الامالة عند حمزة فما وجه الصعوبة والشدة ، وعدم القدرة التي تدعو الى ترك قراءة (بين الفتح والكسر) اذا لم يكن المراد منها بين الفتح المفرط والكسر المفرط كيفا لا كما ؟

فالجواب عن ذلك ان الاحاطة بمذهب أبي عمرو البصري في باب الإمالة أصعب وأشد من الاحاطة بمذهب عاصم أو بمذهب حمزة ، لما في مذهب أبي عمرو من التفصيلات والقيود [3] .

وكان كل من مذهب عاصم ، أو مذهب حمزة يجنح الى الفتح عند أولهما في معظم الكلمات ويجنح الى الكسر عند الآخر ، في معظم الكلمات

---

(١) على حسب ما اشتهر عن عاصم لا ما روى عنه « راجع ذلك في اول هذا الفصل » .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ صفحة ٥٤ .
(٣) راجع مذهب كل في اول هذا الفصل .

فلا يحتاج الى مشقة وجهد في التعرف على مذهب كل منهما واستيعابه .
ولعل صعوبة الاحاطة بمذهب أبي عمرو البصري كـان سببا فـي افراده بالتأليف منظوما كي تسهل الاحاطة به ، كما فعل عبد الحافظ بن علي غنيم أرجوزة في أحكام الامالة على مذهب الامام أبي عمرو بن العلاء البصري المازني ، ثم يضع شرحا لهذه الأرجوزة يسميه « زوال الجهالة بشرح منظومة الامالة » [1] .

ثم كيف نطعن في قراءة إمامين علمين من أئمة القراء الاجلاء في كيفية الاداء .. وقد انتهت الى كل منهما رئاسة الاقراء ؟ وكيف نفسر الافراط في الفتح بالتفخيم المعيب عند القراء .؟ وكيف نفسر الافراط في الكسر بالجنوح الظاهر الى الياء .؟ وهل عجز هذان الامامان على جلال قدرهما عن أن يؤديا ما يؤديان من فتح أو امالة بما يتفق مع قواعد النطق الصحيح .؟

على ان النصوص التي رويت عن عاصم تؤكد انه كان من خير الناس اقراء للقرآن، قال أبو بكر بن عياش «لا أحصى ماسمعت أبا اسحق السبيعي يقول: **ما رايت احدا اقرا للقرآن من عاصم بن ابي النجود** [2] .

فالناس يتحدثون عن اجادة عاصم في كثير ، حتى انهـم لا يكادون يحصون شهاداتهم له بالاجادة في القراءة والأداء .

ومثل ذلك أو قريب منه كان يروى عن حمزة : فعن شعيب بن حرب انه قال « ألا تسألوني عن الدر .؟ يعني قراءة حمزة [3] ، وكان شيخه اذا رآه مقبلا يقول : « هذا حبر القرآن [4] » .

ثم أي صعوبة في أداء الحرف الممال إمالة لطيفة ..؟ وأي الأمرين

---

(١) زوال الجهالة مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٤ مجاميع قراءات .
(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٣٤٧ .
(٣) معجم الادباء لياقوت ج ١٠ .
(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٣ .

أصعب وأدق ، وأشد استعصاء عن الإحاطة ، وأحوج إلى زمن متطاول : آلتعرف على الكلمات الممالة عند أبي عمرو في استيعاب وضبط ، أم تعرف كيفية الأداء اداء صحيحا؟ لا شك ان الاول منهما يستلزم جهـدا طويلا ومشقة كبيرة .

ثم هل عجز السابقون أن يهتدوا الى مقياس يضبط الإمالة ، وقد كانوا (رحمهم الله) أكثر الناس عناية بالأداء ودقة الضبط ؟ : هل عجزوا ان يفعلوا كما فعل ابو شامة اذ يقول:« واسهل ما يظهر فيه إمالة (بين بين) الراء في نحو ذكرى أشد بيانا فافهم ذلك وابن عليه [1] » .

فان قيل : « أليس ما أورده كل من ياقوت في معجم لادباء [2] ، وابن الجزري في طبقات القراء من كراهة احمد بن ادريس وغيرهما لقراءة حمزة لما فيها من المد المفرط والسكت ، واعتبار الهمزة في الوقف والإمالة ونحو ذلك من التكلف [3] أليس ذلك دليلا يؤيد ابا شامة في فهمه نص الفراء ؟

أقول : ربما كان ذلك ــ إن صح ــ يتصل بطبيعة أحمد بن حنبل في التشدد ، وأنه ــ هو وابن إدريس ــ قد بلغهما ذلك الافراط عـن حمزة مفترى عليه ، ممن روى عنه فحكما بالكراهية لقراءة هذا الامام الجليل ، وقد ذكر ابن الجزري ان ذلك محمول على قراءة من سمعا منه ناقلا عـن حمزة ، وما آفة الاخبار إلا رواتها ، قال ابن مجاهد : قال محمد بن الهيثم : والسبب في ذلك ان رجلا ممن قرأ علـى سليم حضر مجلس ابـن إدريس فقرأ فسمع ابن ادريس الفاظا فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلـك مـن التلكف فكره ذلك ابن ادريس وطعن فيه . ولقد كان حمزة فيما روى عنه محمد بن الهيثم « يكره هذا وينهي عنه » [4] .

---

(١) ابراز المعاني ١٦٤ .
(٢) معجم الادباء ج ١٠ ص ٢٩٣ .
(٣) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٣ .
(٤) طبقات القراء ج ١ ص ٢٦٣ .

وكان يقول لمن يفرط عليه في المد والهمز « لا تفعل ! أما علمت ان ما فوق البياض فهو برص ؟ وما فوق الجعودة فهو قطط ؟ وما فوق القراءة فهو ليس بقراءة » [1] ؟

ومثل هذا الحرص على طريقة الأداء كان معروفا عن هؤلاء الأئمة الاجلاء ، حتى لقد روى عن سقلاب بن شيبة انه قال : قال لي نافع بيّن النون في هذه الأحرف اذا لقيتها عند الحاء والعين والخاء والغين والألف والهاء [2] . فإزاء هذا كله نستبعد على إمام انعقد الاجتماع على تلقي قراءته بالقبول ان يكون في قراءته ما يجانب الصواب،أو يجافي صحة الاداء .

(١) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٢٩٣
(٢) طبقات القراء ج ١ ص ٣٠٨ .

الفصل الثامن

أسباب الإمالة

(عند النحاة وعند القرّاء)

لم يضع سيبويه عنوانا خاصا بأسباب الإمالة في كتابه ، ولكنه ذكرها مفرقة غير مجموعة وقد دعا هذا من جاء بعده من النحاة الى استخراج هذه الاسباب ، وجمعها تحت عنوان ، ولم يتحدث المبرد « ٢٨٥ هـ » في كتابه المقتضب عن هذه الاسباب مجموعة، وقد ذكر السيوطي في الهمع أن أسباب الإمالة استخرجها أبو بكر بن السراج « ٣١٦ هـ » من كتاب سيبويه وسرد السيوطي هذه الأسباب التي استخرجها ابن السراج [١] .

وإذن في الامكان أن نفعل ما فعل ابن السراج ما دام الكتاب بين أيدينا ، فلنتتبع باب الإمالة عند سيبويه ، وننظر في قواعده وتمثيله وتعليله، ونستخرج منه ما يشير الى سبب من أسباب الإمالة ، ولننظر بعد ذلك مدى اتفاقنا مع ما انتهى اليه ابن السراج ، وما ذكره النحاة والقراء من بعده .

---

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٠

اولا ــ ما اميل من الكثير الغالب

الرقم	القاعدة في كتاب سيبويه وتمثيله	تعليله
(١)	(ا) فالالف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور ــ وذاك عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل .	(ا) وانما امالوها للكسرة التي بعدها
	(ب) ومما يميلون الفه قولهم ببابه ، وأخذت من ماله هذا في موضع الجر . وسمعناهم يقولون : من أهل عاد .	(ب) شبهوه بفاعل نحو كاتب وساجد والإمالة في (مررت ببابه اضعف ؛ لان الكسرة لا تلزم)
	(ج) وقالوا : في النجادين كما قالوا : مررت ببابه ، فأمالوا الالف . وقالوا في الجر : مررت بعجلانك فأمالوا كما قالوا مررت ببابك (١) .	
(٢)	(ا) اذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الالف حرف متحرك ، والاول مكسور أملت الالف نحو عماد وكلاب .	(ا) كسر الحرف الاول
	(ب) وكذلك ان كان بينه وبين الالف حرفان الاول منهما ساكن؛ لان الساكن ليس بحاجز قوي نحو سربال وشملال .	(ب) كسر الحرف الاول
	(ج) وتقول الاسوداد فيميل الالف هذه من امالها في الفعال لان وداد بمنزلة كلاب .	(ج) كسر الحرف الذي يقابل الفاء في الفعال
	(د) وقال بعض الذين يقولون في السكت بمال من عند الله ولزيد مال شبهوه بالف عماد .	(د) للكسرة ــ فهذا اقل من مررت بمالك؛ لان الكسرة منفصلة
	(هـ) وقالوا : درهمان ــ وقالوا : رأيت قرحا (أبزار القدر) ورأيت علما فيميلون (٢) .	
	(و) وقالوا في النجادين كما قالوا مررت ببابه فأمالوا الالف .	(هـ) جعلوا الكسرة كالياء
	(س) وقالوا في الجر : مررت بعجلانك فأمالوا كما قالوا : مررت ببابك .	

(١) ج ٢ ص ٢٦١ الكتاب لسيبويه . (٢) ج ٢ ص ٢٦١ الكتاب لسيبويه .

الرقم	القاعدة في كتاب سيبويه وتمثيله	تعليلـه
	(ح) وقالوا مررت بمال كثير ــ ومررت بالمال كما تقول هـذا ماش وهـذا داع (١) .	(ح) منهم من يدع ذلك في الوقف على حاله فيميل كراهية ان يكون كما لزم الوقف، ومنهم من ينصب في الوقف ؛ لانه قد اسكن ولم يتكلم بالكسرة فيقول بالمال وماش .
	(ط) يريد ان يضربها ، ويريد ان ينزعها (٢) .	(ط) لان الهاء خفية ، والحرف الذي قبل الحرف الذي يليه مكسور فكانه قال : يريد ان يضربا . كما انهم اذ قالوا ردها كانهم قالوا ردا ... صار ما بعد الضاد في يضربا بمنزلة علما (كثير من العرب يميل)
	(ي) وقالوا في مضربها وبها وبنا ، وهذا أجدر من سابقه .	(ي) لانه ليس بينه وبين الكسرة الا حرف واحد ــ ويظهر انه يريد بها وبنا ــ فاذا كانت تمال مع الهاء وبينها وبين الكسرة حرف فهي اذا لم يكن بين الهاء وبين الكسرة شيء اجدر ان تمال والهاء خفية .

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦١ . (٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٢ . (٣) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٣ .

الرقم	القاعدة في كتاب سيبويه وتمثيله	تعليلـه
	(ك) وقالوا عندها .	(ك) لانه لـو قال عندا أمال فلما جاءت الهاء صارت بمنزلتها لو لم تجيء بها .
	(ل) وقالوا في رجل اسمه ذه رايت ذها أملت الالف .	(ل) كأنك قلت رايت يدا في لغة من قال يضربا . ومر بنا لقربها من الكسرة كقرب الف يضربا .
	(م) واعلم ان ناسا ممن يميـل في يضربها ، ومنا ، ومنها ، وبنا ، واشباه هذا مما فيه علامة الاضمار واذا وصلوا نصبوها ؛ فقالوا يريد ان يضربا زيدا ويريد ان يضربها زيد . ومنا زيد (١) .	(م) وذلك لانهم ارادوا في الوقف ـ اذا كانت الالف تمال في هذا النحو ان يبينوا في الوقف حيث وصلوا الى الإمالة كما قالوا أفعى في افعى جعلوها في الوقف ياء فاذا أمالوا كان أبين لها؛ لانه ينحو نحو الياء واذا وصل ترك ذلك ، لان الالف في الوصل ابين كما قال اولئك في الوصل افعى زيد (١)
	(ن) وقول العامة ـ وقالوا معزانا في قول من قال عمادا فامالهما جميعا وذا قياس ، ومن قال عمادا قال معزانا وهما مسلمان وذا قياس قول غيرهم من العرب .	(ن) لان لمان بمنزلة عماد والنون بعده مكسور فهذا أجدر .
	فجملة هذا ان كل ما كانت له الكسرة الزم كان اقوى في الإمالة	

الرقم	القاعدة عند سيبويه وتمثيله	تعليله
	ففي (١) (ا) كاتب وساجد — الكسرة لازمة (ب) مررت ببابه — اضعف من (ا) لان الكسرة لا تلزم (ج) من عند الله — اضعف من(ب) لان الكسرة منفصلة (٢) وهما مسلمان لان لمان بمنزلة عماد ، والنون بعده مكسور ، فهذا اجدر ؛ لان الكسرة له الزم .	
(٣)	وبما يميلون الفه كل شيء من بنات الياء والواو ، وكانت عينه مفتوحة (ا) اما ما كان من بنات الياء فتمال الفه . (ب) واما بنات الواو فامالوا الفها (١) .	بنات الياء تمال الفها (ا) لان الالف في موضع ياء، وبدل منها فنحوا نحوها. بنات الواو تمال الفها . (ب) لغلبة الياء على هذه اللام؛ لان هذه اللام التي هي واو اذا جاوزت ثلاثة احرف قلبت ياء . والياء لا تقلب على هذه الصفة واوا فاميلت؛ لتمكن الياء في بنات الواو .

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٠ .

الرقم	القاعدة عند سيبويه وتمثيله	تعليلـه
(٤)	(ا) وما يميلون الفه كل اسم كانت في آخره الف زائدة للتانيث او لغير ذلك (١)	(ا) لانها بمنزلة ما هو من بنات الياء الا ترى انك لو قلت في معزى وحبلى فعلت على عدة الحروف لم يجيء واحد من الحرفين الا من بنات الياء؟ فكذلك كل شيء كان مثلهما مما يصير في تثنية او فعل ياء فلما كانت في حروف لا تكون من بنات الواو ابدا صارت عندهم بمنزلة الف رمى نحوها .
(٥)	(ب) وقد قال قوم طلبنا وطلبنا زيد **(وذلك قليل)**	(ب) كانه شبه هذه الالف بالف حبلى حيث كانت آخر الكلام ولم تكن بدلا من ياء
	ومما يميلون الفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين اذا كان اول فعلت مكسور نحوا نحو الكسرة . كما نحوا نحو الياء فيما الفه في موضع الياء وهي لغة لبعض اهل الحجاز (٢) واما العامة فلا يميلون ، ولا يميلون ما كانت الواو فيه عينا الا ما كان منكسر الاول ، وذلك خاف وطاب وهاب .	الكسرة في اول فعلت فينحون نحوها

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٢) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦١ .

الرقم	القاعدة عند سيبويه وتمثيله	تعليلـه
(٦)	(أ) ومما تمال الفه قولهم كيال وبياع (١) ويقولون شوك السيال والضياح كما قلت كيال وبياع وقالوا شيبان وقيس عيلان وغيلان فأمالوا للياء والذين لا يميلون في كيال لا يميلون هنا . (ب) وقالوا : رايت زيدا فأمالوا (٢) (جـ) وقالوا : بيني وبينها فأمالوا . وقالوا . يريد ان يكيلها ولم يكلها (٣) (د) وقالوا : فينا فأمالوا وعلينا للياء حيث قربت من الالف ولهذا قالوا : بيني وبينها (هـ) وقالوا : رايت يدا . (و) وقالوا : رايت يدها .	(أ) وانما فعلوا هذا لان قبلها ياء فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها نحو سراج وجمال . (ب) كما فعلوا ذلك بغيلان والإمالة في زيد اضعف لانه يدخله الرفع (جـ) أمالوا في الياء كما أمالوا في الكسرة (د) امالوا للياء حيث قربت من الالف (هـ) امالوا للياء (و) أمالوا للياء كما قالوا يضربا ويضربها
(٧)	وقال ناس : رايت عمادا فأمالوا للامالة . وتقول عمادا : تميل الالف الثانية لإمالة الاولى (٤) .	

(١) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦١ .
(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦١ .
(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦٢ .
(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦٢ .

ثانيا ـ القليل القياسي

وقد قال قوم فأمالوا أشياء ليست فيها علة مما ذكرنا فيما مضى وذلك قليل سمعنا بعضهم يقول :

طلبنا ، وطلبنا زيد كأنه شبه هذه الالف بألف حبلى حيث كانت آخر الكلام ولم تكن بدلا من ياء .

وقال رأيت عبدا، ورأيت عنبا، وسمعنا هؤلاء قالوا: تباعد عنا فأجروه على القياس .

وقول العامة وقالوا معزانا في قول من قال عمادا فأمالهما جميعا وذا قياس ومن قال عمادا قال معزانا وهما مسلمان وذا قياس قول غيرهم من العرب ؛ لان قوله لمان بمنزلة عماد ، والنون بعده مكسور فهذا أجدر .

فجملة هذا ان كل ما كانت له الكسرة الزم كان أقوى في الإمالة (١) .

ثالثا ـ باب ما اميل على غير قياس وانما هو شاذ

(ا) الحجاج ـ إذا كان اسما لرجل ، وذلك لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الاكثر ، لأن الإمالة أكثر في كلامهم واكثر العرب ينصبه ، ولا يميل الف حجاج اذا كان صفة يجرونه على القياس (٢) .

(ب) وأما الناس فيميله من لا يقول هذا مال بمنزلة الحجاج وهم اكثر العرب؛لأنها كألف فاعل اذا كانت ثانية فلم تمل لغير الجر كراهية ان تكون كباب رميت وغزوت ؛ لأن الواو والياء في قلت ولعبت أقرب الى غير المعتل وأقوى .

(ج) وقال ناس يوثق بعربيتهم هذا مال ، وهذا باب ، وهذا عاب ، ما كانت بدلا من الياء كما كانت في رميت شبهت بها ، وشبهوها في باب ومال

---

(١) ج ٢ ص ٢٦٣ .
(٢) ج ٢ ص ٢٦٤ .

بالألف التي تكون بدلا من واو غزوت فتبعت الواو الياء في العين كما تبعتها في اللام ، لأن الياء قد تغلب على الواو هنا .

والذين لا يميلون في الرفع والنصب أكثر العرب ، وهو أعم في كلامهم . ولا يميلون في الفعل نحو قال ، لأنهم يفرقون بين ما فعلت منه مكسور ، وبين ما فعلت منه مضموم ، وهذا ليس في الأسماء .

وهكذا نرى سيبويه يتحدث في أسباب الإمالة عن :

(ا) ما أميل من الكثير الغالب كعماد ، وعالم ، وحبلى ، وطالب .

(ب) والقليل القياس كطلبنا ، وطلبنا زيد .

(ج) والشاذ الذي جرى على غير قياس .

ونراه رَجَعَ اسبابَ إمالة الالف في الكثير الغالب من كلام العرب الى سبب من الاسباب الآتية :

١ ــ كسرة بعد الالف وذلك عابد وعالم .

٢ ــ كسرة قبل الالف وذلك عماد .

٣ ــ اذا كانت الالف لاماً للكلمة :

(ا) في موضع الياء وبدل منها .

(ب) في موضع الواو ، ولكن الياء تغلبت عليها اذا جاوزت ثلاثة أحرف .

٤ ــ الالف الزائدة للتأنيث او للالحاق ، لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء .

٥ ــ اذا كانت الالف ــ بنت ياء أو واو ــ عينا فيما يؤول الى فلث .

٦ ــ ياء قبل الالف وذلك شيبان .

٧ ــ الإمالة للامالة كامالة ألف عمادا الثانية لإمالة الاولى .

ومن قوله « ولا تكون إمالة في » لم يعلمها ، ولم يخفها ؛ لأنه ليست ههنا ياء ولا كسرة وقوله « رأيت يدا » فأمالوا للياء وقال هؤلاء « رأيت دما ودمها » « فلم يميلوا لأنه لا كسرة ولا ياء » ــ من قوله ذلك نستنتج انه رَجَعَ الاسباب السابقة الى سببين رئيسيين هما :

« الكسرة والياء »

ونرى سيبويه يرجع سبب الامالة في باب الراء المكسورة الى :

(ا) انها بمنزلة حرفين مكسورين .

(ب) والى أنها تشبه الياء [1] .

وقد ذكر صاحب الهمع ان الاسباب التي استخرجها ابن السراج من الكتاب ستة هي :

١ ــ كسرة تكون قبل الألف .

٢ ــ أو بعدها .

٣ ــ أو ياء قبلها .

٤ ــ وانقلاب الالف عن ياء .

٥ ــ وتشبيه الالف بالالف المنقلبة عن الياء .

٦ ــ وكسرة تعرض في بعض الأحوال [2] .

فإذا وازنا بين ما استخرجناه من الكتاب ، وبين ما استخرجه ابن السراج رأينا ان ابن السراج قد أغفل:(١) إمالة الالف اذا كانت لاما للكلمة في موضع الواو ، ولكن الياء تغلب عليها اذا جاوزت ثلاثة أحرف، ثم : (٢) الإمالة للإمالة .

---

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠

(٢) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٠ .

وقد سار النحاة منذ القرن الرابع الهجري على سرد هذه الاسباب ، وتابعهم القراء على ما بين مذاهب الفريقين من فروق كما سنوضحه بعد ، هذا ما يبدو واضحا في كتب النحاة . كالجمل الكبيرة للزجاجي (٣٤٠ هـ) والمفصل للزمخشري (٥٣٨ هـ) ، وأسرار العربية لابن الانباري (٥٧٧ هـ) والشافية لابن الحاجب (٦٤٤ هـ) والارتشاف لأبي حيان (٧٤٥ هـ) والتوضيح لابن هشام (٧٦١ هـ) .

كما نراه ماثلا في كتب القراء كما في التبصرة لمكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) والموضح للداني (٤٤٤ هـ) والمبهج لسبط الخياط البغدادي (٥٤١ هـ) وإبراز المعاني لأبي شامة (٦٦٥ هـ) والسراج لابن القاصح (٨٠١ هـ) والنشر لابن الجزري (٨٨٣ هـ) .

غير انه يلحظ إغفال أبي القاسم الزجاجي (٣٤٠ هـ) للكسرة قبل الالف ، وللكسرة التي تعرض في بعض الاحوال ، والإمالة للامالة .

كما يلحظ أن مكيا لم يذكر الياء التي قبل الالف سببا من اسباب الإمالة ، وهو في ذلك متفق مع مذاهب القراء في أنهم لا يعتدون بالياء قبل الالف ، وقد ذكر ذلك في التوضيح لابن هشام .

كما يلحظ ان مكيا عبر عن الكسرة التي تعرض في بعض الاحوال بقوله كسرة في المعنى [1] ، وان ابن القاصح زاد (رسم المصحف) [2] سببا من أسباب الإمالة حيث يقول : « ان تكون الالف رسمت بالياء ، وإن كان أصلها الواو » [3] .

ويكاد ابن القاصح ينفرد بذلك من بين الكتب التي فحصنا من القراء بله النحاة . وقد عبر بعضهم عن الإمالة للامالة بالتناسب (كابن

---

(١) التبصرة لمكي بن ابي طالب ص ٩٦ .
(٢) شرح الشافية جـ ٢ ص ٤ وما بعدها .
(٣) سراج القارىء لابن القاصح ص ١١٧ .

هشام) في كتابه التوضيح ، وتابعه الاشموني من بعده [1] .

وبعضهم عبر عنها بمجاورة الممال (كابن القاصح) [2] كما يلحظ على ابن الحاجب [3] انه جعل الامالة للامالة قسمين :

(ا) الفواصل : وذلك في والضحى ، حيث أميلت لمناسبة الفاصلة قلى .

(ب) الإمالة قبلها على وجه ، نحو رأيت عمادا ، وتابعه السيوطي في جمع الجوامع [4] .

ونود هنا ان نسجل ما بدا لنا من ملاحظات **على منهج سيبويه في باب الامالة ومنهج من جاء بعده من النحاة :**

١ ــ فأول ما يلحظ **ان النحاة والقراء شرحوا بعض ما ذكره سيبويه مجملا .**

(ا) فقد قال سيبويه « فالالف قد تشبه الياء » [5] .

ولم يبين سيبويه وجه الشبه بين الالف والياء فجاء النحاة من بعده وبينوه ، ومن هؤلاء شارح الجمل الكبيرة للزجاجي حيث قال « الالف تشبه الياء في اللين » [6] .

(ب) وقال سيبويه[7] **ومما يميلون الفه كل اسم كانت آخره الف زائدة للتانيث او لغير ذلك ...** « لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء، ألا ترى انك لو قلت في معزى وحبلى فعلت ... الخ » . فجاء النحاة بعد سيبويه

---

(١) التوضيح وشرح التصريح ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٢) شرح الاشموني ج ٢ ص ٢٠٧ .
(٣) سراج القارىء لابن القاصح ص ١١٧ .
(٤) ج ٢ ص ٢٠٣ .
(٥) الكتاب ج ٢ ص ٢٥٩ .
(٦) شرح ابن الضائع مخطوط برقم ١٩ نحو دار الكتب .
(٧) الكتاب ج ٢ ص ٢٦١ .

وفصلوا ذلك الاجمال ، من هؤلاء المبرد (٢٨٥ هـ) في المقتضب ، اذ عقد بابا جعل عنوانه « هذا باب ما كان على أربعة أحرف أصلية أو زائدة » [١] .

جاء فيه : « اعلم ان ما كانت ألفه من ذلك طرفا فالإمالة فيه جائزة ، وهي التي نختار ، وذلك انه لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه :

١ ــ إما ان تكون ألفه منقلبة من ياء نحو مرمى ومسعى ؛ لأنه من سعيت ورميت ، وملهى ومغزى من غزوت ولهوت ، فانها ترجع الى الياء في قولك ملهيان ومغزيان ....

٢ ــ أو تكون الألف زائدة للتأنيث فحق الزوائد أن تحمل على الاصول فاذا كانت ذوات الواو ترجع الى الياء فالزوائد أولى ، وذلك قولك في حبلى من حبليان وحبليات .

٣ ــ فأما الملحقة نحو حبنطى ، وأرطى ، ومعزى ، تقول أرطيان ، ومعزيان وحبنطيان فكل هذا يرجع الى الياء . فكذلك فافعل به اذا كانت الالف رابعة مقصورة أو على أكثر من ذلك اسما كان أو فعلا .

(ج) ثم انظر وجه مشابهة الهاء بالالف في فصل إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف وقد ذكره سيبويه مجملا ، وفصّله القراء .

١ ــ بعض نصوص سيبويه تعرضت لمناقشة من جاء بعده النحاة :

قال سيبويه : وقال ناس يوثق بعربيتهم هذا باب ، وهذا مال ، فأمالوهما؛كأنهم شبهوا الالف فيهما وإن كانت منقلبة من واو بألف غزا ودنا المنقلبة من واو فأجروا العين كاللام [٢] .

وقال المبرد : « ولا تصلح الإمالة فيما ألفه في موضع العين اذا كانت واوا » [٣] .

---

(١) القسم الاول المقتضب ج ٣ ص ٣٨
(٢) شرح المفصل ج ٩ ص ٦٣ .
(٣) المقتضب القسم الاول ج ٣ ص ٣٧

ويقول ابو سعيد السيرافي : « وقول سيبويه أمثل،لأن عين الفعل قد تنقلب أيضا فيما لم يسمَّ فاعله [1] .

٢ ــ الياء بعد الألف لم يذكرها سيبويه صراحة سببا للامالة ، وإن كان قد ذكرها في قوله « لأنه ليس هنا كسرة ولا ياء » .

فجاء النحاة من بعده وذكروها [2] .

٣ ــ أغفل النحاة بعد سيبويه القواعد العامة التي ذكرها في الكتاب مثال ذلك هذا النص : « واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه ، فينصب بعض ما يميل صاحبه ، ويميل بعض ما ينصب صاحبه ، وكذلك مــن كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر ، فإذا رأيت عربيا كذلك فلا ترينه خلط في لغته ، ولكن هذا من أمرهم » [3] .

وقد ضرب سيبويه المثل في هذه المخالفة في قوله :

« واعلم ان بعض من يميل يقول : رأيت يدا ويدها فلا يميل تكون الفتحة أغلب ، وصارت الياء بمنزلة دم ؛ لانها لا تشبه المعتل منصوبة ، وقال هؤلاء رأيت زينا : فذا ما ذكرت لك من مخالفة بعضهم بعضا .

وقال اكثر الفريقين إمالة رمى، فلم يمل كره أن ينحو نحو الياء اذا كان إنما فر منها كما ان أكثرهم يقول رد في فعل فلا ينحو نحو الكسرة ؛ لأنه فر مما تبين فيه الكسرة ، ولا يقول ذلك في حبلى ؛ لأنه لم يفر فيها من ياء ولا في معزى » .

---

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٩٣ .
(٢) انظر التصريح على التوضيح ج ٢ صفحة ٣٥١ .
(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٣ .

هذه القواعد العامة أغفلها النحاة إغفالا تاما فلم نر لها ظلا في كتبهم، والظاهر انهم أغفلوها ؛ لأنها لا تتصل بناحية التعليم والاستيعاب التي كانوا من أجلها يؤلفون او ينظمون .

٤ ــ ومما لحظته ايضا وأغفله النحاة ان سيبويه يذكر دائما ان الممال هو الحرف لا الحركة ، وقد شرحنا ذلك في فصل سبق .

ولم يفطن النحاة من بعده الى ذلك .

٥ ــ سيبويه يهتم ببيان الكم من الميلين والممال من العرب . فهذا حرف يميله ناس من العرب كثير ، وهذا آخر يميله بعضهم، وهذا ثالث يميله طائفة أكثر وهكذا :

جاء في الكتاب لسيبويه « وقال بعض الذين يقولون في السكت بمال ــ من عند الله ولزيد مال شبهوه بألف عماد للكسرة قبلها فهذا أقل من مررت بمالك ؛ لأن الكسرة منفصلة » . والذين قالوا من عند الله أكثر ، لكثرة ذا الحرف في كلامهم [1] .

ولم يهتم النحاة من بعد سيبويه بذلك [2] .

٦ ــ منذ القرن السابع نرى النحاة يأتون بجمل جامعة للحروف التي تمنع الإمالة كقولهم في حروف الاستعلاء : ــ « خص ضغط قظ » ، وقولهم في الحروف التي يميلها الكسائي قبل هاء التأنيث مثل : « فجئت زينب لذود شمس » .

وكان السبب في ذلك ليسهل المأخذ على المتعلمين .

٧ ــ تكلم النحاة بعد سيبويه بافاضة ظاهرة عن مذهب الكسائي في إمالة ما قبل هاء التأنيث ، ولم يتعرض لذلك سيبويه إلا في قوله :

---

(١) الكتاب ج ٢ صفحة ٢٦٢ .
(٢) سنرى موقف القراء بعد .

« سمعت العرب يقولون ضربت ضربه ، وأخذت أخذه ، شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف » .

وطبيعي ان سيبويه لا يقصد التحدث عن الكسائي ، ولا عن مذهبه ، إذ أن المذاهب المختلفة للقراء لم تكن قد تكونت بعد .

٨ ــ جرى سيبويه غالبا على ان يتبع القاعدة المثال ، ثم التعليل للفتح فيها أو الإمالة . أما النحاة فلم يسلكوا هذا المنهج ، وبخاصة المختصرون منهم ، أما من توسعوا فتركوا بعضا ، وذكروا بعضا .

٩ ــ وهناك بعض النصوص في الكتاب فسرها النحاة بعد تفسيرا أخالفهم فيه من هذا جعلهم (كثرة الاستعمال) سببا من أسباب الإمالة ، معتمدين على نص لسيبويه سنأتي بعد عليه .

قال السيوطي [١] :

« عد قوم منهم صاحب البديع والبهاباذي من أسباب الامالة كثرة الاستعمال كامالة الاعلام نحو الحجاج ، والعجاج اسم الراجز مرفوعا ومنصوبا » .

وقد ذكر ذلك ابن يعيش في شرح المفصل (٦٤٣ هـ) [٢] وابو حيان في ارتشاف الضرب [٣] . ونقل القراء ذلك كابن الجزري في النشر [٤] .

ولنعرض اولا كلام سيبويه لنرى هل فيه ما يتفق مع كلام صاحب البديع ، ومن لف لفه قال سيبويه ؟

« هذا باب أميل على غير قياس وإنما هو شاذ » .

---

(١) همع الهوامع ج ٢ صفحة ٢٠٣ .
(٢) المفصل ج ٩ صفحة ٦٣ .
(٣) ارتشاف الضرب صفحة ٢١١ .
(٤) النشر ج ٢ ص ٣٤ .

وذلك الحجاج اذا كان اسما لرجل « وذلك لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر ؛ لأن الامالة اكثر في كلامهم ، واكثر العرب ينصبه ولا يميل ألف حجاج اذا كان صفة يجرونه على القياس » .

ونريد ان نرجع الضمائر التي في نص سيبويه هذا حتى نستطيع توجيه النص وتفهمه على حقيقته .

ففي قوله : « لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر ، لأن الامالة اكثر في كلامهم » .

وأكثر العرب ينصبه الضمير في «لأنه» ظاهر عوده على الحجاج، وفي قوله «كلامهم» الاولى والثانية من المرجح انه يعود على قوم اتصلوا بالحجاج، واتصل بهم الحجاج اتصالا يجعلهم يكثرون من ترداد اسمه على ألسنتهم ، وما هؤلاء إلا الكوفيون الذين حكمهم الحجاج حكما طويلا بلغ فيما يقول المؤرخون عشرين عاما ــ أسكت فيه نأمة الكوفيين واطفأ ثورتهم ، وضرب عليهم الذلة . وقد تنفس الناس الصعداء عندما حانت منيته ، وتغنى بذلك الاعراب بالبوادي ، وعدوا وفاته فرجة كربهم حيث يقول بعضهم :

لا تضيقن بالأمور فقد تفرج غماؤها بغير احتيال
رب ما تكره النفوس من الأمر لها فرَجة كحل العقال

ذلك الذي سمعه الامام ابن العلاء ، وكان قد أصابه ما أصابه من الحجاج فهرب نحو اليمن ، فقال للأعرابي : « ما الخبر . ؟ » فقال « مات الحجاج » قال ابن العلاء : فكنت بقوله فَرجة أسر مني بقوله : « مات الحجاج » ! (١)

فاذا كان هذا شأن الحجاج في العراق بعامة والكوفة بخاصة فليس من شك في ان الكوفيين يكثرون من ترداد اسمه على ألسنتهم رهبا لا رغبا،

(١) طبقات القراء ج ١ صفحة ٢٩٠ .

والامالة كما يقول سيبويه (أكثر في كلامهم) ، فلم تكن كثرة الاستعمال سببا في إمالة الحجاج ، وإنما كان لهجة الامالة عند الكوفيين فاشية غامرة، فكانت هذه الكلمة ممالة من بين الأعم الأغلب الممال في لهجتهم ، وظهرت دون ما يميلون من الكلمات الاخرى ، اذ كانت بلقاءً بشهرة الحجاج ، وسلطانه على نفوسهم .

ومن هنا يقول سيبويه : « **واكثر العرب ينصبه** » من هؤلاء الذين لا تتفشى الامالة على ألسنتهم ، ولو كثر ذكر الحجاج في كلامهم .

ومن هنا لا تتفق مع ابن يعيش في شرحه المفصل اذ يقول :

« إنما أميل الحجاج لكثرة استعماله ، فالامالة أكثر في كلام العرب فحملوه على الاكثر هذا قول سيبويه « ا هـ كلام ابن يعيش » .

ولم يقل سيبويه ذلك ، ومراجعة النص السابق عند سيبويه ، وتوجيهنا للضمائر فيه، وتعليقنا عليه يظهر صواب مخالفتنا ابن يعيش في قوله «الامالة اكثر في كلام العرب فحملوه على الاكثر» فبين النصين فرق كبير ، فامالة الحجاج اكثر في كلام هذه القبائل التي حكمها الحجاج بسطوته ، وذلك هو السر في اختيار الحجاج مثلا لكثرة ترداده على ألسنتهم المميلة دون من عداه ممن ليس في جبروته وشهرته . وكلام المبرد صريح في ان الامالة في الحجاج ليست لكثرة الاستعمال ، وإنما هي للفصل بين المعرفة والنكرة والاسم والنعت قال: فاماقولهم هذا رجل حجاج لم تجز الامالة : لأنه لاشيء يوجبها ، ثم قالوا في الاسم والحجاج ، فانما أمالوا للفصل بين المعرفة والنكرة والاسم والنعت، لأن الامالة أكثر ... والنصب أحسن وأقيس[1].
ومن الغريب ان بعضهم ضرب مثلا لكثرة الاستعمال بالحجاج ايضا [2] .

ومن الحق والانصاف ان نذكر ان ابن الحاجب قال :

---

(١) المقتضب القسم الاول ج ٣ ص ٤٥ .
(٢) شرح التسهيل للدماميني ورقة ٤٥٠

« شذ الحجاج والناس لغير سبب » [1] .

فلم يجعلها من كثرة الاستعمال كما قال بعض النحاة .

١٠ ـ ومن أمثلة تقصيرهم في استقصاء كلام سيبويه واستيعابه ما ذكروه في كتبهم من الاختلاف في أي سببي الامالة أقوى الياء أم الكثرة .

فقد حكوا مذهب ابن السراج من ان الياء أقوى من الكثرة ؛ لأنها حرف ، والكسرة بعضها ، **ومذهب الاكثرين** من ان الكسرة أقوى من الياء [2] ، وادعى الى الامالة . قالوا : وهو ظاهر كلام سيبويه فانه قال : في الياء لأنها بمنزلة الكسرة ، فجعل الكسرة أصلا .

وقد قال سيبويه : إن أهل الحجاز يميلون الألف للكسرة ، وذكر في الياء ان أهل الحجاز وكثيرا من العرب لا يميلون للياء . فدل هذا من جهة النقل ان الكسرة أقوى [3] .

ونريد ان نبين هنا ان النحاة وقد ذكروا حجج من قال بقوة كل من الكسرة والياء مستخرجة من الكتاب لم يفطن واحد منهم ـ فيما أعلم ـ الى حجة ذكرها سيبويه في جانب ابن السراج وترجح مذهبه في ان الياء أقوى ، ولعل ابن السراج لم يتنبه اليها كذلك .

قال سيبويه:« وقالوا رأيت عيرا ـ أي بامالة ـ » فاذا كانت الكسرة تميل فالياء **اجدر ان تميل** » .

وفي هذا دليل على ان الياء أقوى من الكسرة عند سيبويه . وهذا النص يضعف قول (ابن **الضائع صاحب** شرح الجمل الكبيرة) .

« واعلم ان كلام العرب على ما نقل سيبويه يدل على ان الكسرة

---

(١) الشافية ص ٨ .
(٢) ارتشاف الضرب ج ٢ ص ٢٠١ و ٢٠٤ .
(٣) الاشموني ج ٤ صفحة ٢٠٨ .

أقوى ، وايضا ، الاستثقال في النطق بالكسرة أظهر منـه في النطق بالياء التي ليست بمدة ، وإن كانت هذه الكسرة معها فلا شك ان إمالة ديماس أقوى من إمالة سربال ، وإنما الكلام في الياء التي ليس معها كسرة » .

يضعفه لأن كلام سيبويه يدل على أن الياء أقوى لا الكسرة كما يقول صاحب الشروح ، ويضعفه كذلك لأن قول سيبويه صريح في الياء التي ليس معها كسرة كما في (عيرا) أقوى من إمالة (سربال) .

ومن الأمثلة على عدم استيعابهم كلام سيبويه ايضا انهم اقتصروا في التعليل لما أميل من أجل الراء المكسورة في نحو من الضرر ومن الكبر ومن الصغر » على انها حرف تكرير اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة ... » ولم يفطنوا الى علة اخرى ذكرها سيبويه لامالة ما جاء من هذا الباب فقد شبهها بالياء في موضعين من كتابه قال (١) :

« الراء من موضع **اللام وقريبة من الياء الا ترى ان الالثغ يجعلها ياء** » ؟

وقال(٢): «لما كانت الراء كأنها حرفان مكسوران، **وكانت تشبه اليَاء** ، أمالوا المفتوح كما أمالوا الألف » .

والتعليل للامالة من اجل الراء قد قصره النحاة فيما قرأت لهـم مـن كتبهم على ما فيها من تكرير ، وأغفلوا ما لها من شبه بالياء ، ولم أعلم واحدا من هؤلاء وهؤلاء نقل هذه العلة اذا استثنينا ابن يعيش في شرحه المفصل حيث ينقل نص سيبويه السابق في ان الالثغ يجعلها ياء ، وشرح ذلك بقوله:

« فيقول ــ أي الالثغ ــ في بارك الله لك ــ بايك لك » (٣) .

على ان النحاة وقد وقفوا أمام نصوص سيبويه هـذه المواقف التي شرحنا ، قد وقف المتأخرون منهم موقفا شبيها بهذا مع بعض متقدميهم ، كما

---

(١) ج ٢ صفحة ٢٦٨ .
(٢) ج ٢ صفحة ٢٧٠ .
(٣) شرح المفصل ج ٩ صفحة ٦٢ .

وقف السيوطي في الهمع فيما قاله عن أبي حيان : جاء في كتاب الهمع للسيوطي [1] .

قال ابو حيان : « وقد زاد سيبويه ثلاثة اسباب شاذة » وهي :

١ ـ شبه الألف بالألف المشبهة بالالف المنقلبة .

٢ ـ وفرق بين الاسم والحرف .

٣ ـ وكثرة الاستعمال .

وقد رجعت الى ارتشاف الضرب [2] لأرى نصه الذي نقله عن السيوطي فلم أجده ، وإنما وجدت فقط :

« الفرق بين الاسم والحرف ، وهذا من الاسباب الشاذة » [3] .

ولم يذكر ابو حيان الشذوذ عند كلامه على (كثرة الاستعمال) .

وأما «شبه الالف بالالف المشبهة بالالف المنقلبة» فلم ترد في ارتشاف الضرب على هذه الصورة ، وإنما الذي ورد حالتان قريبتان من تلك :

(ا) تشبيه الالف بالالف المنقلبة عن الياء ، وهذه ألف الالحاق في نحو علقي أو التأنيث .

(ب) شبه بالالف المشبه بالالف المنقلبة ، وذلك هاء التأنيث [4] .

على ان سيبويه قد جعل شبه الالف بالالف المشبهة بالالف المنقلبة من الاسباب الشاذة ـ وان لم يذكر أبو حيان ـ ومثل سيبويه له بباب ومال حيث شبهت الالف فيهما بألف غزا المشبهة بألف رمى » [5] .

---

(١) ج ٢ صفحة ٢٠٠ .
(٢) يذكر صاحب شذرات الذهب ان السيوطي اعتمد على ارتشاف الضرب لابي حيان في كتابه الهمع. ج ٦ صفحة ١٤٧ شذرات الذهب .
(٣) ارتشاف الضرب صفحة ٢١٠ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) الكتاب لسيبويه ج ٢ صفحة ٢١٤ .

هذا حسابنا مع النحاة ، اما المؤلفون من القراء فقد كنا ننتظر منهم ألا يتابعوا النحاة فيما يأتي :

(ا) في سرد أسباب الإمالة كما سردها النحاة في كتبهم .

(ب) في ضرب الأمثلة التي وضحوا بها هذه الأسباب .

وأهم شيء كان يجب على القراء ان يذكروه في أسباب الامالة هو « النقل عن الأئمة » فالقراءة إنما يتبع فيها الاثر ، ولا تجري على قياس أو نظر . نعم .. قد تعرض القراء لشيء من ذلك ، ولكن في مواضع من كتبهم بعيدة كل البعد من حديثهم عن أسباب الإمالة ، تعرضوا لها عند الاحتجاج والتعليل لا عند سرد الأسباب [1] .

ثم اذا كان القراء يعتدون برسم المصحف ، فلم لم يذكروه سببا في إمالة ما أميل ..؟

وإنصافا لابن الحسن القاصح نذكر انه الوحيد الذي تنبه الى ذلك السبب فذكره من أسباب الامالة [2] .

ولنأخذ ابن الجزري في كتابه النشر دليلا على مسلك القراء في حديثهم عن أسباب الامالة ، ومدى اتفاقهم مع النحاة تعليلا وتمثيلا ، ولأن ما كتبه ابن الجزري يعد الحلقة الاخيرة لما أورده القراء من اسباب [3] .
قال ابن الجزري :

(فأ سباب الإمالة) قالوا: هي عشرة ترجع الى شيئين **احدهما** الكسرة ، **والثاني** الياء ، وكل منهما يكون متقدما على محل الامالة من الكلمة ، ويكون متأخرا ، ويكون ايضا مقدرا في محل الامالة ، وقد تكون الكسرة

---

(١) انظر الموضح مثلا عند حديثه عن اسباب الإمالة ورقة ٢٥ صفحة ١٧ .
(٢) انظر سراج القارىء صفحة ١١٧ .
(٣) كتاب اتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي معتمد على النشر .

والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين في محل الامالة ، ولكنهما مما يعرض في تصاريف الكلمة ، وقد تمال الالف او الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة وتسمى هذه إمالة لأجل إمالة ، وقد تمال الألف تشبيها بالألف الممالة (قلت) : « وتمال ايضا لسبب كثرة الاستعمال ، وللفرق بين الاسم والحرف ، فتبلغ الاسباب اثني عشر سببا والله أعلم » اه .

وربما يفهم من قوله : « قلت » وتمال ايضا .. الخ إن قوله هذا من زياداته ولكن النحاة من قبله تحدثوا عن ذلك [1] .

ونرى ان ننقل هنا تمثيل ابن الجزري وشرحه لهذه الاسباب لمناقشتها والتعليق عليها ، قال رحمه الله :

فاما الامالة لأجل كسرة متقدمة ، فليعلم انه لا يمكن ان تكون الكسرة ملاصقة للالف ، اذ لا تثبت الالف إلا بعد فتحة ، فلا بد ان يحصل بين الكسرة المتقدمة والالف الممالة فاصل ، وأقله حرف واحد مفتوح نحو : كتاب وحساب ، وهذا الفاصل إنما حصل باعتبار الالف .

فأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة ، والفتحة مبدأ الالف ومبدأ الشيء جزء منه ، فكأنه ليس بين الالف والكسرة حائل ، وقد يكون الفاصل بين الالف والكسرة حرفين ، بشرط ان يكون اولهما ساكنا او يكونا مفتوحين والثاني هاء ، نحو انسان ، ويضربها ، من اجل خفاء الهاء ، وكون الساكن حاجزا غير حصين ، فكأنهما في حكم المعدوم ، وكأنه لم يفصل بين الكسرة والالف إلا حرف واحد ، وهذا يقتضي ان من أمال مررت بها كانت الكسرة عند الالف في الحكم وان فصلت الهاء في اللفظ ، واما إمالتهم (درهمان) فقيل من اجل الكسرة قبل ، ولم يعتد بالحرفين الفاصلين والظاهر انه من أجل الكسرة المتأخرة .

---

(١) انظر ارتشاف الضرب مثلا صفحة ٢١٠ .

وأما اليـاء المتقدمة ، فقد تكون ملاصقة للالف الممالة ، نحـو اياما والحياة ، ومن ذلك قولهم السيال (بفتح السين) وهو ضرب من الشجر له شوك ، وهي من العضاه • وقد يفصل بينهما بحرف نحو شيبان ، وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحو يدها • وقد يكون الفاصل غير ذلك نحو رأيت يدنا •

وأما الإمالة من اجل الكسرة بعد الالف الممالة نحو : عابد وقد تكون الكسرة عارضة نحـو (من الناس • وفي النار) ، لأن حركة الإعراب غير لازمة •

(وأما الإمالة لأجل الياء بعد الالف الممالة فنحو مبايع)

وأما الامالة لأجل الكسرة المقدرة في المحل الممال فنحو : (خاف بكسر عين الكلمة وهي الواو فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها •

وأما الإمالة لأجل الياء المقدرة فـي المحل الممـال (فنحو يخشى ، والهدى ، وأتى ، والثرى) تحركت الياء في ذلك وانفتح ما قبلهـا فقلبت ألفا •

وأما الإمالة لأجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة فنحو طاب ، وجاء ، وشاء ، وزاد ، لأن الفاء تكسر من ذلك اذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث ، فنقول طبت ، وجئت ، وشئت ، وزدت ، هذا قول سيبويه •

وأما الإمالة لأجل ياء تعرض في بعض الاحوال فنحو تـلا ، وغزا ، وذلك لأن الألف فيهما منقلبة عن واو التلاوة والغزو ، وإنما أميلت في لغة من أمالها لأنك تقول اذا بنيت الفعل للمفعول تُلِيَ وغُزِيَ مع بقاء عدة الحروف كما كانت حين بنيت الفعل للفاعل •

وأما الإمالة لأجل الإمالة فنحو إمالة (تراءى) أمالوا الألف الأولى

من اجل إمالة الألف الثانية المنقلبة عن الياء ، وقالوا رأيت عمـادا فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الأولى الممالة لأجل الكسرة وقيل في إمالة (الضحى والقوى وضحاها وتلاها) إنها بسبب رءوس الآى قبل وبعد فكانت من الإمالة للإمالة •

ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعـد النون من (إنا لله) لإمالة الألف من (لله) ولم يمل (وإنا إليه راجعون) لعدم ذلك بعده •

وأما الإمالة لأجل الشبه ، وإمالة ألف التأنيث فـي نحو « الحسنى » وألف الالحاق في نحو (أرطى) في قول من قال مأرط لشبه ألفيهما بألف (الهدى) المنقلبة من الياء • ويمكن ان يقال بأن الألف تنقلب ياء في بعض الاحوال ، وذلك اذا ثنيت قلت الحسنيان ، والأرطيان ، ويكون الشبه ايضا بالمشبه بالمنقلب عن الياء كامالتهم موسى ، وعيسى ؛ فانه الحق بألف التأنيث المشبهة بألف الهدى •

وأما الإمالة لأجل كثرة الاستعمال ، فكامالتهم الحجاج علما لكثرته في كلامهم • ذكره سيبويه • ومن ذلك إمالة (الناس) في الأحوال الثلاث رواه صاحب المبهج وهو في لغتهم لكثرة دوره • ويمكن أن يقال ان ألف الناس منقلبة عن ياء كما ذكره بعضهم •

وأما الإمالة لأجل الفرق بين الاسم والحرف، فقال سيبويه: «وقالوا باء وتاء في حروف المعجم» يعني بالإمالة لانها اسماء ما يلفظ به فليست مثل ما ولا غيرها من الحروف المبنية على السكون وإنما جاءت كسائر الأسماء • انتهى •

(قلت) أي ابن الجزري ــ وبهذا السبب أميل ما أميل من حروف الهجاء في الفواتح والله أعلم [1] •

---

(١) النشر ج ٢ ص ٣٢ وما بعدها •

وأول ما يلحظ على ابن الجزري ومعظم القراء في تحدثهم عن أسباب الإمالة انهم كانوا يتحدثون كما يتحدث النحاة لا كما يتحدث القراء ، فقد مثل ابن الجزري للكسرة التي قبل الالف بكتاب وحساب ، وهذان المثلان إن صح ان يتمثل بهما النحاة فلا يصح ان يمثل بهما عند القراء ؛ لأنهما غير ماليين عند من أمال منهم ، وكان يخلص له الكلام لو انه مثل (لكلاهما) في قوله تعالى « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف » فقد أمال هذين الحرفين هشام ، وحمزة ، والكسائي (١) .

« ثم كانت له مندوحة لو مثل بالاحرف الآتية « الى حمارك » كمثل الحمار ، فقد تفرد ابن ذكوان بامالتهما ، قال ابو شامة ، ووجهه كسر أوائل الجميع وما بعد الالف .

ثم قوله : وقد يكون الفاصل بين الالف والكسرة حرفين بشرط ان يكون أولهما ساكنا مثل انسان ، أو أن يكونا مفتوحين والآخر هاء نحو يضربها من اجل خفاء الهاء ، وكون الساكن حاجزا غير حصين ، فكأنهما في حكم المعدوم ، وكأنه لم يفصل بين الكسرة والالف إلا حرف واحد ، تمثيل نحوي لا أدائي ، فقد ورد حرف « انسان في القرآن الكريم في ستين موضعا منها عشرة مجرورة أي اجتمع فيها الكسرة قبل الالف وبعده ، ومع هذا لم يملها قارىء من القراء ، وكان الاولى به لو مثل باكراههن ، والإكرام وهذان الحرفان ممالان عند ابن ذكوان .

وأما يضربها فقد تابع فيه ابن الجزري سيبويه من قبل ، وتبحث هل ورد لفظ يضربها في كتاب الله ؟ إن كل ما ورد من مادة الضرب فعلا مضارعا قول الله تعالى ... ا ـ وقد جاءت في جميعها غير متصلة بضمير الهاء بله (ها) : ـ

---

(١) ابراز المعاني لابي شامة صفحة ١٦٣ ، السراج لابن القاصح صفحة ١٢٤ .

كذلك يضرب الله الحق والباطل ... الخ [1] .

وكذلك تمثيلة بقوله « مررت بها » فإن كل ما ورد في القرآن الكريم من المرور فعلا ماضيا ما يأتي :

أو كالذي مر على قرية [2] مر كان لم يدعنا الى ضر مسه [3]
وهي تمر مر السحاب [4] وكلما مر على ملأ من قومه [5]

فبأي شيء نعلل تمثيل القراء بقولهم : مررت بها مع عدم وجودها في القرآن الكريم أصلا إلا بأنهم يتابعون النحاة ؟ :

وابن الجزري في قوله « وإمالتهم درهمان » نحوي كذلك لا قارىء، فلم يرد في القرآن إلا دراهم في قوله تعالى « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » [6] .

ومثل ذلك يقال في قوله « وأما الياء المتقدمة فقد تكون ملاصقة للألف الممالة نحو إمالة أياما والحياة .. ومن ذلك قولهم السيال ... وقد يفصل بينهما بحرف نحو شيبان ، وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحو يدها .

فأياماً غير ممالة عند القراء ، وحرف الحياة يقول فيه أبو شامة « وأما الحياة فلم تمل ، وإن كانت ألفها منقلبة عن ياء عند قوم؛لأن ألفها رسمت واوا في المصحف ، ولأن الخلاف قد وقع في أصل ألفها فوقع الشك في سبب الإمالة فتركت ، وعدل الى الفتح فانه الأصل [7] .

---

(١) انظر المعجم المفهرس مادة ضرب .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٩ .
(٣) سورة يونس آية ١٢ .
(٤) سورة النمل آية ٨٨ .
(٥) سورة هود آية ٣٨ .
(٦) سورة يوسف آية ٢٠ .
(٧) ابراز المعاني ص ١٥٤ .

ويقطع مكي بأن الحياة من ذوات الياء ، ولكن لم ترد إمالته عن أحد وذلك لتتبع نظائره نحو الصلاة والزكاة (١) .

وكان يعني ابن الجزري ومن تابع النحاة من القراء ان يمثلوا بلفظ (بيان) في القرآن بدل من (السيال) ، وريحان بدلا من (شيبان) . وإن كان القراء لا يميلون شيئا من ذلك ، ولكن التمثيل بهذا وهو من القرآن أقرب الى مذاهب القراء .

وقوله « وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحو يدها ، وقد يكون الفاصل غير ذلك نحو « رأيت يدنا » من هذا الباب ايضا ، فلم يرد في القرآن الكريم يدنا ولا يدها ، وإنما الذي ورد (يده) في قوله تعالى « ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين » وفي قوله تعالى « اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ويدي ، ويدي ، وبيديه ، ويديها (٢) .

وكان في استطاعته أن يمثل للياء التي تقع بعد الألف بمعايش بدلا من مبايع ، فالحرف الأول ورد في القرآن الكريم ولم يرد الحرف الآخر .

ثم قال ابن الجزري: « وقد تمال الالف ايضا بسبب كثرة الاستعمال ومثل بقوله « الحجاج » علما والناس وهذا ايضا مما يؤيد القضية ، فالحجاج ليست في القرآن لا صفة ولا علما وقد ذكر في الكتاب لسيبويه، ففسره النحاة تفسيرا تعرضنا لمخالفته ، وتابعهم القراء .

وأما العلة التي ذكرت لإمالة حرف (الناس) فليست كما يرى ابن الجزري فيما أرى، وليست كثرة الاستعمال سببا في إمالة هذا الحرف، ففي القرآن الكريم وهو ــ الذي يعتمد في موضع الاعتداد بقلة الاستعمال أو كثرته ــ عند القراء على الاقل ــ لفظ الجلالة ، وقد كثر دوره في القرآن أكثر من نصف الالف مرة ، ومع هذا لم يمله أحد من القراء .

(١) الكشف ص ٩٨ .
(٢) مفتاح كنوز القرآن ص ٥٩٠ .

فتمثيل ابن الجزري بالحجاج والناس لكثرة الاستعمال متابعة للنحاة فيما تأتون به من الأمثلة وما يدعون •

ثم ماذا ؟• لم يكن ابن الجزري وحده هو الذي تابع النحاة ، بل من قبله الداني في الموضح ، ومكي في التبصرة ، بل إن سبط الخياط البغدادي يقول في المبهج •

« وأما ما يكسر في حال من الاحوال نحو صار فحسنت الامالة فيه لمراعاة الكسر (١)

وهو في هذا متابع لسيبويه حيث جاء في الكتاب •

وبلغنا عن ابن أبي إسحق انه سمع كثيّر عزة يقول « صار بمكان كذا وكذا •• (٢) •

كل هذا ويغفل معظم القراء في أسباب الامالة رسم المصحف، والرواية وأقول معظم القراء لأن مكي بن أبي طالب يقـول « وقد **ياتي من الامالة ما يتبع فيه الرواية** (٣) .

مع انه عندما ذكر تلك العبارة لم يذكرها على أنها من أسباب الامالة ، بل ذكرها بعيدا عن كلامه عن الأسباب •

وابن القاصح يرى ان من أسباب الامالة رسم الألف في المصحف بالياء وإن كان أصلها الواو •

وسأبدأ في بيان مدى اتفاق قواعد النحاة والقراء في أسباب الإمالة وموانعها •

---

(١) المبهج ص ١٣٦ .
(٢) الكتاب جـ ٢ ص ٢٦٥ .
(٣) الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي بن ابي طالب جـ ١ ص ٨٤ .

(أولاً) الكسرة التي قبل الألف

يقول النحاة في شرح الكسرة التي قبل الألف « والحرف المتحرك بالكسرة إما أن يكون بينه وبين الألف حرف أو حرفان ، والأول أقوى من اقتضاء الامالة لقربها نحو « عماد » ، والتي بينهما وبين الالف حرفان لا تقتضي الامالة إلا اذا كان الحرف الذي بينها وبين حرف الالف ساكنا نحو شملال [1] .

وتابع القراء النحاة في ذلك .

فاذا تتبعنا ما جاء في القرآن الكريم على وزن عماد ، ورجعنا الى كتب القراءات لنتعرف: هل أمال واحد من القراء هذه الألفاظ التي جاءت على وزن عماد ؟، والتي أمالها النحاة؟ رأينا ان القراء لم يعتدوا بالكسرة التي قبل الالف سببا في إمالة الحرف الذي جاءت فيه .

وقد قسمت ما جاء على وزن « فِعَال » في القرآن الكريم الى الأقسام الآتية :

ا ـ الكلمات التي فيها حرف استعلاء قبل الالف ومتصلا بها وذلك: لِقَاء .

ب ـ الكلمات التي فيها حرف استعلاء بعد الالف مثل (نفاق) ـ دِهَاق .

جـ ـ الكلمات التي فيها حرف استعلاء قبل الالف وبعدها .
(شقاق ـ قصاص)

ولا خلاف في ان جميع هذه الاحرف التي وقع فيها حرف الاستعلاء متقدما على الالف او متأخرا عنها ومتصلا بها ... غير ممالة عند النحاة والقراء معا .

---

(١) انظر جـ ٢ ص ٣٥٢ « التوضيح وشرح التصريح » و جـ ٢ ص ٣٣ النشر

د ـ وهناك أحرف وقع فيها حرف الاستعلاء مكسورا قبل الالف،وقد فصل بحرف واحد وهذا النوع ممال عند النحاة [1] .

قال في التوضيح وشرحه التصريح : « وشرط المنع بحرف الاستعلاء المتقدم على الالف أن يتصل بها أي بالالف نحو صالح وضامن.. أو ينفصل بحرف واحد نحو غنائم ؛ لأن الفصل بحرف واحد كلا فصل ، إلا إن كان حرف الاستعلاء مكسورا غير ممال عندهم في نحو : خِفَاف.خِلاف . خِلال . خِيام . الخِيانة . صِحَاف.صِيَام . ضِيَاء . ظِلال . قِتَال . قِيَام . ضِعَاف . وجميع هذه الاحرف ممالة عند النحاة ، ولم يمل القراء من هذه الاحرف إلا (ضعاف) ، وسنرى ان ابن الجزري يورد مذاهب حول هذه الكلمة ويرجّح الفتح على الإمالة .

أمّا ما بقي موازنا لفِعَال في القرآن الكريم فهو إما :

(١) لم يكن فيه حرف الاستعلاء ولا راء .

(٢) وقع فيه بعد الالف راء مضمومة أو مفتوحة . أو كان فيه قبل الالف راء مفتوحة .

(٣) وقع فيه بعد الألف راء مكسورة .

اما القسم الاول فهو ممال عند النحاة غير ممال عند القراء وحروفه بعد مراقبتها في القرآن الكريم هي :

إناث . بِلاد . بِناء . ثِياب . حِبال . جِدال . جِفان . جِمَالة . حِجاب . حِداد . حِسان . حِساب . الدِّماء . كالدِّهان . رِجال . رِحال . رِسالات . الرِّعاء . رِكاب . رِهان . رِياح . شِداد . شِمال.شِهاب . عِباد . عِجاف . عِشاء . عِماد . فِجاج . كِفات .

---

(١) التوضيح وشرحه التصريح ج ٢ ص ٣٥٣ .

كِلمات • لِباس • لِزاما • لِسان • مِجال • مِداد • مِساس • فالموريات • مِهادا • نِداء • نِساء • النِكاح • الأنبِياء • سِيئات • كِلمات • الذارِيات • الحامِلات • الجارِيات •

أما القسم الثاني الذي وقعت فيه بعد الالف راء مضمومة أو مفتوحة أو وقعت فيه قبل الالف راء مفتوحة ، فهذا لا خلاف في عدم إمالته عند النحاة والقراء على السواء •

قال صاحب المفصل (١) :

والراء غير المكسورة اذا وَلِيت الالف منعت منع المستعلية • تقول هذا راشد ، وهذا حمارك ، ورأيت حمارك على التفخيم •

وقد جاء موازنا لفِعَال مما فيه راء جاورت الالف مضمومة ، أو مفتوحة الاحرف الآتية في القرآن الكريم •

بِحار • بِدار • جِدار • جِهار • حِجارة • دِرَاساتهم • ذِراعا • سِراعا • سِراجا • ضِرارا ••• الخ •

وهذه الاحرف لا خلاف في فتحها عند النحاء والقراء •

بقي القسم الثالث وهو الذي وقعت فيه الراء مكسورة بعد ألف فعال •

حمار ــ ديار في قوله تعالى :

كمثل الحِمار يحمل أسفارا (٢)

وانظر الى (حِمارك) (٣)

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦١ .
(٢) سورة الجمعة آية ٥ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٩ .

فجاسوا خلال الديار [1] ، وأخرجوكم مـن دياركم [2] ، ثـم (من ديارنا) ـ في ديارهم ـ من ديارهم [3] .

وهذا القسم لا خلاف في إمالته بين النحاة والقراء ، ولكن لم اماله القراء ؟ أللكسرة قبل الالف ؟ أم لكسرة الراء ، أم لاجتماع ذلك كله مع الياء ؟

لو أن القراء عللوا إمالة هذه الاحرف بالكسرة قبـل الالف لامالوا (كتاب) مثلا ، ولو انهم عللوها باجتماع الكسرة والياء لأمالوا نحو رياح ، وصيام . وخيام .

ليس السبب في إمالة الاحرف السابقة هذا أو ذاك ؛ بـل إن هذه الاحرف أميلت من اجل كسرة الراء بعد الالف وكسرة الراء تقوم مقـام كسرتين ، بدليل انه قد اجتمعت الكسرة قبل الالف مع فتح الراء بعدها في قوله تعالى : « وأورثكم ارضهم وديارهم » فلم تمل الالف في هذا الحرف، وكذلك في الحروف السابقة التي جاءت فيها الراء بعد الالف مفتوحة أو مضمومة .

ومن ذلك العرض اجزم بان الكسرة قبل الالف لا يعتد بها القراء وحدها سببا في امالة الالف بعدها .

وربما خطر السؤال الآتي :

اذا كنا قد انتهيا الى ما انتهينا اليه **وهو ان الكسرة قبل الالف لا يعتد بها سببا للامالة عند القراء ،** فلم أمال بعض القراء ألف (ضعاف) في قوله تعالى:وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » [4] ؟

---

(١) سورة الاسراء آية ٥ .
(٢) سورة النساء آية ٦٦ .
(٣) انظر المعجم المفهرس في هذه المادة .
(٤) سورة النساء آية ٩ .

صحيح ان النحاة قالوا « النصب فـي ضعاف جيـد ، والإمالة فيه أجود » [1] .

هذه نظرة النحاة الى هذا الحرف ، واما عند القراء فلم يمـل هذا الحرف واحد من القراء السبعة ، ولم يمله من العشرة إلا خلف في روايته عن حمزة ، وفيه عن خلّاد خِلاف قال [2] :

وأما ضعاف فأماله حمزة من رواية خلف ، واختلفت أي الرواية عن خلاف ؛ فروى أبو علي بن بليمة صاحب التلخيص إمالته ، وأطلق الوجهين صاحب التيسير ، والشاطبية ، والتبصرة ، والتذكرة ، ولكن قال في التيسير انه بالفتح يأخذ له » [3] وقال في المفردات « إنه قرأ على بن الفتح بالفتح » وعلى أبي الحسن بالوجهين واختار صاحب التبصرة الفتح ، وقال ابن غليون في تذكرته : « واختلف عن خلاد فروى عنه الامالة ، والفتح ، وأنا آخذ له بالوجهين كما قرأت : قلت « وبالفتح قطع العراقيون قاطبة وجمهور أهل الأداء وهو المشهور عنه . والله أعلم » .

فأنت ترى رجحان كفة الفتح في ضعاف عن كفة الإمالة . فالخلاف وارد عن خلاد ، ثم ان الداني في تيسيره ومفرداته يختار الفتح ، ومكي في تبصرته يختار الفتح كذلك ، ويأتي بعد ابن الجزري فيقطع الشك بعبارة لا تحتمل التأويل وهي قوله « **وبالفتح قطع العراقيون قاطبة وجمهور اهل الاداء وهو المشهور عنه والله اعلم** » .

فبان إذن الفرق بين نظرة النحاة ، ومذهب القراء الى هذا الحرف .

بقيت هناك كلمات أمالها القراء ، وربما توهم انها أميلت مـن أجل الكسرة قبل الالف وهي :

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٠ .
(٢) النشر ج ٢ ص ٦٣ .
(٣) التيسير ص ٥١ .

الربا ــ كلاهما ــ إناه ــ المحراب ــ مشكاة .

أما الربا وكلاهما ، فالقراء يقولون : ان الامالة هنا من أجل الكسرة قبل الالف ، أو من أجل الاصل اليائي في كلاهما ؛ لأن الألف منقلبة عن ياء وبالرغم من ان هذه حجة تدعم ما أراه إلا ان صاحب القاموس جعل (كلا) من ذوات الواو ، لهذا قال في النشر [1] :

« وأما الربا وكلاهما » فقد ألحقه بعض أصحابنا بنظائره من القوى والضحى ، فاماله بين بين وهو صريح العنوان ، وظاهر جامع البيان ثم قال :

والجمهور على فتحه وجها واحدا وهو الذي ناخذ به

فان قلت « فلم أميل الحرف » إناه في قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه » أو ليست الإمالة هنا من أجل الكسرة » ؟

قلت : « ان الامالة هنا من اجل الاصل اليائي مضموما الى الكسرة ؛ اذ ان أصل الالف في إناه (الياء) لأنها من أنَى يأنِي بمعنى آن يئين ، أي حان يحين ، ومنه قول الشاعر مع بين اللغتين : ــ

يئِن لي أن تَقَضَّى عَمَايتي وأعرضَ عن ليلى؟ بلى! قد أنَى لِيا

ومن هنا قال ابن فيرّه :

إنَاهُ لي شَاف، وقل : أو كِلاهما شَفا ولِكَسر أو لِيـاء تميلا

قال أبو شامة معلقا على امالة (إناه) . أي لإمالته دليل شاف،وهو ان الفه منقلبة عن ياء من أنى يأنى بمعنى آن يئين أي حان [2] .

فإن قيل : فلم امال ابن ذكوان الالف في المحراب مــن قوله تعالى

---

(١) النشر ج ٢ ص ٥٠ .
(٢) إبراز المعاني ص ١٦٣ .

« يصلى في المحراب » في آل عمران ، « فخرج على قومه من المحراب » في مريم ، وفي قوله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » في آل عمران . وقوله تعالى « إذ تسوروا المحراب » في (ص) .

قلت : «اما الحرفان الاولان « يصلى في المحراب » و « فخرج على قومه من المحراب » فاجتمعت في كل منهما علتان : كسرة الميم قبل الالف ، وكسرة الاعراب على الباء بعدها . فلم تكن الكسرة وحدها في هذا الحرف من هذين الموضعين سببا في الامالة ، بل اجتمع معها علة اخرى .

واذا كان الامر كذلك فلم أميل المحراب في الموضعين الآخرين،وقد جاء منصوبا فيهما .. في « كلما دخل عليها زكريا المحراب . و « اذ تسوروا المحراب ...؟ » (١)

« قلت : حرف المحراب في الموضعين الاولين ممال عند ابن ذكوان من جميع طرقه . اما في الموضعين الآخرين فاختلف عنه فيهما .

فأماله فيهما النقاش عن الاخفش من طريق عبد العزيز بن جعفر ، ورواه هبة الله عن الاخفش كما رواه محمد بن يزيد الاسكندراني عن ابن ذكوان. اما الذين فتحوا هذا الحرف في هذين الموضعين عن ابن ذكوان فكثرة غامرة :

الصوري ، وابن الاخرم عن الاخفش ، وسائر اهل الاداء من الشاميين والمصريين والعراقيين والمغاربة .

وهذا دليل على ما ذهبت اليه من **ان الكسرة وحدها ليست كافية لامالة الالف بعدها .**

بقي من هذه الاحرف حرف مشكاة ، ويكفينا ابو شامة مؤونة نقاش الامالة في هذا الحرف ، اذ قال : « امالة كمشكاة ليس من جل الكسرة

---

(١) سورة « ص » .

وحدها ، بل ان وجه امالتها الكسرة بعد الالف ، وكسرة الميم ايضا كما تميل العرب شملال [1] .

فعلّل تعليلا صحيحا ، وقاس قياسا خاطئا ، فقوله : « ان السبب في امالة الالف في « كمشكاة » الكسر بعد الالف ، وكسرة الميم كلام صحيح، اما قوله : « كما تميل العرب شملال » ففيه مجانبة للدقة ؛ ذلك لأن شملال ممالة عند النحاة بسبب الكسرة على أوله فقط على حين ان القراء لا يكتفون كما بينا من قبل ـ بالكسرة وحدها قبل الألف على نحو ما سبق .

ثم انظر بعد ذلك ما أورده مكي بن ابي طالب سببا في امالة هذا الحرف وهو يؤكد ما ذهبت اليه ولا ينفيه ؛ اذ أتى بتعليل جديد لا يتعارض مع ما أنا فيه ، قال (رحمه الله) : فاما كمشكاة فلم تقع الامالة فيه لأجل هاء التأنيث ، إنما وقعت الامالة ووجهت لأن الالف رابعة ، وكل ألف رابعة فالامالة حسنة فيها ، كانت الالف من الياء أو من الواو . الا ترى ان أزكى وادعى ويرعى وشبهه يمال وإن كانت ألفه أصلها الواو؟، ألا ترى انك تقول زكوت وازكيت فتثبت الواو اذا كانت ثالثة وترجع الياء في موضعها اذا كانت رابعة [2] ؟.

فاتضح اذن بعد هذه المناقشة نظرة النحاة الى امالة ما كان موازنا لفعال وما الحق به من الاحرف التي وقع قبل الالف فيها كسرة على شرطهم في ذلك .

ولعل من المسلم كذلك ان القراء ـ السبعة منهم على الاقل ـ لا يعتدون بالكسرة قبل الالف وحدها سببا من اسباب الامالة .

(ثانيًا) الكسرة المقدرة

وقد يرد على تلك النتيجة التي انتهيت اليها ما تفرد حمزة بامالته في

---

(١) ابراز المعاني ص ١٥٩ .
(٢) الكشف ص ٩٦ .

عينات الأفعال في » زاد ، جاء ، شاء ، خاف ، ضاق ، ضاقت ، حاق ، حاقت، وخاب » حيث وقع ذلك ، ونحو زاغ ، وزاغوا في قوله تعالى « ما زاغ البصر وما طغى » [1] وفي قوله تعالى « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » [2] .

فقد امال حمزه الالف من ذلك كله نحو الياء ، ووافقه ابن ذكوان في جاء وشاء حيث وقعا وعلى امالة زاد في أول سورة البقرة خاصة [3] .

ويكاد الاتفاق يكون تاما بين من امال من القراء والنحاة في هذا الباب إلا ما كان من القراء في عدم امالتهم للفعل (سار) في قوله تعالى « وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا » (وسأل) في قوله تعالى « أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها » وفي افعال أخر: فاءت ــ كاد ــ كالوهم.

وإلا ما كان من حمزة من تخصيص « زاغ ، وزاغوا » بالإمالة دون التي في قوله تعالى : « وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر » [4] .

وفي قوله تعالى : « أم زاغت عنهم الأبصار » [5] .

وفي قوله تعالى : « أزاغ الله قلوبهم » [6] .

وكل ذلك ــ كما يذكر القراء ــ للجمع بين اللغتين ؛ ليعلم أن القارىء بهما غير خارج عن الفاظ العرب [7] . ولاتّباع الرواية والنقل عن الأئمة [8] .

وإنما اوردت هذه الاحرف على النتيجة التي انتهيت إليها لأنهم يعللون

---

(١) سورة النجم آية « ١٧ » .
(٢) الصف آية « ٥ » .
(٣) انظر النشر ج ٢ ص ٥٩ وما بعدها .
(٤) الاحزاب آية ١٠ .
(٥) سورة ص آية ٦٣ .
(٦) الصف آية ٥ .
(٧) الحجة لابن خالويه ص ٤ ــ ب .
(٨) الكشف ص ٨٤ .

امالتها بكسر فائها عند الاخبار فـي قولك : جئت وشئت وخفت .. الخ فدل بالامالة على ان الاول منهـا مكسور عنـد الاخبار ، فعملت الكسرة المقدرة فاميلت الالف لها . قال صاحب المبهج : [1]

واما ما يكسر في حال من الاحوال نحو « صار وخاف » لانك تقول صير وخيف ، وصرت وخفت فحسنت الامالة فيه لمراعاة الكسر .

وهذا الإيراد سهل دفعه اذا علمنا ان الكسرة وحدها ليست سببا في امالة هذه الافعال ، بل ان في كل فعل من هذه الافعال اكثر من علة ، فكل من جاء وشاء اجتمعت فيه العلل الآتية :

ا ـ إن الحرف الاول ينكسر عند الاخبار في قولك جئت وشئت .

ب ـ ان الألف التي هي عين الفعل الممالة اصلها الياء .

جـ ـ إن الهمزة في آخرها تشبه الالف ، لأنها أختها في قرب المخرج ، وفي أنها تبدل من الهمزة كثيرا ، فصار كأن في آخرها ألف ، فقويت الامالة لذلك .

د ـ إن العين في المستقبل منهما مكسورة ، وأميلت الالف في الماضي لتدل على كسرة العين في المستقبل .

ومن اجل اجتماع هذه العلل الأربع خصها ابن ذكوان بالامالة دون غيرها [2] .

وأما « طاب وخاب وضاق وزاغ وزاد » فأميلت لعلل ثلاث :

ا ـ إن اوائلها تنكسر عند الإخبار .

ب ـ إن عيناتها كلها أصلها الياء .

جـ ـ إن العين في المستقبل في جميعها مكسورة فقويت الإمالة فيها لاجتماع هذه العلات الثلاث .

---

(١) المبهج ص ١٣٦ .
(٢) الكشف صفحة ٨٤ .

ثم دون ذلك في قوة الامالة « خاف » لأنها أميلت لعلتين فقط .

ا ــ إن الاول منها ينكسر في الإخبار في قولك خفت .

ب ــ إن عين الفعل منها أصله الكسر .

على ان بعض هذه التعليلات ــ وقد أوردها مكي من السهل مناقشتها ورجعُها الى الكسرة في الإخبار ، وفي عين الفعل ، فيكون سبب الامالة اجتماع كسرتين .

على ان هذا الباب يكاد تعليله يكون متصلا بالرواية والنقل عن الأئمة مقصورا عليه .

فلم أمال حمزه هذه الافعال دون سار وسال وكاد وفاءت .. الخ.؟

ولم استثنى زاغت فــي قوله : واذ زاغت الابصــار وبلغت القلوب الحناجر [1] ؟ وفي قوله أم زاغت عنهم الأَبصار [2] ؟

الاتصالها بتاء التأنيث ؟ فقد استثنى ابن شريح في جميع هذه الافعال ما اتصل بتاء التأنيث [3] .

ولكن هذه العلة إن ثبتت عند ابن شريح فلم يعتد بها حمزة ؟ صحيح انه لم يمل « فسالت أودية بقدرها » أو فاءت مما يرجح هذا التعليل بعض الترجيح،ولكنه امال ألف خافت من بعلها ، وامال الف زاد،ولــم يقع في القرآن الكريم إلا متصلا بضمير او تاء أو هما معا . قال تعالى :

فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا [4] .

زادتهم ايمانا [5] . فزادتهم ايمانا [6] .

---

(١) الاحزاب « آية ١٠ » .
(٢) سورة ص « آية ٦٣ » .
(٣) شرح ابي شامة ص ١٦٩ .
(٤) التوبة آية ١٢٤ .
(٥) الانفال آية ٢ .
(٦) التوبة آية ١٢٤ .

فزادتهم رجسا [1] وزادكم في الخلق بسطة .. الخ [2]

حيث تكرر هذا الفعل خمس عشرة مرة وهو في جميعها متصل بضمير أو تاء تأنيث وبذلك ينفي هذا التعليل .

ثم أتكون العلة في عدم امالة حمزة الف زاغت وقوع حرف الاستعلاء بعدها ..؟

ولكن ينفي هذا التعليل ايضا امالة حمزه للفعل « ضاق » في قوله تعالى «وضاقت عليهم الارض بما رحبت» فقد اكتنف الالف حرفا الاستعلاء الضاد والقاف .

وعلى هذا ، فسينتهي الباحث الى ما انتهى اليه مكي حيث يقول في الكشف « وقد ياتي من الإمالة ما يتبع فيه الرواية ولا تعرف فيه علة » [3] فمن الصعب كما يقول الدكتور انيس ان نبرر من الناحية الصوتية ما زعمه النحاة ــ والقراء ــ من جواز الامالة فيما اصله واو مثل خاف،لأن الامالة في مثل هذه الحالة كان حقها ان تكون من الفتح الى الضم لا من الفتح الى الكسر [4] .

(ثالثا) الكسرة بعد الألف

يتابع القراء سيبويه في ان الكسرة بعد الالف سبب من أسباب الامالة [5] .

وقد راقبت ما اميل من احرف القرآن مما كان ألفه حرفا مكسورا فرأيت ان الكسرة وحدها لا تكفي سببا للامالة عند القراء ؛ بل لا بد من اجتماع سبب آخر في الكلمة مع الكسرة حتى تمال .

(١) التوبة آية ١٢٥ . انظر المعجم المفهرس .
(٢) مفتاح الكنوز ص ٢٨٥ .
(٣) الكشف صفحة ٨٤ .
(٤) اللهجات العربية ص ٤٩ .
(٥) النشر ج ٢ ص ٣٢ .

فالكلمات التي أمال بعض القراء مما وقع بعد الفاتهن حرف مكسور غير الراء هي :

الكافرين ــ الناس حيث وقع مخفوضا .

آتيك ــ الاكرام في موضعين بسورة الرحمن .

اكراههن ــ الحواريين للشاربين ــ مشارب ــ آنية في قوله تعالى : « تسقى من عين آنية » [1] .

لا التي في قوله تعالى « ويطاف عليهم بآنية من فضة » [2]

آذاننا وآذانهم . طغيانهم ، المحراب في قوله تعالى « يصلّى في المحراب » [3] فخرج على قومه من المحراب [4] ــ عابدون وعابد في سورة (الكافرون) .

وبالتأمل في هذه الامثلة نرى انها كلها ــ ما عدا (عابدون وعابد) اجتمع فيها مع الكسرة سبب آخر .

فالكافرين حيث وقع منصوبا أو مجرورا قد اجتمع فيه .

ا ــ كسرة الفاء والراء والياء ــ وكسرة الراء تقوم مقام كسرتين،وهذه الكسرات المتتالية جذبن الالف لسكونها بقوتهن فاملتها [5] .

ب ــ كثرة الدور في القرآن الكريم ، وقع هذا الحرف في القرآن في نحو ٩٠ موضعا [6] .

وأما آتيك وآنية فقد اجتمع الى الكسرة الياء .

وأما الإكرام في موضعين بسورة الرحمن فوجه امالته كسر أوله ، وما

---

(١) سورة الغاشية .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة مريم .
(٤) ناقشنا سبب امالة المحراب المنصوب في الكلمات التي اميلت للكسرة قبل الالف .
(٥) الموضح ص ٧١ .
(٦) انظر المعجم المفهرس في هذه المادة .

بعد ألفه [1] .

وأما إكراههن فوجه إمالته كسر أوله ، وتوالى كسرتين بعد الالف .

وأما الحواريين ـ للشاربين ـ ومشارب ، فقد وقعت الراء مكسورة بعد الالف ، والراء المكسورة تقوم مقام كسرتين [2] .

وأما المحراب في قوله تعالى : « يُصَلِّي في المحراب [3] » ، « فخرج على قومه من المحراب » [4] ، فقد اجتمع فيه كسرة اوله ، وما بعد ألفه .

وأما في طغيانهم ، فقد تتابعت فيه كسرتان بعد الالف ، وجاءت الياء قبلها ، على ان ابن خالويه يقول في كتابه الحجة : وسَّهل إمالة طغيانهم لان الطغيان ها هنا مصدر كالطغوى في قوله تعالى بطغواها ، فلما اتفقا في المعنى ساوى بينهما في الإمالة [5] .

ولسنا الآن بصدد مناقشة كلام ابن خالويه من حيث جعله مساواة طغيان بطغوى في المعنى ـ سببا للإمالة ، وانما الذي يعنينا ان تتابع الكسرات فيه هو السبب الرئيسي في إمالته .

وأما « آذاننا وآذانهم » فقد وَهَّم ابن خالويه الكسائي حيث قال « فأما امالة الكسائي (رحمه الله) قوله (تعالى) : « في آذانهم من الصواعق » فإن كان اماله سماعا من العرب فالسؤال عنه وبل ، وإن كان اماله قياسا فقد وهم ، لأن ألف الجمع في أمثال هذا لا تمال ، ويلزمه على قياسه أن يميل قوله : « أنبئهم بأسمائهم » « ويطاف عليهم بآنية » وامالة هذا محال .

---

(١) ابراز المعاني ص ١٧٤ .
(٢) الحجة لابن خالويه ص ٩ .
(٣) سورة آل عمران .
(٤) سورة مريم .
(٥) الحجة لابن خالويه ص ٥ ـ ب .

فان قيل : فقد أمال غيره « قد نبأنا الله من أخباركم » فقل « قد عرفناك رغبة العرب في امالة ذوات الراء ، وكذلك فرق ابو عمرو بين ذوات الراء وبين غيرها واللفظ بهما واحد ، فقرأ من أصوافها بالتفخيم ، ومن أوبارها وأشعارها بالإمالة (١) .

ولسنا نتفق مع ابن خالويه في تحامله على الكسائي ، وتوهيمه ، وإن كان ذلك يدعم رأينا في ان الكسرة وحدها لا تكفي سببا للامالة ، ولكن لدينا من اسباب الامالة في كلمة آذاننا وآذانهم حيث لم تجر الامالة على قياس العربية . سبب يقرع النحاة ـ هو نقل الكسائي عن الأئمة روايته ، فلا تنس ان القراءة لا يجري فيها على القياس والنظر ، وانما يتبع فيها الرواية والاثر (٢) .

بقي من هذا الباب (الناس) حيث وقعت مجرورة ، وربما كان سبب امالة الالف فيها الى جانب الكسرة على السين ـ إن الامالة فيها لهجة أهل الحجاز ، حتى ان بعضهم حكى امالتها مرفوعة ومنصوبة ، وقد حكى بعضهم ان أصل ألفها الياء (٣) .

كما بقي من هذا الباب ايضا « عابد وعابدون » وهما الحرفان اللذان في سورة الكافرين خاصة من قوله تعالى « قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين » .

وقد اختلف عن هشام في «عابد وعابدون» اللتين في سورة الكافرين فروى امالته الحلواني عنه ، وروى فتحه الداجوني (٤) .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) همع الهوامع انظر ج ٢ ص ٢٠١ .
(٣) النشر ج ٢ صفحات ٣٥ و ٦٢ .
(٤) النشر ج ٢ ص ٦٦ .

واذا عرفنا ان الداجوني روى عن أصحاب هشام ، وهؤلاء رووا عنه علمنا أنه قد اجتمع على فتح عابد وعابدون خلق كثير ، وربما وصل الى حد الإجماع ، وهم أصحاب هشام الذين رووا عنه ، والذين روى عنهم الداجوني .

والحق ايضا ان تعليل إمالة هشام في رواية الحلواني للحرفين « عابد ـ وعابدون » يجب ان يلحق بالنقل عن الأئمة ، لا القياس بمقاييس العربية، إذ لو كانت تجري على القياس لكان أولى بالامالة عابدين في قوله تعالى :ـ

« إن هذا لبلاغا لقوم عابدين [1] »

« قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين [2] »

« وكانوا لنا عابدين [3] »

« فانا أول العابدين [4] »

« وذكرى للعابدين [5] »

إذ اجتمعت في هذا الحرف في مواضعه المذكورة كسرة الياء والياء ولا داعي ان نوهم القارىء ، ونوهن قراءته كما يعبر أبو البركات الأنباري في كتابه الانصاف في مثل ذلك الموضع [6] ، فان ذلك لا يوهن القراءة ولا يوهم صاحبها ما دامت عن الرسول منقولة .

واذن تخلص لي القاعدة **انه وان كانت الكسرة بعد الالف سببا للامالة عند النحاة ، فهي عند القراء لا تكفي وحدها ، بل لا بد من غيرها معها ، او من سبب آخر يضم اليها .**

ومن المهم هنا ان نقرر أن قتيبة بن مهران أطلق الامالة عن الكسائي

---

(١) الانبياء آية ١٠٦ .
(٢) الانبياء آية ٥٣ .
(٣) الانبياء آية ٧٣ .
)٤(سورة الزخرف آية ٨١ .
(٥) سورة الانبياء آية ٨٤ .
(٦) من كتاب الانصاف جـ ١ صفحة ٢٥٢ .

فامال كل حرف قبل الألف وبعد الألف كسرة أو قبله ، سواء أكان الاسم مرفوعا أم منصوبا أم مجرورا وسواء أكان في الاسم حرف يمنع الإمالة كحروف الاطباق ، وسواء أكان الاسم مضافاأم مفردا أم مؤنثا [1] .

ولم يرد ذلك عن طريق النشر ولا الشاطبية ، ولذلك لم يكن في حسابنا عند مناقشتنا الكسرة قبل الألف أو بعدها سببا من الإمالة عند القراء . بل إن ابن الجزري يقرر أن مما يرويه قتيبة من إطلاق الإمالة على هذا النحو من الإمالات المزعجة [2]

(رَابِعًا) الإِمَالَة مِنْ أَجْلِ اليَاء

ينقل النحاة ما قال سيبويه في الكتاب ، خاصا بالإمالة من أجل الياء [3] ويستشهد القراء وفيهم ابن الجزري ببعض الأمثلة التي أوردها سيبويه في الكتاب [4] .

ولو راقبنا الكلمات التي وردت في كتاب الله مما يناظر كيال ،وبياع والسيال،والضياح ، ورجعنا الى مذاهب القراء ، لوجدنا ان الياء ليست سببا من أسباب الإمالة عند القراء .

فلم يمل القراء مثلا أيام ، وبياتا ، وبيان ، وثياب ، وحياة ، والسيارة ، شياطين .

مما كان فيه الياء قبل الالف .

فإن كانت الياء بعد الألف فقد قال رضى الدين الاستراباذي في شرح الشافية [5] :

---

(١) المبهج ص ٨١ ــ وانظر الموضح ص ٢٧٨ ورقة ٦٠ .
(٢) طبقات القراء جـ ٢ صفحة ٢٦ .
(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٢ صفحة ٢٦١ .
(٤) انظر النشر جـ ٢ ص ٣٣ .
(٥) جـ ٣ ص ١٠ .

وإن تأخرت الياء عن الألف فان كانت مكسورة كمبايع فالمقتضى للإمالة أقوى من المقتضى في نحو عابد ، وإن كانت مفتوحة أو مضمومة كالمبايع والتبايع فلا تؤثر .

وقد جاء مثلا الياء مكسورة في القرآن الكريم بعد الألف في معايش من قوله تعالى «وجعلنا لكم فيها معايش» [1] وفي قوله تعالى فبايعهن[2] .

ولم يمل القراء من هذا الباب إلا الأحرف التي **وقعت فيها الراء مكسورة** بعد الألف في الكلمات الآتية : —

خلال الديار — من دياركم — من ديارنا — في ديارهم .

الراء المكسورة هي سبب الامالة في هذه الكلمات لا الياء بدليل انه قد أميلت كلمات وقعت فيها الراء مكسورة بعد الألف، ولم تكن فيها الياء في مثل : —

حمار — كفار — نهار — مقدار — أبكار .

وعلى هذا فيصح ما يأتي :

ان الياء وان كانت من أقوى اسباب الإمالة عند النحاة لم تكن سببا لامالة شيء عند القراء .

(خامسًا) الإمالة من أجل الراء

يتفق النحاة والقراء على قوة حرف الراء ، حتى ان الكسائي قال : « للعرب في كسر الراء رأى ليس لها في غيره [3] » .

وقال ايضا : « إني سمعتهم يقولون رمى بكسر الراء والميم ، وقد رأى الشيء ، وروى سعيد بن عيسى النحوي قال : سمعت أبا عمرو يقول : « اذا كانت الياء بعد الراء كسرت الراء » . قال ، وقال ابو عمرو « ادركت أصحاب ابن مجاهد وهم لا يكسرون شيئا من القرآن إلا حروفا نحو قوله « وما أدريك ، وافترى ، وترى ، وأدراكم » يكسرون الراءات [4] » .

(١) الاعراف آية ١٠ . والحجر آية ٢٠ .
(٢) الممتحنة آية ١٢ .
(٣) ابراز المعاني ص ١٦٢ .
(٤) الموضح ورقة ٣٥ ص ٩٥ .

وإنما كانت الراء كذلك لأنها حرف تكرير ، فاذا نطقت بـه خرج كأنه متضاعف،فاذا كانت مكسورة فهي تقوى الإمالة أكثر من قوة غيرها مـن الحروف المكسورة ؛ لأن الكسرة تتضاعف فهي من اسباب الإمالة [1] .

ويقول سبط الخياط البغدادي :

« الراء لها نبوة فيما بين أولها وآخرها ، وفيها تكرر ، وهـي بمنزلة حرفين ، والكسرة فيها بمنزلة كسرتين ، وكذلك الضمة والفتحة [2] » .

وهذا كلام مأخوذ من كلام « سيبويه » في الكتاب من قبل فقد جاء فيه :

« والراء اذا تكلمت بهـا خرجت كأنهـا مضاعفة ، والوقف يزيدها إيضاحا ، فلما كانت الراء كذلك قالوا « هذا راشد وهذا فراش» فلم يميلوا، لأنهـم كأنهم قد تكلموا براءين مفتوحتين ، فلما كانت كذلك قويت فـي نصب الالفاظ ، وصارت بمنزلة القاف حيث كانت بمنزلة حرفين مفتوحتين.

وأما في الجر فتميل الالف كان أول الحرف مكسورا او مفتوحا أو مضموما ؛ لأنها كأنها حرفان مكسوران فتميل ههنا كما غلبت حيث كانت مفتوحة فنصبت الالف ، وذلك قولك من حمارك ومن عواره ، ومن المعار ومن الدوار ، كأنك قلت فعالل وفعايل [3] .

هذا هو مذهب النحويين في قوة الراء ، وقد طبقه كثير مـن القراء دون أن ينظروا الى طريقتهم في الاداء .

فما طريقة القراء في أداء هذا الحرف .. يحدثنا ابن الجزري عن ذلك فيقول :

« والراء ، انفرد بكونه مكررا صفة لازمة له لغلظه ، قال سيبويه :

---

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٦١ .
(٢) المبهج لسبط الخياط البغدادي ص ٧٥ .
(٣) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٧ وما بعدها .

« اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة » . وقد توهم بعض الناس ان حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، فأظهر ذلك حال تشديدها كما ذهب اليه بعض الأندلسيين .

والصواب التحفظ من ذلك باخفاء تكريرها كما هو مذهب المحققين .

وقد يبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشددة فيأتي بها محصرمة شبيهة بالهاء ، وذلك خطأ لا يجوز فيجب ان يلفظ بهـا مشددة تشديدا ينبو به اللسان نبوة واحدة وارتفاعا واحدا من غير مبالغة في الحصر والعسر نحو « الرحمن الرحيم » ، خر موسى . وليحترز حال ترقيقها من نحولها نحولا يذهب أثرها وينقل لفظها عن مخرجها كما يعانيه بعض المغفلين [1] .

وهكذا يتحفظ القراء من إظهار تكرير الـراء خصوصا اذا شددت ، ويعدون ذلك عيبا في القراءة ، قال ابن الجزري « وبذلك قرأنا على جميع من قرأنا عليه ، وبه نأخذ [2] » .

وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري عند قول ابن الجزري :

« في اللام والرا وبتكرير جعل » .

شرح « وبتكرير جعل » فقـال ، وبتكرير لـه جعل أي وصف لأنها تكرر في نحو « فروخ » لا في نحو « نـار » وهـو مراد قول الناظم ، ومعنى قولهم ، « ان الراء مكرر »**ان له قبول التكرار** ، لارتقـاء طـرف اللسان عنـد اللفظ بـه ، كقولهم لإنسان غير ضاحك « ضاحك » كما أنه مراد من قال « ومـا قيل أنه جرى مجرى حرفين في أمور متعددة » . **وليس كذلك بل هو لحن يجب التحفظ عنه [3]** .

وكلام الشيخ زكريا الأنصاري (رحمه الله) واضح غـاية الوضوح

---

(١) النشر ج ١ ص ٢١٩ .
(٢) النشر ج ١ ص ٢٠٤ .
(٣) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة مخطوط برقم ٦٤ مجاميع دار الكتب ص ١٩ .

في أن ما يقرر النحويون من ان الراء حرف تكرير ، وان كسرتها تقوم مقام كسرتين ، وان فتحتها وضمتها كذلك ، كل ذلك لا يعتد به القراء ، بل يعدونه لحنا يجب التحفظ منه في أداء هذا الحرف ، وان صفة التكرير ثابتة بالقوة لا بالفعل على حد تعبير المناطقة . واذا كان القراء يتحفظون من تكرار الراء ويعدون تكرارها عيبا كما قال ابن الجزري ، ولحنا كما قال الشيخ زكريا الأنصاري ــ فقد سلبت قوتها بذلك . فلماذا تعطى الراء هذا الحكم الذي يعطيها إياه النحاة ؟

إنه يجوز للنحاة على قواعدهم أن يميلوا الالف في من (الدار ، وفي الدار) مثلا ، لأن تكرار الراء جعل الكسرة كأنها كسرتان [1] .

ويقبل منهم تعليل امالة (الربا) بقولهم لأجل الراء وهو حرف مكرر مكسور [2] . لكن ما شأن القراء وامالة الألف في هذا ومثله مع أنهم يعيبون تكرار الراء عند النطق به ، ويتحفظون عنه .

اذا كان سيبويه يقول : « وقالوا من قرارك » ــ أي بالامالة فغلبت كما غلبت القاف وأخواتها ، فلا تكون أقوى من القاف ، **لانها وان كانت كانها حرفان مفتوحان ، فانما هي حرف واحد وبزنته** » [3] .

فاذا كان سيبويه يقرر ان الراء حرف واحد وبزنته ــ وإن كانت كأنها حرفان مفتوحان . فكذلك تكون الراء المكسورة حرفا واحدا وبزنته وبخاصة لو سلبنا قوتها فتحفظنا من تكرارها ، وعددناه عيبا ولحنا كما يقول القراء . ويترتب على هذا أنه لا يصح للقراء التعليل لامالة ما أميل من اجل الراء ــ بأنها حرف تكرير .

وقد كان بعض القراء أقرب الى مذهبهم في أداء الراء عند الوقف على

---

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ٧ .
(٢) نفس المصدر ص ٨ .
(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٨ .

الممال من نحو الكلم التي الراء فيهن مجرورة ووقعت طرفا بعد ألف في من أنصار • والنار • والنهار • والأبرار • والفجار • وما كان مثله •

فان قوما من أهل الأداء ذهبوا الى الوقف على ذلك في مذهب من إماله في الوصل أو قرأه بين اللفظين ــ باخلاص الفتح ، واعتلوا بما ذهبوا اليه بأن الامالة وبين اللفظين إنما كانا في هذه الكلم وشبهها من أجل جرة الإعراب ، فلما كانت تذهب في الوقف اذ كان لا يوقف على متحرك ذهب ما جلبته من الامالة،وبين بين لذهابها [1] •

وهذا كلام يتفق مع ما يقرره القراء في أداء الراء ، مخالفين في ذلك كلام النحاة اذ يقرر سيبويه ان « الراء اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة والوقف يزيدها ايضاحا [2] •

على أن بعض القراء يرى الوقف على مثل هذه الكلمات بالإشارة الى كسرتها في الوقف فيميل دون الإمالة التي تكون في الوصل ، وبعضهم يرى الوقف في مذهب من أمال بالامالة الخالصة ، وفي مذهب من قرأ بين اللفظين كالوصل [3] • فيتفق في ذلك مع النحاة •

قال أبو عمر والداني « وقد سمعت أبا علي الحسن بن سليمان المعري وكان من أهل الفهم ومن أجلة المتصدرين يقول :« **الفتح في الوقف في هذه الكلم هو مذهب البصريين ، والامالة فيه فيها هو مذهب البغداديين [4]** » •

قال الداني : ــ

ومما يؤيد الامالة ايضا من جهة القياس ، ان الراء حرف تكرير ، والكسرة فيها من أجل ذلك ينقلب كسرتين ، فاذا كان ذلك كانت الإشارة الى كسرتها في الوقف مقام الإشارة الى كسرتين ، واذا تكرر الكسر قويت الامالة وازدادت حسنا ، وتجانس الصوت •

---

(١) الموضح ورقة ٦١ ص ٢٩٠ .
(٢) الكتاب جـ ٢ ص ٢٧٧ .
(٣) الموضح ورقة ٦٢ ص ٢٩١ .
(٤) المصدر السابق ورقة ٦٢ ص ٢٩٣ .

قال : وكذلك قال سيبويه « إنهم يقولون مررت بالحمار ، واستجير بالله من النار « يعني بالامالة في السكوت » قال : لأن الراء كأنها عندهم مضاعفة فكأنه جر راء قبل راء [1] .

والداني ينقل في ذلك كلام النحاة دون أن يتنبه الى طريقة القراء في الأداء .

ويتبين من ذلك ان مذهب القراء البصريين أقرب الى مذهبهم في الأداء من القراء البغداديين الذين يقتربون من النحاة في الوقف على الممال في هذه الكلمات .

والأمر جد يسير . فعلّل للامالة في هذه الكلمات بعلة ذكرها سيبويه وغفل عنها النحاة [2] والقراء ، مع انها ذكرت في موضعين في باب الامالة من كتابه فجعلها قريبة من الياء في موضع [3] ، وذكر انها تشبه الياء في موضع آخر [4] .

وبهذا الشبه الذي بين الياء والراء نفهم النصوص التي يوردها القراء عند حديثهم عن الراء من مثل قول الكسائي « سمعتهم يقولون رمى بكسر الراء والميم وقد رأى الشيء وقد يكون هذا من باب الإمالة للإمالة [5] .

وروى سعيد بن عيسى النحوي قال « سمعت أبا عمرو يقول » اذا كانت الياء بعد الراء كسرت الراء « قال وقال ابو عمرو: « أدركت أصحاب ابن مجاهد وهم لا يكسرون شيئا من القرآن إلا حروفا نحو قوله : وما أدراك وافترى ، وترى ، وادراكم ، يكسرون الراءات . فلهذا اختص أبو عمرو بالامالة الخالصة ليدل على الفرق بينها وبين غيرها ، اقتداء بالعرب ، واتباعا لأصحاب ابن مجاهد » [6] .

---

(١) الموضح ص ٢٩٤ .
(٢) لم أجد فيما أعلم من النحاة من نقل هذه العلة من كتاب سيبويه الا ابن يعيش في شرح المفصل ــ انظر جـ ٩ ص ٦٢ شرح المفصل .
(٣) الكتاب جـ ٢ ص ٢٦٨ .
(٤) الكتاب جـ ٢ ص ٢٧٠ .
(٥) الحجة لابي على الفارسي جـ ١ ص ٣٥٨ .
(٦) الموضح ص ٩٥ ورقة ٣٥ .

وقد قرأ أبو عمرو كل ما كان فيه راء قبل الالف مما ورد في كتاب الله تعالى على وزن افتعل بسكون الفاء وفتح التاء والعين مع التخفيف من نحو لمن اشتراه [1] و « فمن افترى » [2] ، و « ممن افترى » [3] ، « وإن الله اشترى [4] ، » قرأه أبو عمرو بالإمالة وما وقع رأس آية بين اللفظين ، وما عدا ذلك بالفتح مثل أن الله اصطفى آدم ، ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك [5] .

وكان ابن عامر يكسر ما فيه الراء من هذا الباب، ويفتح ما سواه [6]. فاختص ما فيه الراء من هذا الباب بما اختص به من فضل الإمالة ؛ لأن الراء كما يقول سيبويه شبيهة بالياء [7] .

ومن هنا لم يكن غريبا ان يختص بعض القراء ما تكررت فيه الراء بالإمالة ، فقد أمال ذلك أبو الحرث نحو قرار ، والإشرار ، والأبرار ، وأخلص الفتح فيما عدا ذلك [8] .

على هذا كان الأئمة الاولون ، فلما جاء النحاة، ووضعوا هذه القواعد استغلها المؤلفون من القراء من غير ان يفطنوا الى طريقتهم في الإداء ، ولعل الذي دفعهم الى ذلك ان بعض النحاة المشتغلين بالقراءة هم الذين بدءوا بالاحتجاج للقراءات ، فنحن نقرأ في كتاب الحجة لابن خالويه (٣٧٠ هـ) .

وعلى أبصارهم يقرأ بالإمالة والتفخيم ، وكذلك ما شاكله مما كانت

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٢ .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة الانعام .
(٤) في التوبة آية ١١١ .
(٥) آل عمران آية ٤٢ « وانظر ص ٢١٤ من الموضح وما بعدها » .
(٦) الموضح ص ٢١٦ .
(٧) الكتاب جـ ٢ ص ٢٧٠ .
(٨) كتاب التيسير لابي عمرو الداني مخطوط بدار الكتب برقم ١٠ قراءات .

الراء فيه مكسورة في آخره ، فالحجة لمن أماله ان للعرب في امالة ما كانت الراء في آخره مكسورة رغبة ليست في غيرها من الحروف للتكرير الذي فيها [1] .

ونقرأ مثل ذلك في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) [2] ، وهذا مقبول من النحاة ، لكنه غير مقبول من القراء الذين يكرهون تكرير الراء في النطق ويتحفظون عنه على النحو الذي بيناه .

ولا بد أن ننبه هنا الى ان دائرة الإمالة في باب الراء تتسع عند النحاة أكثر مما تتسع عند القراء ، ذلك لأن سيبويه سمع عن العرب امالة « الحروف التي ليس بعدها ألف اذا كانت الراء بعدها مكسورة » وذلك قولك « من الضرر ومن البعر ومن الكبر ومن الصغر ومن الفقر » [3] .

وقد ورد من هذا الباب في القرآن الكريم في سورة القمر أواخر الآي من قوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر [4] ، وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر [5] .. « إن المتقين في جنات ونهر » [6] .

وكذلك اواخر الآي من قوله تعالى في سورة المدثر : « إن هذا إلا قول البشر [7] .... « لواحة للبشر » [8] .... وما هي إلا ذكرى للبشر [9] .... « انها لإحدى الكبر نذيرا للبشر [10] .

ولم يمل ذلك أحد من القراء ألبتة [11] .

---

(١) الحجة لابن خالويه ص ٣ .
(٢) انظر مثلا الحجة للفارسي ج ١ ص ٧٤ .
(٣) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠ .
(٤) سورة القمر « آية ٤٩ » .
(٥) سورة القمر « آية ٥٠ » .
(٦) سورة القمر « آية ٥٤ » .
(٧) سورة المدثر « آية ٢٥ » .
(٨) سورة المدثر « آية ٢٩ » .
(٩) سورة المدثر « آية ٣١ » .
(١٠) سورة المدثر « آيتا ٣٥ و ٣٦ » .
(١١) يراجع قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين لابن القاصح في هاتين السورتين .

وربما كانت الإمالة في هذا النوع لقبائل عربية غير مشهورة فلم ترد عن القراء لذلك .

(سادسا) إمالة ما يصير إلى ياء

في باب (دعا)

جاء في الكتاب : « والإمالة في الفعل لا تنكسر اذا قلت « غزا ، وصفا ، ودعا » وإنما كان في الفعل متلئبا لان الفعل لا يثبت على هذه الحال للمعنى ألا ترى أنك تقول « غزا » ثم تقول « غُزِيَ » فتدخله الياء ، وتغلب عليه وعدة الحروف على حالها .. وتقول » اغزوا » فاذا قلت « اغزى » قلبت وعدة الحروف على حالها [1] » . وجاء في شرح الشافية : والنحويون يجيزون إمالة (دعا) لأن ألفه صائرة الى ياء فيما لم يسم فاعله في نحو (دُعِيَ)[2] .

فاذا تركنا النحاة الى القراء نجد أنهم يميلون أحرفا وردت في القرآن الكريم من هذا الباب (باب دعا) ، وتركوا أحرفا من هذا الباب ايضا لم يميلوها .

وسينظم الكلام هنا النقط الآتية :

ما الأفعال التي وردت في القرآن الكريم من هذا الباب ، وقد أمالها النحاة ، ولم يملها القراء ؟

وما الأفعال التي أمالها القراء من هذا الباب متفقين في ذلك مع النحاة ؟.

ولماذا أمال القراء ما أمالوه من هذه الافعال دون غيرها من أفعال هذا الباب؟.

---

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٠ .
(٢) شرح الشافية ج ٣ ص ١١ .

ثم أخلص من ذلك الى مناقشة القراء فيما أوردوه من علة لإمالة هذه الأَفعال ، ثم أَذكر العلة التي ارتضيتها سببا لإمالة ما أماله القراء من أفعال هذا الباب .

أما الأَفعال التي وردت في القرآن الكريم من باب (دعا) ، والتي أمالها النحاة ، ولم يملها القراء فهي واردة في آياتها ، مرتبة في إيرادها ترتيبا أبجديا ، على النحو الآتي :

(بدا) في قوله تعالى

بل (بدا) لهم ما كانوا يخفون من قبل [1] ...

ثم (بدا) لهم من بعد ما رأوا الآيات ...	سورة يوسف
و (بدا) لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ...	« الزمر
و (بدا) لهم سيئات ما كسبوا ...	« الزمر
و (بدا) لهم سيئات ما عملوا ...	« الجاثية
و (بدا) بيننا وبينكم العداوة ...	« الممتحنة

(خلا) في قوله تعالى

وإذا (خلا) بعضهم الى بعض	سورة البقرة
وإنْ من أمة الا (خلا) فيها نذير	« الملائكة

(دعا) في قوله تعالى

هنالك (دعا) زكريا ربه	آل عمران
(دعا) ربـه منيبا اليه	الزمر
ومن أحسن قولا ممن (دعا) الى الله	فصلت
(فدعا) ربه أن هؤلاء قوم مجرمون	الدخان
(فدعا) ربه أني مغلوب فانتصر	القمر

(١) سورة الانعام .

(دنا) في قوله تعالى

ثم (دنا) فتدلى — النجم

(زكى) في قوله تعالى

ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا — النور

(عفا) في قوله تعالى

ولقد (عفا) عنكم — آل عمران

ولقد (عفا) عنهم — آل عمران

(عفا) الله عما سلف — المائدة

(عفا) الله عنها — المائدة

(عفا) الله عنك — التوبة

فمن (عفا) واصلح فأجره على الله — الشورى

فتاب عليكم (وعفا) عنكم — البقرة

(علا) في قوله تعالى

إن فرعون (علا) في الارض — قصص

و (لعلا) بعضهم على بعض — المؤمنون

(نجا) في قوله تعالى

وقال الذي (نجا) منهما وادكر بعد أمة — يوسف

وأما الأفعال التي أمالها القراء من هذا الباب (باب دعا) متفقين مع النحاة فهي الافعال التي تضمنها البيت الآتي : ــ

وحرف تلاها، مع طحاها وفي سجى وحرف دحاها وهــي بالواو تبتلا

فلماذا أمال بعض القراء هذه الافعال .. أو على التحديد لمــاذا أمال الكسائي وحمزة (دحاها) وانفرد الكسائي بامالة تلاها وطحاها وسجى .

نقل القراء عن النحاة في إمالة ما كان واويا من الافعال بأنها صائرة

الى ياء في موضع اذا بنى الفعل للمجهول [1] . أو لأنها رسمت في المصحف بالياء [2] .

والذي يوجه النظر إمالة هـذه الافعال بالذات مـن ذوات الواو في القرآن الكريم دون غيرها من الافعال الاخرى .

ولو كانت العلة كما يذكر القراء أنها صائرة الى ياء عند البناء للمجهول فهذه العلة موجودة في الافعال التي لم تمل نحو بدا ، وخلا ، ودعا ، ودنا ، وزكى ... الخ .

ولو كانت العلة انهـا رسمت بالياء في المصحف ، فلماذا لـم يميلوا زكى في قوله تعالى « ما زكى منكم من احد أبدا » وقد رسمت في المصحف بالياء ؟!

قال محمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز .

والياء في سبع فمنهن سجى زكى،وفي الضحى،جميعا،كيف جا
وفي القوى ، جاء ، وفي دحاها وفي تلاها ثم في طحاها [3] ،

وقال ابو محمد قاسم بن فيرّه الشهير بالشاطبي وقد جمع هذه الكلمات السبع في بيت واحد :

كيف الضحى ، والقوى ، ودحى ، تلى ، طحى
سجى ، زكى ، وارهـا باليـاء قـد سطرا

قال أبو عمرو : « واتفقت المصاحف على رسم كل ما كان من ذوات الواو من الأسماء والأفعال علـى ثلاثـة احرف بالالف إلا هـذه الاحرف المذكورة في البيت السابق فإنها رسمت بالياء [4] .

(١ و ٢) ابراز المعاني لابي شامة ص ١٥٩ ، السراج لابن القاصح ص ١٢١ .
(٣) منظومة مورد الظمآن في رسم القرآن ص ٢٤ .
(٤) شرح تلخيص الفوائد لابن القاصح على عقيلة اتراب القصائد للشاطبي ص ٨٤

إذن لا بد من سبب آخر غير هذين ، هـذا السبب هـو « الانسجام الصوتي » كما يعبر عنه المحدثون ، أو « التناسب » الذي جعله الأقدمون ايضا نوعا من الإمالة للامالة .

وتفسير ذلـك أن تلاها وطحاها ، جاءت فـي سورة « والشمس » ورءوس آي هذه السورة ممال لأنها من ذوات الياء في معظمها :

والشمس وضحاها . والقمر اذا تلاها . والنهار اذا جلاها . والليل اذا يغشاها . والسماء وما بناها . والارض وما طحاها . ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح مـن زكاها . وقد خاب مـن دساها . كذبت ثمود بطغواها . اذا انبعث أشقاها . فقال لهـم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها فدمدم عليهـم ربهـم بذنبهم فسواها . ولا يخاف عقباها .

وأما سجى فقد وردت في سورة والضحى ورءوس آيها كذلك يأتي في معظمها :

والضحى . والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألـم يجـدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى . فأمـا اليتيم فـلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث .

والأحرف الثلاثة هذه « تلاها ، وطحاها ، وسجى » هي التي انفرد بامالتها الكسائي دون حمزة [1] .

وأما (دحاها) فقد وردت كذلك فـي سورة والنازعات وسط آيات رءوسها ممالة لاصلها اليائي : « هل أتاك حديث موسى . اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى . اذهب الى فرعون إنه طغى . فقل هل لك الى ان تزكى .

(1) ابراز المعاني لابي شامة ص ١٥٦ ، وقد ذكر ابو شامة في صفحة ١٥٩ ان حمزة لم يمل دحاها في والنازعات .

وأهديك الى ربك فتخشى • فأراه الآية الكبرى • فكذب وعصى • ثم أدبر يسعى • فحشر فنادى • فقال أنا ربكم الأعلى • فأخذه الله نكال الآخرة والأولى • ان في ذلك لعبرة لمن يخشى • أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها • رفع سمكها فسواها • وأغطش ليلها وأخرج ضحاها • والارض بعد ذلك دحاها • أخرج منها ماءها ومرعاها • والجبال أرساها • متاعا لكم ولأنعامكم • فإذا جاءت الطامة الكبرى • يوم يتذكر الانسان ما سعى • وبرزت الجحيم لمن يرى • فأما من طغى • وآثر الحياة الدنيا • فإن الجحيم هي المأوى • وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنّة هي المأوى • يسألونك عن الساعة أيان مرساها • فيم أنت من ذكراها • الى ربك منتهاها • إنما أنت منذر من يخشاها • كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها •

فان كان حمزة قد أمال مع الكسائي « دحاها » فقط دون غيرها من الافعال « تلاها وسجى ، طحاها » فلأن دحاها جاءت رأس آية متوسطة لآيات قبلها وبعدها رءوس آيها ممال • بخلاف تلاها ، وطحاها ، وسجى ، فاذا جاءت رءوس آيات وقعت في اوائل السور ، فلم يكن التناسب فيها ظاهرا ظهوره في قوله دحاها في « والنازعات » •

فاذا اقتنعنا بأن التناسب هو الذي دعا إلى إمالة هذه الافعال صح لنا ما رأيته من أن تعليل إمالة الافعال الواوية بأنها صائرة الى ياء ، أو بأنها مرسومة في المصحف بالياء تعليل مردود في جملته بما ذكرت •

فالتناسب هو الذي من اجله امال الكسائي الافعال « تلاها وطحاها ودحاها وسجى » كما بينت على أن جماعة من النحاة منهم أبو العباس قالوا : « ان إمالة ما كان من ذوات الواو على ثلاثة احرف نحو دعا قبيحة ، وقد تجوز على بعد ، فلا ينبغي تخريج القراءة عليه (١) ».

فصل المقال على نظم ابن غازي فواصل الممال مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٦ قراءات .

(سابعا) رسم المصحف

والرسم أصله الأثر ، والمراد أثر الكتابة في اللفظ،وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بهـا ، والوقوف عليها ، والمراد بالمصحف المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة [1] ، وسنبحث في هذا الفصل علاقة رسم المصحف بالامالة،ومذاهب القراء في الاحرف التي أمالوها متصلا ذلك بمرسوم الكتابة في المصاحف العثمانية .

ويعتدّ القراء ــ في باب الإمالة ــ برسم المصاحف ، وعده بعضهم سببا من الاسباب التي تؤدي اليها ، قال ابن القاصح فـي كتابه « سراج القارىء المبتدىء » من أسباب الامالة : « أن تكـون الالف رسمت بالياء وإن كان أصلها الواو » [2] وهو يقصد بذلك ما كان مثل ضحى ، وضحاها في الأسماء ، ودحاها وتلاها وطحاها وسجى من الأفعال ، وربما يفهم من قول مكي بن أبي طالب في كتابه « التبصرة » :

« وقد تمال الألف وأصلها الواو لعلة توجب ذلك » [3] ــ إن هذه العلة الموجبة كتابـة الكلمة بالياء ــ كمـا ذكر ابـن القاصح ــ ، ولكن مكيا فسر هذه العلة الموجبة فـي كتابه الكشف وذلك إذ يقول : « واعلم ان الالف الممالـة ... وقـد تكـون أصلها الـواو،ولكنهـا أميلت **لرجوعها إلى الياء التي توجب الامالة** » . فالرجوع إلى الياء هو العلة التي توجب الإمالة في مثل الكلمات « ضحى وتلا وسجا وطحا ... » [4]

وليس لدينا ما يثبت أن كتبة المصاحف في عهد عثمان كانوا يتحرون الألفاظ الممالة فيرسمونها بالياء ، والألفاظ غـير الممالة فيرسمونها بالألف،

---

(١) لطائف الاشارات في علم القراءات تأليف شهاب الدين ابي العباس احمد بن محمد القسطلاني انظر ص ٢١١ .
(٢) سراج القارىء المبتدىء ص ١١٧ .
(٣) التبصرة لمكي بن ابي طالب مخطوط برقم ٢٣٩٣٦ ص ٩٦ .
(٤) ناقشت ذلك من قبل .

بـل كانت اليـاء فـي موضع الألف ، والألف فـي موضع الياء ، هذا (ا) **ما يدعمه الرسم** (ب) **وما يؤيده الأثر** (جـ) **وما يتمشى مع مـا يكون من الكتاب** : اما (ا) **ما يدعمه الرسم** فبعض الكلمات أميلت وقد كتبت بالألف في المواضع الآتية :

ومن (عصاني) في ابراهيم ، و (الاقصا الذي) في الإسراء [1] ، و (أنه من تولاه) بالحج [2] ، و (طغا) بالحاقة [3] ، و (سيماهم) في وجوههم بالفتح [4] .

وبنات الواو كتبت بالياء في المواضع الآتية :

« الضحى ، والقوى ، ودحى ، وتـلا ، وطحى ، وسجى ـ وزكى ، (ضحى) وهم يلعبون ، في الأعراف ، والناس (ضحى) في طه ، وفي النور (ما زكى) وفي النازعات (ضحيها ودحيها) وفي سورة والشمس (ضحيها وتليها وطحيها) وكذلك في والضحى (والضحى وسجى) [5] .

وأما الأثر فما أورده الحافظ أبو بكر السجستاني قال :

« حدثنا عبدالله ، حدثا عمرو بن عبدالله الأودى ، حدثنا وكيع عـن الأعمش عن ابراهيم قالوا : « كانوا يرون ان الالف واليـاء فـي القراءة سواء » .

حدثنا عبدالله ، حدثنا شعيب بن ايوب حدثنا يحيى حدثنا وكيع بهذا، زاد لعله كتبوا الالف مكان الياء والله أعلم » [6] .

حدثنا عبدالله : حدثنا شعيب بن أيوب : حدثنا يحيى حدثنا الحسن ابن ثابت قال : سمعت الأعمش يقول : « أخرج إلينا ابراهيم مصحف علقمة

(١) المصاحف للسجستاني ص ١٠٩ .
(٢) المصاحف ص ١١٠ .
(٣) المصاحف ص ١١٥ .
(٤) المصاحف ص ١١٣، شرح عقيلة اتراب القصائد ص ٨٢، منجد المقرئين .
(٥) شرح تلخيص الفوائد ص ٨٤، وانظر منظومة مورد الظمآن للخراز ص٢٣ .
(٦) المصاحف ص ١٠٤ .

فإذا الألف والياء فيه سواء » [1] ولم يكن ذلك في بنات الياء أو الواو من الأسماء والافعال ، وإنما كان في غيرها من الكلمات مثل « إنَّ هذان لساحران » ــ « إنَّ هذين لساحرين » [2] إن هذان ساحران [3] .

(ج) **واما ما يتمشى وما يكون من الكتاب** فإنهم يجعلون الألف مكان الياء ، فقد كتبت على في المصحف بالالف [4] كما كتبت كل من متى وادعى وكفى بالألف كذلك في أوراق البردى في الرابع الهجري [5] .

وهنا يجعل بنا أن نناقش أبا عمرو الداني في كتابه الموضح في تفسيره لما أسنده إلى الأعمش عن إبراهيم ، إذ يفسر الألف والياء في الحديث السابق [6] بالتفخيم والإمالة ، ونحن نقطع بأن الألف والياء ليس لهما من دلالة خارجة عنهما ، فليس المقصود بهما التفخيم والإمالة ، وإنما المقصود بهما حرفا الألف والياء بدء حروف المعجم وخاتمتها ، ويؤيدنا في ذلك تلك الزيادة التي حكاها ابو بكر السجستاني في قوله « زاد لعله كتبوا الألف مكان الياء [7] كما تؤيدنا الرواية الأخرى لهذا النص وهي « أخرج الينا ابراهيم مصحف علقمة فاذا الألف والياء فيه سواء » فالألف والياء هنا حرفان مرسومان منظوران لا منطوق بهما ، فلا علاقة لهما بالتفخيم أو الامالة ، وإنما رأى من رأى مصحف علقمة أن ما حقه أن يكتب بالألف قد كتب بالياء وبالعكس ، ويقوى هذا التوجيه ما كتبوه في (إن هذان

---

(١) المصاحف ص ١٠٥ .
(٢) المصاحف ص ١٠٤ .
(٣) Materials for the history of the text of the qur'an. P 60.
(٤) تنظر الصورة الشمسية للمصحف الكوفي المرافقة لهذا الفصل .
(٥) انظر الورقة البردية المرافقة لهذا الفصل .
(٦) يقول الداني في كتابه الموضح أخبرني الخاقاني أن محمد بن عبدالله حدثهم قال : ثنا أبو القسم الرازي قال : حدثني عمي أبو زرعة قال : ثنا أبو بكر بن شيبة قال : ثنا وكيع قال : ثنا الأعمش عن ابراهيم قال : كانوا يرون ان الألف والياء في القرآن سواء . ثم فسر الداني المراد من الالف والياء بقوله : « يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة » الموضح ص ١٣ .
(٧) المصاحف ص ١٠٤ .

لساحران) اذ كتب (إن هذين لساحرين) [1] فلم يكن في (إن هذان لساحران) تفخيم ولا إمالة حتى يفسر كتابتها بالألف في الأولى على مراد التفخيم ، وكتابتها بالياء في الثانية على قصد الإمالة .

لم يكن كتبة المصاحف (رضوان الله عليهم) يقصدون إلى شيء من ذلك ، فقد كانوا قرشيين ، وما روى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في هذا الصدد يعيننا على تقرير ما نحن فيه ، روى أبو بكر السجستاني قال : « حدثنا عبدالله قال : حدثنا عبدالله بن محمد الزهري قال : حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال : حدثنا أبي قال : سمعت عبدالملك بن عمير يحدث عبدالله بن معقل قال قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) « لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف [2] .

وواضح أن ذلك كان في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) إذ جمع القرآن بعد أن استحر القتل بالقراء في اليمامة ، وخوفا من أن يستحر القتل بهم في سائر المواطن .

وموضع الشاهد هنا في أن **المملى من قريش او ثقيف** ، وهما قبيلتان أثر عنهما التفخيم في لهجتهما العامة ، فلم يكن فيما كتبوه من بنات الواو بالياء ، أو ما رسموه من بنات الياء بالالف أيُّ ارتباط بالإمالة أو قصد التنبيه على جواز الإمالة أو عدمها .

ولما أراد عثمان (رضي الله عنه) أن يجمع الناس على حرف واحد بعد أن اختلفوا وكاد بعضهم يكفر بعضا سأل عن أفصح الناس فقيل له « سعيد ابن العاص » ثم سأل عن أكتبهم فأجيب : « زيد بن ثابت » فقال عليه (رضوان الله) « فليكتب زيد [3] ، وليمل سعيد [4] » .

(١) المصدر السابق .
(٢) المصاحف ص ١١ ، وانظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٥ .
(٣) زيد بن ثابت وهو الذي كتب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأبي بكر وعثمان.
(٤) المصاحف ص ٢٤ .

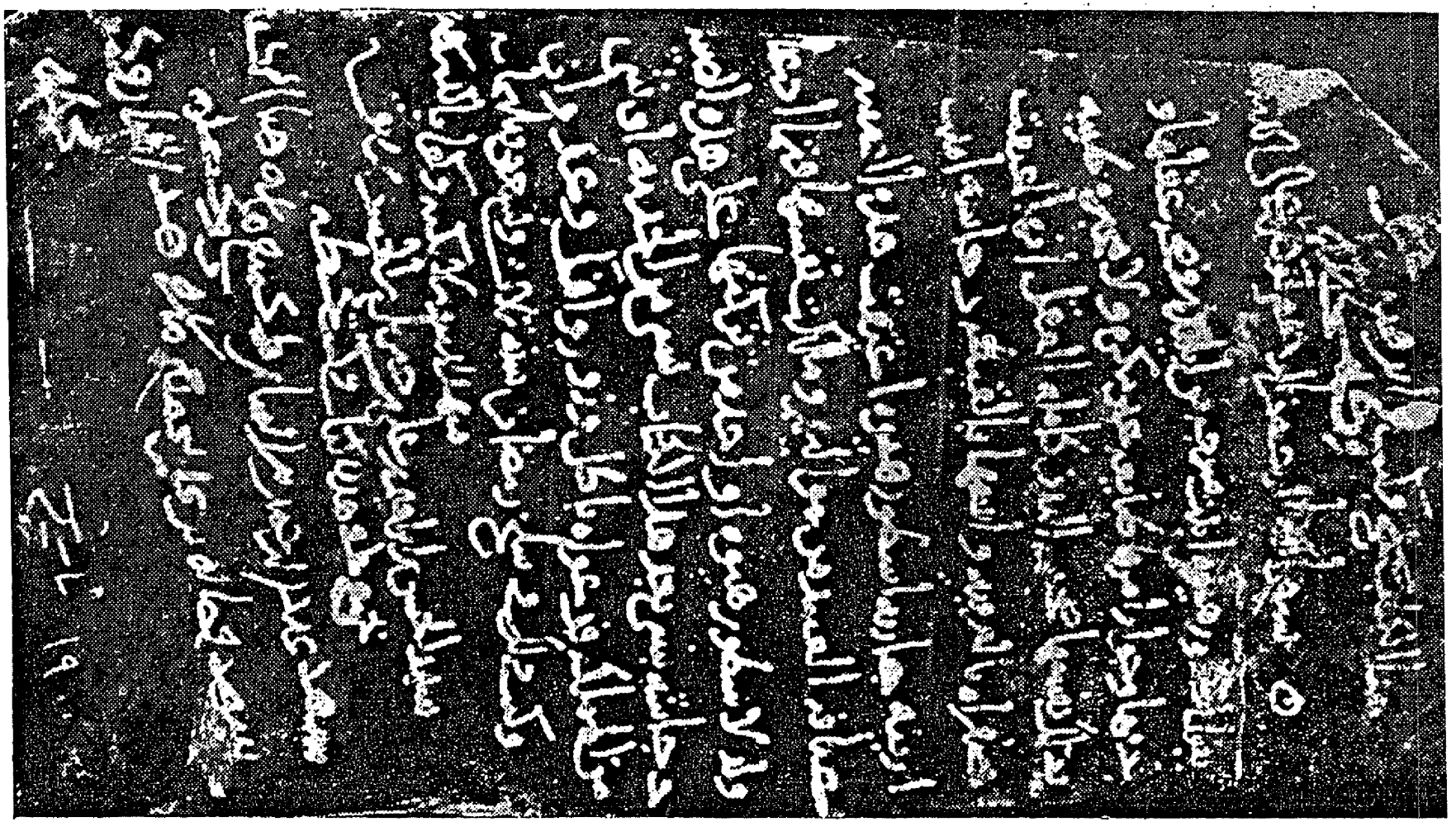

(يلحظ في هذه الصورة كتابة « الكلمات فمتى ادعى ـ وكفى » فتما (كذا) ـ وكفا بالالف)

وقد روى السجستاني قال : « حدثنا عبدالله قال : حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرني أبي قال : أخبرنا سعيد بن عبد العزيز أن عربية القرآن قوبلت على لسان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فالمسلمون في النصوص السابقة قرشيون ، كذلك كان سيدهم الأول (محمد صلى الله عليه وسلم) حينما كان يملي على زيد بن ثابت ما نزل عليه من الوحي [1] .

قال مكي في الإبانة « وكان المصحف ـ يريد المصحف الإمام ـ على لغة قريش على حرف واحد » [2]

وقال أبو عمرو الداني [3] « جمع عثمان بن عفان القرآن في المصاحف، ونسخها على صورة واحدة ، وآثر في رسمها لغة قريش » .

وقال ابن الجزري في منجد المقرئين : « وكتبوا المصاحف على لفظ لغة قريش » [4] .

فهذه النصوص تقيم الحجة على من يقول : « إن المراد بما رسم من الواوي بالياء التنبيه على جواز إمالته » [5] .

فلم يكن في قصد الملين فوق أنهم قرشيون ـ أن ينبهوا إلى شيء من ذلك ، وكان من الطبيعي ولهجتهم التفخيم ألا تظهر الإمالة على ألسنتهم، وبالتالي لا يظهر أثر من ذلك على أقلام كتابهم .

وهذا « يوهان فك » يقرر في كتابه (العربية دراسات في اللهجات والأساليب) أن قواعد رسم المصحف تدل على أن من كتب قد تحرر من

(١) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٦ .
(٢) الابانة ص ١ .
(٣) المقتنع ص ١١٤ .
(٤) منجد المقرئين ص ٢٢ .
(٥) شرح تلخيص الفوائد لابن القاصح ص ٤٨

تحقيق الهمزة » [1] .

وإن كنا الآن لسنا في معرض موافقته في ذلك أو مخالفته،ولكنا على كل حال متفقون معه على أن الرسم : (رسم المصحف) مرآة للهجات من كتبوه من العرب .

وقد يقال : « إذا كنا نربط بين المملين ولهجتهم ، ونقول بأن المرسوم في المصاحف بالياء من بنات الواو من الأسماء والأفعال لا صلة له بالإمالة ألبتة ، وإذا كانت لهجة المملين (التفخيم) فهل ظهر أثـر ذلك فيمـا رسم الكاتبون ..؟

تعيننا الآثار أيضا على أنه كانت هناك صلة بين المملين ولهجاتهم فيما أملوا وظهر على أقلام كاتبيهم « جاء في كتاب المصاحف للسجستاني » : ـ

« حدثنا عبدالله : حدثنا شعيب بن أيوب : حدثنا يحيى قال : « رأيت في نسخة كتاب خالد بن سعيد (يعني ابن العاص) ، وأملى النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما يذكرون حرفا ، فإذا فيه «كان» ك و ن ، وحتى «حتا»، مثل الصلوةبواو ، والزكوة بواو ، والحيوة بواو .

وروى أيضا قال « حدثنا عبدالله : حدثنا محمد بن عبدالملك الدقيقي حدثنا فهد حدثنا نائل بن مطرف بن رزين بن أنس السلمى حدثني أبي عن جدي قال : ـ

« لما ظهر الاسلام أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقلت : يا رسول الله إن لنا بيرا بالدثينة . قال: « فكتب لي كتابا » بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله ، أما بعد : فإن لهم بيرا إن كان صادقا ، ولهم دارهم « إن كان صادقا قال : فما قاضينا به الى أحد من القضاة إلا قضوا لنا به » ، قال « وهجاء كان »:ك و ن » [2] .

(١) مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م القاهرة ص ٤ .
(٢) المصاحف للسجستاني ص ١٠٤ وما بعدها .

أفرأيت كيف ظهرت لهجة المملي (صلوات الله عليه وسلامه) ؟ ومن هنا كتبت الكلمات الصلوة ، الزكوة ، كمشكوة ، منوة الثالثة ، النجوة ، والربو بالواو . قال أبو عمر الداني : ورسم في سائر المصاحف الألف واوا في أربعة أصول مطردة : وثلاثة أخرى متفرقة ، فالأربعة (الصلوة والزكوة والحيوة والربو) حيث وقعن ، والأحرف الثلاثي في النور (كمشكوة) وفي غافر (إلى النجوة) وفي النجم (ومنوة الثالثة الأخرى) وذلك على لفظ التفخيم [1] .

ومثل ذلك جاء في كتابه الموضح قال : إن الصحابة (رضوان الله عليهم) رسموا في المصاحف كلها الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، والنجوة، وكمشكوة ، ومنوة الثالثة بالواو، وأجاب عن ذلك النحويون،قالوا رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم ، فتوهموا لشدة الفخامة أنها واو فرسموها على ذلك [2] .

وعندما اختلفوا في التابوت أيكتبونه بالتاء أو الهاء . فقال زيد بن ثابت إنما هو التابوه ــ وهي لغة الأنصار [3] .

وقال الثلاثة القرشيون : إنما هو التابوت : فتراجعوا إلى عثمان فقال: اكتبوه بلغة قريش [4] .

وهذا الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام يرد على من أضجع اتباعا للخط فيقول « والذي عندنا في ذلك أنه يلزم من أضجع اتباعا للخط أن يضجع على ، وإلى ، ولدى ؛ لأنهن جميعا كتبن بالياء ، وليس أحد يتكلم بهن بالإضجاع » [5] .

---

(١) شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد لابن القاصح ص ٨٠ .
(٢) الموضح ورقة ٢٤ .
(٣) فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح لمحمد بن الطيب ص١٣٣ ومابعدها
(٤) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٥ .
(٥) الموضح ورقة ٢٤ .

فنحن نرى أبا عبيد القاسم بن سلام لا يربط بين الرسم والإضجاع وينكر أن تكون الإمالة تابعة للمرسوم في المصحف الإمام .

ولم يكن في حساب الصحابة هذه العلل التي يعلل بها الداني ما رسموه بالياء أو بالالف من مثل قوله « إن على ، وإلى ، ولدى ، كتبت ألفاتها ياءات خوف الالتباس بما قد يشركهن في الصورة ، فكتبوا على التي تخفض بالياءبخوف الالتباس بعلا التي هي فعل ماض من العلو ، وكتبوا الى بالياء للفرق بينهما وبين إلّا المشددة ، وكتبوا لدى بالياء للفرق بينها وبين اسم الاشارة الذي قد دخلت عليه لام التوكيد » (١) .

وإنما كانت هذه العلل في العصور اللاحقة لعصر كتبة المصاحف ، وكلام الداني الذي يعلل به رسم الصحابة لعلى ، وإلى ، ولدى ، مردود بما ورد في بعض المصاحف القديمة من كتابة (على) بالألف (٢) وبقراءة قوله تعالى إلى أن تقطع قلوبهم ــ إلاّ أن تقطع قلوبهم .

وتعليل الداني لكتابة الصحابة لدى بالياء بخوف اللبس بـ(ذا) إذا دخلت عليه لام التوكيد مردود بأنهم كتبوا واللذان بلام واحدة (١) : واللذان ــ ولم تكن الذال منقوطة حينئذ مع أنها تشتبه على هذه الصورة بـ(والدان) .

وربما كانت هذه التعليلات للكتابة في عهد الداني ، ولكنا لا نسلم بها في رسم المصاحف بالذات ، لأن الصحابة فعلا كتبوا لدى بالالف في قوله تعالى (لدى الحناجر كاظمين) .

ودليلنا على أن هذه التعليلات تعليلات تتصل بالرسم على وجه العموم في الكتابة مطلقا ولا تختص بالمصحف ، أن الذي جاء في المصحف موضعان فقط في (لدى) هما المذكوران آنفا ، وقد كتبت واحدة منهما بالألف كما رأينا ، ولم يجيء (لذا) في القرآن الكريم أصلا .

(١) الموضح ورقة ٢٤ وما بعدها .
(٢) انظر اللوحة ص ٢٣٥ .
(٣) المصاحف ص ١٠٧

« صورة شمسية »

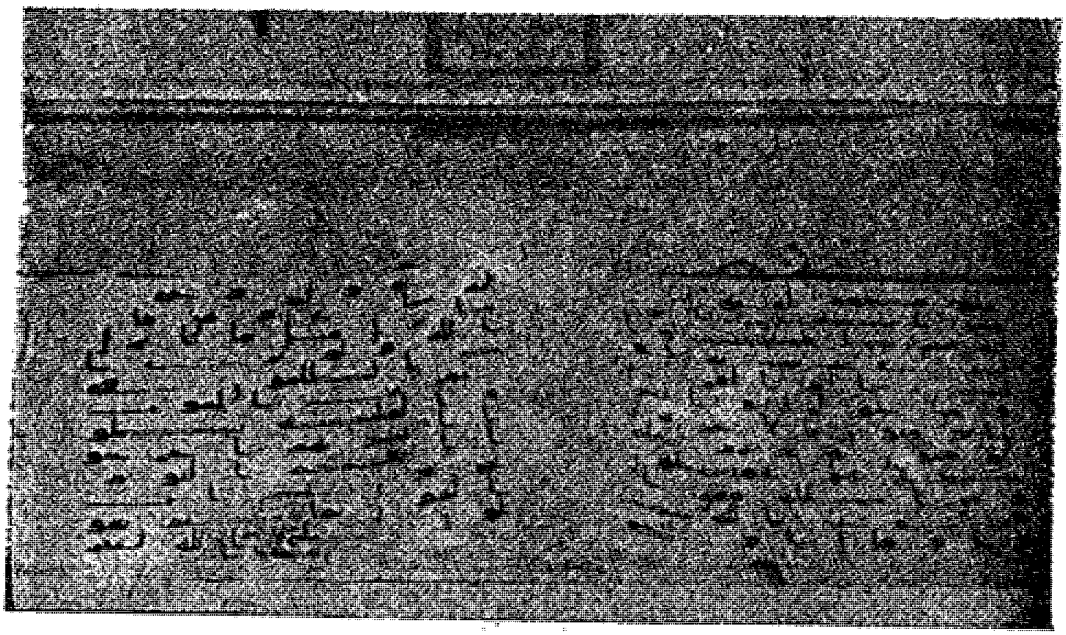

هذه صورة شمسية لمصحف كان بسمرقند في جامع خواجه عبيد الله الأحرار ثم اشتراه حاكم تركستان، ونقله إلى بطرسبورج فوضع في دار الكتب القيصرية، وسمي هناك المصحف السمرقندي، واشيع انه المصحف الإمام الذي استشهد عليه الخليفة عثمان بن عفان !! فكان الناس يزورونه في أيام معينة، ثم نشرته جمعية الآثار القديمة على يد المصور الروسي بساريكس وطبعت منه خمسين نسخة .

وبقي هذا المصحف في دار الكتب القيصرية إلى الانقلاب البلشفي وفي أوائل سنة ١٩١٨م. حمل في حفل عظيم وفي حراسة الجند إلى إدارة مكونة من الشخصيات الإسلامية البارزة هناك تسمى « النظارة الدينية » وذلك إرضاء للمسلمين وكسبا لتعضيدهم وبقي فيها خمس سنوات. وفي اواسط سنة ١٩٢٣ نقل إلى تركستان وبقي في سمرقند فترة من الزمن وهو الآن في طشقند. ٢٠٤ مصاحف . معرض دار الكتب .

* * *

وهاتان صفحتان من ذلك المصحف من سورة « الانعام » مكتوب فيهما قول الله تعالى :

١ ـ خوضهم يلعبون ، ٢ ـ هذا كتاب انز ، ٣ ـ لناه مبارك مصدق ا ، ٤ ـ لدى بين يديه ، ٥ لتنذر أم انقرى ، ٦ ـ ومن حولها والذ ، ٧ ـ يـن يؤمنون بالآخرة ، ٨ ـ يؤمنون به وهم على ، ٩ ـ صلاتهم يحافظون ، ١٠ ـ ومن اظلم ممن ا ، ١١ ـ فتـرى علا الله كذ ، ١٢ ـ با او قال اوحى :

١ ـ الى ولم يوح، ٢ ـ اليه شيء ومن قال ، ٣ ـ سانزل مثلما انـزل ، ٤ ـ الله ولـو ترى ا ، ٥ ـ ذ الظالمون في ، ٦ ـ غمرات الموت ، ٧ ـ والملائكة باسطو ، ٨ ـ ايديهم اخرجو، ٩ ـ ا انفسكم اليوم، ١٠ ـ تجزون عذاب، ١١ ـ الهون بما كنتم تقو، ١٢ ـ لون على الله غير.

ويلحظ ان على تكررت في هاتين الصفحتين ثلاث مرات كتبت في الصفحة الاولى « السطر الثامن » بالياء، وفي السطر الحادي عشر بالالف ، وكتبت في الصفحة الثانية في السطر الثاني عشر بالياء . وهذا مما يدل على ان ما كان حقه ان يكتب بالياء كتب بالالف كما اورد الحافظ ابو بكر السجستاني باسناده عن وكيع أن الالف والياء في المصحف سواء .

والذي جاء من (علا) « من العلو موضعان » ولعلا بعضهم على بعض ، و « علا في الأرض الفساد » ، (١) وكلا الموضعين لا لبس فيهما لو كتبت علا بالياء،فلن تلتبس بعلى الجارة،ولن يقرأ القارىء ولعلى بعضهم على بعض يجر بعضهم . ولو استقصينا (على) التي جاءت في القرآن الكريم جارة لوجدنا أن السياق يحددها بالحرفية،ولا يلبسها بالفعاية التي من العلو : خذ على سبيل المثال : ـ

وعلى الله فليتوكل .. ولله على الناس .. كتب ربكم على نفسه الرحمة .. الخ .

فلن يقرأها قارىء متوسطة ثقافته علا اللهُ ، أو علا الناسُ أو علا نفسُه : ..

وقل مثل ذلك في (لدى) إذا كتبت بالألف فلن يقرأ قارىء فالفيا صاحبها لذا الباب أو لذا الحناجر بالذال .

بل إنها ستقرأ في الحالين (لدا) لأن الكتابة كانت حينئذ خالية من النقط على أن الداني نفسه بعد أن قرر ما قرر في كلامه السابق يعود فيتفق مع أبي عبيد القاسم بن سلام في أن رسم على ، ولدى ، وإلى بالياء ليس لهن أي دلالة على جواز إمالتهن،وإن كان يرى في نهاية كلامه الآتي أن كتابة ، على ، ولدى ، وإلى بالياء دليل على جواز إمالته : ـ

قال « وأما قوله في على ، ولدى ، وإلى ، أن من أمال من أجل الخط لزمه أن يميلهن لرسمهن بالياء فلا يلزم ايضا ؛ لأن من خالفه يقول : لم تكتب ألفاتهن ياءات للدلالة على أن ذلك أصلهن ، ولا على أن الإمالة جائزة فيهن كما كتبن فيما عداهن من أجل ذلك » (٢) .

وجاء في كتاب الكشف : قال أبو محمد : فإن سأل سائل : هلا أمالوا

(١) انظر مفتاح كنوز القرآن في هذه المادة .
(٢) الموضح ورقة ٢٤ .

على ، وإلى ، ولدى ، وحتى لأنهن كتبن في المصاحف بالياء كما أمالوا قضى، ورمى وسعى ونحوه لأنهن كتبن في المصحف بالياء ؟

فالجواب أن قضى ، ورمى ، وسعى إنما كتبن بالياء ؛ لأن أصل ألفهن الياء فدل الخط على الأصل ، فاملن لتدل الإمالة على الأصل وليتبع الخط ، فأما ألف على ، وإلى ، ولدى فليس لهن أصل في الياء إنما كتبن بالياء لانقلاب ألفهن مع المضمر إلى الياء في اللفظ تقول عليه وإليه ولديه فكتبن على الانفراد بالياء أتباعا لاتصالهن بالمضمر .

وأيضا : فإن الى ، وعلى ، حرفان والحروف لا أصل لهن في الإمالات، إذ لا أصل لألفهن في الياء ، ونقل عن الأخفش « ولو سميت بلدى والى لقلت في التثنية لدوان وإلوان ومثله على لو سميت به » وقيل:إنما كتبت على وإلى ولدى بالياء ؛ لأنهن أشبهن في حال كونهن مع المضمر التثنيه في قول غلامين وزيدين وقيل أشبهت قضيت ورميت ، وإليك، وعليك، ولديك. والياء في الخط في على وإلى ولدى ليس بأصل لهن إنما هو على التشبيه بما ذكرنا ، فلم يحكم لهن بالإمالة كما حكم للذي شبهن به [1] .

وهكذا ينتهي مكي في التعليل لعدم إمالة على ، وإلى ، ولدى ، أنهن لا أصل لهن في الياء .

بقيت عبارة لمكي قد يفهم منها أنه يعد رسم المصحف سببا لإمالة ما أميل ، وهي قوله في صدر كلامه السابق : **فدل الخط على الأصل** في قضى ورمى وسعى . وهو كلام لا تتركه من غير نقاش .

فإن أراد بدلالة الخط على الأصل في الكتابة بعامة في عهده فهذا ليس مما نحن فيه، أما اذا أراد بدلالة الخط على الأصل الخط في المصحف، فهذا ما لا نسلم له به. فماذا يقول في كتابة زكى بالياء وأصلها الألف ؟. وكتابة

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ص ٩٢ وما بعدها .

طغا وشبهها بالألف وأصلها الياء؟ فهل دل الخط على الأصل هناه؟ والحق أن النقل **هو ما يجب أن تدار عليه الإمالة لا رسم المصحف.** فان وافق الرسم النقل فبها ، وإلا فيجب اتباع النقل ، قال ابو شامة (٦٦٥) : ــ

«القراءة نقل ، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى ، وليس اتباع الخط بمجرده واجبا ما لم يعضده نقل ، فإن وافق فبها ونعمت ، ذلك نور على نور [١] .

قال الشيخ السخاوي (٦٤٣ هـ) وهذا الموضوع أول دليل على اتباع النقل في القراءة ؛ لأنهم لو اتبعوا الخط ، وكانت القراءة إنما هي مستندة إليه لقرءوا هنا أي في سورة الحج بألف « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير » وفي فاطر بالخفض « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ » .

قال أبو عبيد : « لولا الكراهة لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحب إلى فيكون في الحج بالنصب ، وفي فاطر بالخفض ، فإنه رسم بالالف في الحج خاصة دون فاطر » [٢] .

يقول ذلك أبو عبيد ، ولكنه لم يقرأ به متبعا النقل لا الرسم .
حقيقة نحن مأمورون بأن تتبع رسم المصحف في القرآن ، فذلك شيء أجمعت عليه الصحابة ، وتلقته الامة بالقبول يقول مكي : ــ

ومنع ــ أي عثمان (رضي الله عنه) ــ من القراءة بما خالف خطها وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفا من الصحابة والتابعين ، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده ، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ ، وإن صحت ورويت [٣] .

---

(١) إبراز المعاني ص ٤٠٦ .
(٢) إبراز المعاني ص ٤١٦ وقد نقل ذلك الأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابة القراءات واللهجات ص ١٥٨ .
(٣) الإبانة لمكي ص ١ .

ولكن ما المراد بالرسم الذي يجب أن يتبع ..؟هو ذلك الرسم الذي جمع عثمان الناس عليه في مصحفه الإمام،ليستقر الناس على حرف بعد أن وقع الاختلاف بينهم بزيادة كلمة ، أو نقص اخرى ، أو ابدال واحدة بواحدة ، او تقديم ، او تاخير ، او تاويل اثبت مع تنزيل ، اومنسوخة تلاوته كتب مع مثبت رسمه (١) .

فحرام بعد المصحف الإمام أن نقرأ الآيات الآتية كما كانت تقرأ من قبل هذا الإمام ، وكانت حلا للمسلمين فيما سبقه من أيام ، وكانت مما دونت في مصاحف كبار الصحابة عليهم الرضوان .

فمن هذه الآيات :

(١) بزيادة كلمة

لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم (في مواسم الحج) (٢) .

(٢) نقص كلمة

والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر (٣) . وفي هذه القراءة نقصان كلمة هي وتواصوا بالحق.

في مصحف عبدالله بن مسعود : ومن الشياطين من يغوص له ويعمل وكنا له حافظين (٤) .

وكان في ذلك المصحف أيضا فهل ينظرون إلا الساعة تأتيهم (٥) .

(٣) ابدال كلمة باخرى

في مصحف ابن مسعود : إن الله لا يظلم مثقال نملة (٦) .

---

(١) المواهب الفتحية ، وقد نقل ذلك عن الانتصار للباقلاني ص ٨٦ .
(٢) مصحف عبدالله بن الزبير ص ٨٢ ، مصحف ابن عباس ص ٧٤ ــ من كتاب المصاحف للسجستاني .
(٣) مصحف عبدالله بن مسعود من المصاحف للسجستاني ص ٥٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٦٥ .
(٥) المصدر السابق ص ٧١ .
(٦) المصاحف ص ٥٤ .

وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت [1] .
وإن عزموا السراح [2] .

(٤) تقديم وتاخير

في مصحف ابـن عباس إذا جاء فتح الله والنصر [3] .

وجاء سكرة الحق بالموت [4] .

(٥) تاويل أثبت مع تنزيل

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر [5] .
وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وأما الغلام فكان كافرا [6] .

(٦) منسوخة تلاوته كتب مع مثبت رسمه . والعصر إن الانسـان لفى خسر وإنه فيه الى آخر الدهر [7] .

هذا الاختلاف الذي كان في المصاحف هو الذي هاج عثمان (رضي الله عنه) عندما جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل،فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال : « أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون ، فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا ، وأشد لحنا، اجتمعوا بأصحاب محمد،واكتبوا للناس إماما [8] .

---

(١) المصاحف ص ٥٦ .
(٢) المصاحف ص ٧٥ .
(٣) المصاحف ص ٨١ .
(٤) الابانة لمكي ص ٧ .
(٥) مصحف عائشة وحفصه من المصاحف ٨٤
(٦) النشر ج ١ ص ١٤ .
(٧) المصاحف للسجستاني ص ٥٥ .
(٨) المصاحف للسجستاني ص ٢١ .

وهذا الاختلاف أيضا هو الذي أغضب حذيفة حتى احمرت عيناه من الغضب ، فيما أورده السجستاني عمن حدثه عن يزيد بن معاوية قال : « إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة قال : « وليس إذ ذاك حجزة ولا جلاوزة ، إذ هتف هاتف : من كان يقرأ على قراءة أبي موسى فليأت الزاوية التي عند أبواب كندة ، ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله ابن مسعود فليأت هذه الزاوية التي عند دار عبدالله ، واختلفا في آية من سورة البقرة قرأ هذا « وأتموا الحج والعمرة للبيت » وقرأ هذا « وأتموا الحج والعمرة لله [1] » فغضب حذيفة واحمرت عيناه ثم قام ففرز قميصه في حجزته وهو في المسجد وذاك في زمن عثمان فقال:« إما أن يركب الى أمير المؤمنين ، وإما أن أركب فهكذا كان من قبلكم [2] .

ولما جمع عثمان القرآن كتب سبعة مصاحف ، فبعث واحداً إلى مكة وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، وآخر إلى البصرة ، وآخر إلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا ، وأمر أهل كل مصر أن يقابلوا مصاحفهم على المصحف المبعوث إليهم [3] .

وهكذا جمع عثمان الناس على حرف واحد ، ورسم واحد خال من النقط والشكل ، فاشتمل لذلك من الأحرف السبعة على ما يحتمله الرسم .

هذا الرسم الذي أجمعت عليه الأمة ، وتلقته بالقبول بترتيب آياته، بل كلماته ، بل حروفه ــ ليس لنا إلى مخالفته من سبيل ، فلا يحل لنا أن نقدم ، أو نؤخر ، أو نحذف شيئاً منه قال في التبيان :

« إن المصحف إمام ودليل فيما يعنيه من ترتيب يمنع التقديم والتأخير ومن حصر يمنع الزيادة والنقصان وإبدال لفظ بلفظ آخر وإن كان بمعناه

---

(١) س ٢ آية ١٩٦ .
(٢) تتمة الخبر ص ١٢ المصاحف للسجستاني وقد اقتصرنا على ما يهمنا منه .
(٣) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٩ .

دون ما لا يعنيه من كيفية النطق باللفظ [1] .

والإيمان بهذا لا ينفيه قولنا : إنه لا ينبغي أن نبني على رسم الكلمات التي اختلف فيها بالإمالة أو عدمها شيئاً من القصد برسمها بيان لهجة الفتح أو الإمالة ، فلا علاقة لرسم الكلمات الممالة بالياء أو بالالف بالاختلاف الذي خشي على المسلمين منه في عهد عثمان ، والذي من أجله أمر بكتابة المصاحف ، فلو أنهم رسموا فواصل سورة والضحى مثلا بالألف فلن يغير ذلك شيئا من قراءة هذه الفواصل ، ولو أنهم كتبوا طغى الماء،والأقصى الذي بالياء ما غير ذلك من قراءة هذين الحرفين شيئا [2] .

ونحن في قراءة (والضحى) بغير نخالف الرسم،ولكن ذلك ليس من قبيل المخالفة المردودة ، قال ابن الجزري « إن القراءات التي تخالف صريح الرسم في حرف مدغم او مبدل نحو بصطة في الأعراف ــ وقرئت بالسين ايضا ــ أو حرف ثابت او محذوف و نحو ذلك لا يعد مخالفا اذا ثبتت القراءة به ، ووردت مشهورة مستفاضة . ألا ترى أنهم لم يعدوا اثبات ياءات الزوائد و ... الخ من مخالفة الرسم المردود ؟ فان الخلاف في ذلك يغتفر ؛ اذ هو قريب يرجع الى معنى واحد،وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول ، وذلك بخلاف زيادة كلمة ، ونقصانها، وتقديمها، وتأخيرها حتى ولو كانت حرفا واحدا من حروف المعاني ؛ فان حكمها في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه ، وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته [3] » .

(١) ومما يتصل بما نقرره من أنه لا صلة بين الرسم والإمالة ان هناك كلمات رسمت في المصحف الإمام بالألف ، ومع ذلك أميلت ، جاء في شرح الدرة المضيئة :

---

(١) التبيان ص ٨٦ ، والقراءات واللهفات ص ٥٦ .
(٢) اذا كنا نقرأ فاتحين او مميلين متبعين للنقل لا الرسم .
(٣) النشر ج ١ ص ١٢ .

توهم بعضهم أن الأقصى ، وأقصى المدينة ، وطغى المـاء ـ لا إمالة فيهن لرسمهن بالألف . والصواب أنهن من الممال ، ولذلك قـال إمامنـا المتولى :

لمـا طغا الأقصا ، وأقصا بالالف رسما، ومن يمل مميلا عنه قف[1]

(٢) وحرف « مشكاة » الألف فيها واوية ، وكتبت بالواو في المصحف، ومع ذلك أميلت [2] قال صاحب الموضح :

مشكاة رسم في المصحف بالواو [3]، والأصل فيها مشكوة « والدليل على أنها من الواو ظهورها في الجمع إذا قيـل « مشكوات » ، والمشكاة الكوة ، فلما تحركت الواو ، وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا [4] .

(٣) و « لدى » رسمت بالألف في يوسف ، وبالياء في غافر ، وكان اتباعا لرسم المصحف ألا يمال في الأولى ، ويمال فـي الثانية ، ولكنه لـم يمل [5] .

(٤) وقعت الإمالة في ذوات الراء وفي الكلمات التي تنتهي بتاء التأنيث عند الوقف،ومع ذلك لم يكن في رسم هذه الكلمات ما يدل على الإمالة .

(٥) أمال الكسائي ما رسم في المصحف بالتاء ، ووقف عليـه بالهاء خلافا للرسم [6] وذلك في رحمت في سبعة مواضع [7] .

---

(١) شرح الدرة المضيئة على هامش ابراز المعاني ص ١٥٦ .
(٢) انظر الابانة لمكي والتيسير ص ٤٦ .
(٣) شرح العقيلة ص ٨٠ .
(٤) الموضح للداني مخطوط بمكتبة الازهر برقم ٧٦٦١ قراءات ورقة ٤٤ .
(٥) الكشف ص ٩٤ وما بعدها .
(٦) لطائف الاشارات في علم القراءات للقسطلاني ص ٢١١ .
(٧) في البقرة « اولئك يرجون رحمت الله » . وفي الاعراف « ان رحمت الله قريب من المحسنين » . وفي هود « رحمت الله وبركاته عليكم » . وفـي مريم « ذكر رحمت ربك » وفي الروم « الى آثار رحمت الله » . وفـي الزخرف «أهم يقسمون رحمت ربك ـ ورحمت ربك خير مما يجمعون».

وفي نعمت في أحد عشر موضعا [1] .

وفي امرأت في سبعة مواضع [2] . وفي سنت في خمسة مواضع [3] . وفي لعنت في موضعين [4] . وفي معصيت الرسول في موضعين في المجادلة:

وفي كلمت من قوله تعالى : كلمت ربك الحسنى في الاعراف .

وفي هود (بقيت الله خير لكم) وفي القصص (قرت عين) وفي الروم (فطرت الله) وفي الدخان (شجرت الزقوم) وفي الواقعة (جنت نعيم) وفي التحريم (وابنت عمران) .

كل هذه الأحرف مرسومة بالتاء ، وقد أميلت عند الكسائي ووقف عليها خلافا للرسم هو ، وابن كثير ، وابو عمرو ، ويعقوب [5] ، ووافقهم ابن محيصن [6] .

ولو أنهم اعتدوا برسم المصحف ما أمال الكسائي ولا وقف هؤلاء جميعا بالهاء . فالتاء التي لم تقلب هاء تمال الفتحة قبلها [7] .

وقد يقال إن للكسائي مندوحة في وقوفه على هذه الكلمات بالهاء ،

(١) في البقرة « نعمت الله عليكم وما أنزل » . وفي آل عمران « نعمت الله عليكم إذ كنتم » . وفي المائدة « نعمت الله عليكم إذ هو » . وفي ابراهيم « بدلوا نعمت الله كفرا ، وإن تعدوا نعمت الله » . وفي النحل « وبنعمت الله هم يكفرون ، ويعرفون نعمت الله ، واشكروا نعمت الله » . وفي لقمان « في البحر بنعمة الله » . وفي فاطر « نعمت الله عليكم هل من خالق » . وفي الطور « فذكر فما انت بنعمة ربك » .

(٢) في آل عمران « إذ قالت امرات عمران » . وفي يوسف « قالت امرات العزيز في موضعين » . وفي القصص « وقالت امراة فرعون » . وفي التحريم « امرات نوح وامرات لوط وامرات فرعون » .

(٣) في الانفال « فقد مضت سنت الاولين » . وفي فاطر « فهل ينظرون الى سنت الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تجديلا » . وفي غافر « سنت الله التي قد خلت في عباده » .

(٤) في آل عمران « فنجعل لعنت الله على الكافرين » وفي النور « وان لعنت الله » .

(٥) النشر ج ٢ ص ١٢٩ .

(٦) لطائف الاشارات ورقة ٢١٠ .

(٧) شرح الاشموني ج ٤ ص ٢١٩ .

لأنها تاء تأنيث من حقها ان تكتب تاء مربوطة ويوقف عليهـا بالهاء ، ولكن يرد على ذلك أن صاحب الكافي وصاحب الهداية ذكرا الوقف على (ذات بهجة وذات الصدور) وشبهه • عن الكسائي بالهاء [1] •

أرأيت مدى مخالفة الكسائي رسم المصحف الى هذا الحد من المخالفة؟ ولكن مخالفته للرسم ليست من قبل المخالفة المردودة التي أشرنا اليها من قبل •

(٥) حرف ما زكى كتب بالياء وهو واوى ، ومع ذلك لم يتبع رسم المصحف فلم يمل •

حاشية وتعليق

هذا هو المشهور عند القراء في ذلك الحرف ــ ما زكى ــ ، جاء في إبراز المعاني لأبي شامة : « استثنى مما رسم بالياء وليست الياء أصله خمس كلمات فلم تمل •

وهي اسم ، وفعل ، وثلاثة أحرف ، •• والفعل ما زكى منكم من أحد أبدا ، هو من ذوات الواو فلم يمل تنبيها على ذلك [2] •

وجاء في شرح الدرة المضيئة للشيخ الضباع ضبط العلامة المتولى الكلمات الواوية التي لا امالة فيها لا حد بقوله : ــ

عصاه ، شفا ، إن الصفا، وأبا أحد ... سنا ، **ما زكى منكم** خلا، وعلا، ورد
عفا ، نجا ، قل مع بدا، ودنا، ودعا ... جميعا بواو لا تمال لدى أحد [3]

(جاء في التيسير للداني : أن ما زكى مفتوحة باجماع)

وقد دعاني ذلك أن أفحص ما أورد الداني في الموضح إذ يقول:[4] وقد جاءت الإمالة في فعل خاص وهو في قوله « ما زكى منكم (في النور)

(١) لطائف الإشارات ص ٢١٢ ، والنشر ج ٢ ص ١٣٢ .
(٢) إبراز المعاني ص ١٥٦ .
(٣) البهجة المرضية ــ على هامش إبراز المعاني ص ١٥٥ .
(٤) الموضح ص ٢٩ وما بعدها .

لرسمه في المصاحف بالياء عن الكسائي ، وعن أبي بكر ، وعن عاصم .

فأما الكسائي فحدثنا فارس بن احمد بن موسى المقرىء قال : حدثنا عبدالله بن احمد بن طلاب قال : حدثنا اسمعيل بن شعيب قال : حدثنا احمد بن منجد بن سلمون قال : حدثنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا العباس بن الوليد قال : حدثنا قتيبة بن مهران عن الكسائي أنه قرأ ما زكى منكم بكسر الكاف وكذا رواه عنه يحيى بن زياد الفراء، وصالح بن عاصم الناقط، واحمد بن ابي الذهل ، واحمد بن جبير ، وهي قراءة قديمة » .

وأما أبو بكر فحدثنا عبد العزيز بن جعفر بن محمد الفارسي النحوي قال : حدثنا عبد الواحد ابن عمر بن أبي هاشم قال : حدثنا عمر بن الحسن الشيباني قال : حدثنا المنذر بن محمود قال : حدثنا هرون قال : حدثنا ابو بكر عن عاصم ما زكى منكم مكسورة » .

فتعليق الداني على هذه الرواية بقوله « وهي قراءة قديمة » يرجح عندنا جانب عدم الامالة في ذلك الفعل : إذ يفهم من هذا أن الكسائي كان يقرأ بامالة « ما زكى » اولا ، ثم عدل اخيرا .

على أن من حدَّث بذلك السند « قتيبة بن مهران »،وهو مع إتقانه وجلالته وضبطه ، له إمالات مزعجة معروفة (١) .

على أن فيما ورد في طبقات القراء من أن ابن قتيبة صحب الكسائي إحدى وخمسين سنة ما يرجح أن ما زكى بالإمالة ــ رواية قديمة كما يقول الداني في الموضح تلقاها قتيبة عنه في أول الصحبة ، ثم عدل الكسائي عنها اخيرا .

قال في جامع البيان : وروى عنه (أي الكسائي) سائر الرواة المسلمين ــ أنه أخلص فتحه وهي قراءته الاخيرة (٢) .

(١) طبقات القراء ج ٢ ص ٢٦ .
(٢) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة للداني ص ١٣١ .

فأي القولين بعد هذا نرجح ؟ آلقول بإمالة ما زكى وقد رواها قتيبة وحده ، وله إمالات مزعجة فيما ينقل ابن الجزري عن الذهبي ..؟ أم القول بعدم إمالتها وقد روى ذلك سائر الرواة المسلمين غير قتيبة ؟ لا شك أننا نرجح القول الأخير وبخاصة إذا ضممنا إلى ذلك أن الرواة في السند الثاني الذي ذكره الداني في الموضح ـ كلهم كوفيون ، لازموا الكسائي من أمثال أحمد بن جبير ، وأحمد بن أبي ذهل ، ويحيى بن زياد الفراء . وفيهم صالح ابن عاصم وهو مكثر في الرواية عن الكسائي فيما يقول ابن الجزري [1] .

بقي أن نبحث ما روى عن أبي بكر عن عاصم في امالة ما زكى .

ويكفي في تضعيف هذا الاسناد ان من أسندت اليه الرواية عن أبي بكر هو هرون . فمن هرون هذا ؟ هو هرون بن حاتم ابو بشر الكوفي البزاز مقرىء مشهور ضعفوه كما قال ابن الجزري [2]

وفي تضعيف هرون ، ما يكفي لتضعيف روايته عن ابي بكر عن عاصم، بل لقد سئل عنه أبو حاتم فقال : اسأل الله السلامة !!

وبناء على هذا التحقيق نأخذ بالمشهور في ان ما زكى لم ترد عن أحد فيها إمالة . وإذا صح أنها رواية قديمة عن الكسائي فليس العمل كما قال الداني على هذه الروايات عن هؤلاء الأئمة . وإن كان ما رواه جائزا في العربية مطردا في القياس [3] .

بقي إتماما لما رأيناه من عدم الربط بين رسم المصحف ومذاهب القراء في الفتح او الإمالة ان نناقش ما ذكر من الاحتجاج برسم المصحف في كلمات وقع الاختلاف في إمالتها عند القراء ، والجدول الآتي يحوي هذه الكلمات وما أورده (الداني) صاحب كتاب الموضح من التعليل لمذاهب القراء فيها ، ثم تتبع ذلك برأينا في كلامه ناقضين ما قرره من علاقة الإمالة بالرسم ، مدللين بأدلة اخرى نعتقد أنها الحق والصواب إن شاء الله .

---

(١) انظر طبقات القراء في تراجم هؤلاء .
(٢) طبقات القراء جـ ٢ ص ٣٤٥ .
(٣) الموضح ، ورقة ٣٢ .

الحرف	ما أوردته كتب القراءات من التعليل لمذاهب القراء فيها
يا بشراى	اخلص الفتح فيها ابو عمرو، قال الداني: ووجه ما ذهب إليه من إخلاص الفتح انه لما رسمت الفه في المصاحف الفا من اجل ياء الإضافة المفتوحة بعدهـا لئلا يجمع بين ياءين في الصورة استثقالا لاجتماعهما ـ عاملها بالفتح الذي هو منها ؛ لكي يسلم بها بذلك المعنى الذي له خولف بهـا عـن نظائرها من الفات التانيث في الرسم ، ويصح ولا يختل ، فلذلك أخلص فتحها وفتح الراء قبلها . الا نرى أنه لو امالها لإمالة ما قبلها لنحا بها نحو الياء التي فروا منها إلى الألف لما ذكرناه فخالف بذلك غرضهم في رسمهم ياءها الفا دون ياء فلذلك أعطاها الفتح الذي هو من الألف دون الإمالة التي هي من الياء ؛ موافقة لغرضهم ، ومتابعة لمذهبهم (١) .
الحوايا	روى عن حمزة الفتح في الحوايا خاصة دون نظائره، والعلة في ذلك انه لما كان قد رسم في سائر المصاحف بالألف التي الفتح منها دون اشباهه لئلا يجمع بين ياءين فـي الرسم اخلص فتحه دونها اتباعا لرسمه هذا مع جمعه بذلك بـين اللفتين . . . ومع اقتدائه في ذلك بمن ائتم به من شيوخه(٢).
هداى	أخلص حمزة فتحه (٣) ؛ وعلة إخلاصه الفتح في هداى دون نظائره أنـه لمـا رسـم في سائر المصاحف بالف دون أشباهه خصه بما هو من الألف وهو الفتح هذا مع ما اتبعه من الأثر عن ائمته (٤) .

(١) الموضح للداني ورقة ٣٦ ص ٩٥ . (٢) الموضح ورقة ٣٨ ص ١١١ .
(٣) الموضح ورقة ٣٩ ص ١٢٠ . (٤) الموضح ورقة ٤٠ ص ١٢٢ .

الحرف	ما اوردته كتب القراءات من التعليل لمذاهب القراء فيها
محياهم، محياى مثواى	اخلص حمزة الفتح في الثلاثة (١) ، وعلة حمزة في ذلك أن هذه الكلمات لما رسمت في المصاحف بالألف دون الياء عاملوها بالفتح الذي هو منها ، وكذا علة من روى الفتح في مثواى ومحياى عن الكسائي،هذا مع الاعتماد في ذلك على الأثر الثابت عن الائمة (٢) . وقد بقيت مناقشة (فأحياكم ، ثم احياهم ، فأحيا به ، واحياها ، وانه هو أمات واحيى ، وشبهه من باب الاحياء وأرجأناها الى آخر الفصل ؛ لانها تحتاج الى كلام طويل . هذا ما ذكره الداني في التعليل لفتح هذه الاحرف عند هؤلاء الائمة وكلها يدور حول : (ا) رسمها في المصحف بالألف حتى لا يجمع بين ياءين. (ب) النقل عن الائمة والاعتماد على الاثر الثابت عنهم . لم استرح لتعليل الداني برسم المصحف ، وجعله سببا لفتح الائمة هذه الكلمات ، فدعاني هذا الى البحث في الكتب التي تعرضت للرسم وتحدثت عنه ، ومراقبة الكلمات التي كتبت بالالف حتى لا تجتمع فيها ياءان ، فوجدت من هذا الضرب الكلمات الآتية :

العليا ، والدنيا ، والرؤيا ، ورؤياك ، ورؤياى ، والحوايا ، وأحيا به ، وأحياكم ، وأمات وأحيا ، ونموت ونحيا ، ومحياى ، وهداى ، ويابشراى، ومثواى ، . الخ رسمت هذه الكلمات بالألف،حتى لا تجتمع فيه ياءان (٣).

ثم كانت الخطوة التالية لهذا أن ألقيت على نفسي السؤال الآتي :

هل أمال واحد من الأئمة كلمة من هذه الكلمات السابقة .؟ فان كان

(١) الموضح ورقة ٤٠ ص ١٢٦ .
(٢) الموضح ورقة ٤١ ص ١٢٩ .
(٣) شرح العقيلة لابن القاصح ص ٨٢ .

الجواب بالايجاب فقد انتفى إذن تعليل الداني فتح « يا بشراى ، والحوايا ، ومحياى ، وهداى ، ومثواى » برسمها في المصحف الفا دون يـاء بخشية اجتماع ياءين .

وإن كان الجواب بالسلب أي إنه لم يمل واحد من الأئمة كلمة من هذه الكلمات السابقة فتعليل الداني فتح ما فتح منهـا برسم المصحف صحيح مسلم به .

وقد انتهى بي البحث إلى أن الكلمات :

العليا ، والدنيا ، والرؤيا ، ورؤياك ، ورؤياي . قراها أبو عمرو بالإمالة المتوسطة (بين اللفظين (١)) وقراها حمزة والكسائي بالإمالة المحضة (٢) .

فإذا كانت العلة كما يقول الداني في فتح أبـي عمـرو (يا بشراى) وإخلاص حمزة الفتح في (هداى ، ومحياهم ، ومحياى ، ومثواى) رسمها في المصاحف ألفا حتى لا يجمع بين ياءين ـ إذا كانت هـذه العلة صحيحة فإذن كان كل من أبي عمرو وحمزة لا يميل . العليا ، والدنيا ، والرؤيـا ، ورؤياك ، ورؤياي ؛ لأن كل كلمة من هذه الكلمات كتبت بالألف؛ حتى لا تجتمع ياءان ، وحيث قد ثبت أنهما يميلان هذه الكلمات ، بل قد ثبت ان أبا عمرو يميل (يا بشراى) إذ يحكى صاحب قرة العين عن أبي عمرو فيه ثلاثة أوجه : الفتح والإمالة وبين اللفظين والفتح عنه أشهر (٣) .

ونبه الجعبري على ان ابا عمرو لم يمل صغرى مع الراء إلا يا بشراى في وجهه الثاني (٤) .

---

(١) الموضح ورقة ٣٦ ص ٩٢ ، وانظر البهجة المرضية شرح الدرة المضيئة على هامش إبراز المعاني ص ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة يوسف قرة العين في الفتح والامالة وبين اللفظين لابن القاصح .

(٤) المسألة الاولى من اجابات الاسقاطي الحنفي عن امثلة الوزير عبدالله ملحق قرة العين ٤٧ قراءات مخطوط بدار الكتب .

وإذ قد ثبت أن أبا عمرو يميل يا بشراى ـ فتكون النتيجة التي تنتهي إليها أن تعليل **الداني إخلاص الفتح في هذه الكلمات برسم المصحف مردود في جملته وتفصيله .**

وإذا كانت هناك صلة ظاهرة بين الرسم والإمالة في كلمة (سقييها) كتبت بياءين ، واميلت ، واجتمع مع ذلك ياءان في الخط والأداء ـ فان ذلك ليس من قبيل الصلة بين الرسم والإمالة ، وإنما ذلك ـ مع النقل ـ مما يندرج تحت قاعدة عامة تمال من أصلها هذه الكلمة ، وهو الأصل اليائي فيها .

على أن أبا عمرو الداني يقول : ـ

« وجدت في بعض المصاحف المدنية ، واكثر الكوفية والبصرية (وسقياها) بياء واحدة، فلا صلة بناء على كلامه هذا بين الرسم والإمالة [1]، لأنها بياء في الرسم وبياءين في النطق بالإمالة ، وخاصة إذا علمنا أن المميلين لهذه الكلمة الكوفيان (حمزة والكسائي) والبصري (ابو عمرو) والكلمة في مصاحفهم بياء واحدة. وأهل كل قطر قراءتهم تابعة لرسم مصحفهم [2].

على أننا لو سلمنا جدلا للداني بتعليله برسم المصحف ـ فإن اجتماع الياءين في الإمالة أمر يتعلق بالنطق لا بالرسم ، وهل كل محذوف في الخط لا ينطق به في اللفظ ؟ لقد حذفوا إحدى واوى (داود) في الكتابة،خشية اجتماع واوين فهل ينطقها أبو عمرو أو حمزة (داوُد) بواو واحدة ..؟ إنما تنطق هذه الكلمة بواوين مجتمعتين في اللفظ على خلاف الرسم .

وبعد : فلا تلزم موافقة التلاوة للرسم ؛ لأن الرسم سنة متبعة قد توافقه التلاوة وقد لا توافقه .. وقال ابن الحاج في المدخل : « لا يجوز

---

(١) شرح العقيلة ص ٨٣ .
(٢) غيث النفع للصفاقسي على هامش سراج القارىء المبتدىء لابن القاصح ص ١١٤ .

لأحد أن يقرأ بما في المصحف إلا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها،أو يتعلم مرسوم المصحف وما يخالف منه القراءة ، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة » (١) .

بقيت حروف أمالها حمزة وعلل لإمالتها الداني فيما علل برسم المصحف ، وسنرى هل يستقيم له هذا التعليل فيما يأتي أو لا يستقيم ـ هذه الحروف ما كان منسوقا بالواو فقط من باب الإحياء في قوله تعالى : ـ

فأحياكم ، ثم أحياكم ، فأحيا به ، وأحياها ، وأنه هو أمات وأحيى ، وشبهه من باب الإحياء .

قال الداني في الموضح (٢) :

« فأمال حمزة من هذا الجنس ما كان منسوقا بالواو لا غير ، نحو وأحيى ، وكذلك أمال ما كان من الحيوة على وزن يفعل،اذا كان منسوقا بالواو . وأيضا نحو ويحيى من حيى ، ولا يموت فيها ولا يحيى وشبهه ؛ ليدل على أن أصل ألفه الياء ، وفتح ما عدا ذلك مما نسق بالفاء أو بثم أو لم ينسق بهما ؛ ليرى أن القراءة ليست موقوفة على القياس دون الأثر وليجمع بين اللغتين لفصاحتهما،مع أنه اتبع ايضا في ذلك مرسوم الخط . فلما كان رسم جميع ما تقدم فيه بالألف دون الياء أخلص فتحها ، إذ الفتح منها ، ولما رسم قوله ويحيى وما كان مثله مما جاء على وزن يفعل بالياء أمالها ، إذ الامالة منها .

ثم تساءل الداني بما يأتي :

فإن قيل : « فقد أمال أمات وأحيى في والنجم وهو مرسوم بالألف » . قيل « إنما الإمالة لما كان ما قبله وما بعده من ذوات الياء ، وكان قد أمال ذلك على أصله ألحقه به ، وأتبعه إياه ليسوى بين لفظ الفواصل في ذلك

(١) المصدر السابق .
(٢) الموضح ص ٢٠٢ ورقة ٥١ .

مع أن استعمال الإمالة في الفواصل آكد لكونها موضع وقف ، والوقف موضع التغيير . ألا ترى أن أبا عمرو وورشا قد استعملا فيهما من الإمالة ما لم يستعملاه في غيرهما لما ذكرناه ، فلذلك فعل حمزة في قوله وأحيا أماله لما وقع رأس آية،وفتح ما عداه لما وقع حشوا .

فإن قيل : « فهلا فعل هذا في قوله سجى وشبهه ؟ » .

قيل : « لم يفعل ذلك فيه لما كانت ألفه منقلبة عن واو ، وكانت ألف ما قبله وما بعده ــ منقلبة من ياء فلذلك لم يلحقه به ، ولم يتبعه إياه في استعماله الإمالة » .

فإن قيل فقد أمال يموت ويحيى في المؤمنين ، والجاثية ، وهما في الرسم بألف وليسا في فاصلة .!

قيل : لما أمال وأحيا في والنجم لما ذكرناه ، وأمال ولا يحيى في طه وسبح لرسمه بالياء ، ووقوعه في فاصلة ، وكان قد عطف بالحيوة على الموت بالواو في الكل ، حمل هذين الموضعين على تلك الثلاثة ، واستعمل الإمالة فيهما ؛ ليأتي ما كان من لفظ الحياة المعطوف به على الموت على لفظ واحد وطريقة واحدة،ولا يختلف وإن اختلف رسمه ، ومثل هذا معروف معهود أعني الجمع بين الشيئين في الحكم،اذا اتفقا في بعض المعاني والتسوية بين لفظيهما وإن افترقا في العلة واختلفا في الحكم .

ألا ترى أن العرب قالت: يعد والأصل يوعد فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة استثقالا لها مع ذلك . ثم قالت تعد ، ونعد ، وأعد فحذفت منه الواو أيضا ولا ياء في ذلك وهو الموجب لحذف الواو [1] ؟ وذلك ليأتي لفظ المستقبل كله على طريقة واحدة،ولا يختلف وإن افترقت العلة فيه في نظائر لذلك فكذا ما فعله حمزة فيما تقدم سواء » .

---

(١) في النسخة « الياء » وهو خطأ .

هكذا نر ان حرص الداني على التعليل برسم المصحف في امالة ولا يحيى في طه ، وسبحان جره إلى ذلك الكلام الطويل ، وفي سلسلة من التأويل والتعليل ، والأمر كله في غاية البساطة ، وتستطيع أن ترجعه الى علة واحدة دون حاجة إلى الالتجاء لرسم المصحف ، وإقحامه في التعليل ، ولا سيما وقد رأينا من قبل أن التعليل برسم المصحف لا يستقيم .

فالعلة في هذه الأحرف، مما اختاره من مذهبه في إمالة ما نسق بالواو (الاصل اليائي) ومن أجل ذلك لم يمل سجى وشبيهه على الرغم من انه مرسوم بالياء اذ ليس لهذا الفعل اصل يائي .

وأمال امات وأحيى في والنجم مع رسمه بالألف ، لأن هذا الفعل له أصل يائي ، وللأصل اليائي أيضا أمال نموت ونحيى في المؤمنين والجاثية وهما في الرسم بالألف كذلك .

ولعلنا بعد هذا الاستقصاء للحروف التي ذكر مؤلفو القراءات انها أميلت ، أو أخلص فتحها لرسمها في المصحف بالياء أو الألف « بعد بيان وجه الحق في تعليل القراء ، ومناقشتنا لهم على هذه الصورة التي سبقت ـ لعلنا مطمئنون إلى النتيجة التي نسجلها وهي أن رسم المصحف لا صلة بينه وبين هذه الحروف مفتوحة او ممالة .

وإذا كان الأمر كذلك من أن رسم المصحف لا يكشف عن الإمالة أو عدمها ، فماذا نقول في تعليل أبي شامة لعدم إمالة ألف الحياة في قوله : ـ

« وأما الحياة فلم تمل ، وإن كانت ألفها منقلبة عن ياء عند قوم ؛ لأن ألفها رسمت واوا في المصحف [1] .؟

فالجواب عن ذلك بما قال مكي بن أبي طالب[2]: فأما الحياة فلو رويت إمالة الألف لجاز ذلك؛ لأنه من الياء، وتكون إمالته من إمالة ذوات الياء..

---

(١) إبراز المعاني ص ١٥٤ و ١٨٠ .
(٢) الكشف ص ١٠٠ .

ولكن لـم ترد إمالته عـن أحد ، وذلك ليتبع نظائره نحو الصلاة والزكاة .
وقد ذكرنا في صدر هذا الفصل أن لهجة الملى والكاتب مـن الحجازيين ظهرت في رسم بعض الكلمات بالواو ، وتوهموا لشدة التفخيم أنها واو ، ونحن لا ننكر صلة رسم المصحف بلهجة التفخيم في هذه الكلمات كما بينا من قبل ، وعلى ذلك يكون كلام أبي شامه حجة جديدة لنا ، وليست علينا .

جاء في الموضح للداني [1] :

« الأصل الفتـح بدليل رسـم الصـلاة ، والزكـاة ، والحيـاة ، والنجاة ، وكمشكاة ومناة الثالثة بالواو ، وأجاب عن ذلك النحويون بأنهم رسموها كذلك على لغـة أهل الحجاز ؛ لشـدة تفخيمهم فتوهموا لشدة الفخامة أنها واو » .

فإن قيل : «ماذا نقول في«تقاته» من قوله تعالى» : «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » حيث أميلت ؟ وعلل ذلـك بأنها كتبت فـي المصحف بالألف [2] وليس ذلك اتباعا صريحا لرسم المصحف وهو ما لا نقول به .

فالرد على ذلك أنه أميل ما أميل ، وترك إمالة ما لم يمل اتباعا للرواية والنقل عن الأئمة ،إلى أن الكسائي يميل الحرفين معا في الموضعين ، وحمزة هو الذي يفصل ، فاتبع طريق الرواية والأداء ، وقد قالوا في حمزة « إنه لم يقرأ حرفا من القرآن إلا بأثر ..

وإذا كنا لا نعتد برسم المصحف سببا في إمالة ما أميل . وترك الإمالة فيما لم يمل كما بيناه من قبل ، فماذا نقول في إمالة ما رسم من ذوات الواو بالياء وأميل مثل « دحاها ، وطحاها ، وتلاها ، وسجا » ..؟

وتعليل إمالة هذه الاحرف بغير رسم المصحف ممكن ميسور ؛ فقد

---

(١) ورقة ٢٤ .
(٢) نظر ابراز المعاني ص ١٥٨

ذكر العلماء أنه يقال « دحيت » [1] فعلى هذا تكون الإمالة في دحاها سببها أنها فعل يائي ، وقد جاء في القاموس المحيط « دحيت الشيء ادحاه دحيا بسطته » [2] ، وعلى هذا فلا حاجة لنا إلى التعليل برسم المصحف ما دامت دحى لها أصل يائي .

أما بقية الأفعال « طحا وتلا وسجا » فيقول مكي في تعليل إمالتها « أن هذه الواو ترجع في بعض تصاريف هذه الافعال إلى الياء » تقول « طحى وتلى وسجى » فترجع الواو الى الياء [3] .

وكذلك إن نقلتها إلى الرباعي ترجع الواو إلى الياء ، فشابهت بذلك الالف التي أصلها الياء ، فأمالها الكسائي وحده على هذا التشبيه ، نعم على هذا التشبيه ، لا على أنها مرسومة بالياء ، وحسنت إمالتها؛لأن بعدها وقبلها ما أصل ألفه الياء ، فاتبعت لفظ ما قبلها وما بعدها من الألفاظ الممالات اللواتي أصلها الياء .

قال الداني : وأما الافعال فما كان منها على ثلاثة أحرف ، وألفه من الواو فإن القراء لا يميلونه لمكان الواو ، وذلك نحو قوله دعا وعفا ، وخلا، وبدا وعلا ، ونجا ، وشبهه إلا أربعة أحرف من ذلك فإنهم أمالوها ، اتباعا لما قبلها وما بعدها من الممال وهي دحاها ، وطحاها ، وتلاها ، وسجا [4] .

ويقول الأخفش فيما كتب بالياء وهو من الواو : « في مثل والليل اذا سجى ، وتلاها ، ودحاها ، كتبت هذه بالياء؛لأن أواخر الآى التي معها بالياء وكتبوها على مثل الذي هو معه ، يعني أن سجى قبله والضحى ، وبعده وما

---

(١) الكشف لمكي جـ ١ ص ٨٠ .
(٢) مادة دحى الجزء الرابع ص ٣٢٧ .
(٣) وهو مطرد عند سيبويه انظر الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦٠ وفصل المقال على نظم ابن غازي فواصل الممال مخطوط برقم ٦٩ قراءآت دار الكتب .
(٤) الموضح ورقة ٢٦ ص ٢٣ ، وقد ناقشنا اقوال القراء في سبب الإمالة في هذا الباب « باب دعا » من هذا البحث .

قلى ، وإن تلاها قبلها وضحاها، وبعدها جلاّها وكذلك دحاها وطحاها [1] .

والإمالة في هذه الكلمات من باب التناسب ، قال صاحب فصل المقال: التناسب مقصود كلام العرب كما في الغدايا والعشايا إذا كان قياس جمع غدوة غُدًا بالضم أو غدوات ، لكنه جمع هكذا لمجاورته العشايا وهو جمع عشية ، وعليه جاء سلاسلا وأغلالا ؛ اذ كان حق سلاسلا المنع من الصرف لكنه صرف لمجاورته أغلالا ، فكما لم نعلل تنوين سلاسل برسم المصحف وإنما العلة صرفية بما تجري عليه العرب في كلامها كذلك تعليل الامالة في طحا وتلا وسجا . بما تجري عليه العرب في سننها [2] .

وجماع القول في هذا الموضوع

ان بين الإمالة والخط توافقا كثيرا ، أساسه أن كلا من الإمالة والخط يراعى فيه الرجوع بالألف إلى الياء ، أو أنها ناشئة من الياء .

قال مكي: « ومما يقوى حسن الإمالة في جميع ما ذكرنا أن ألفه أصلها الياء ــ ان من أمال أراد اتباع الخط ، وذلك ان اكثره مكتوب في المصحف الإمام بالياء ، فمن أمال أتى بلفظ خط المصحف واتبعه ، ومن فتح قارب خط المصحف [3] » .

لكن هذا التوافق بين الامالة والخط ليس بدائم ؛ لأن للإمالة أسبابا ودواعي متعددة،وأن الذين ربطوا بين الإمالة والخط إنما لاحظوا فقط كثرة التوافق من غير أن يدققوا أو يتعمقوا ، وقد عرضنا أمثلة من بعض الآراء التي تقرر أن الإمالة تابعة للخط ، ولم تسلم على النقد والمناقشة .

والنتيجة: ان الامالة اساسها التلقي والرواية، والقراءات سنة متبعة[4]
واذن لا داعي لإدخال رسم المصحف في التعليل .

---

(١) الموضح للداني ص ٢٩ .
(٢) فصل المقال على نظم ابن غازي فواصل الممال للعوضى البدري الشافعي (١٢١٤ هـ) مخطوط بدار الكتب برقم ٦٩ قراءات .
(٣) الكشف ص ٩١ .
(٤) ابراز المعاني ص ٤٠٦ ، وهمع الهوامع جـ ٢ ص ٢٠١ .

الفصل التاسع

قد يأتي من الإمالة ما يتبع فيه الرواية

بعد ان استعرضت أسبـــاب الامالة سببا سببا ، وبينت مـــدى اتفاق القراء والنحاةِ في تطبيق هذه الأسباب على أحرف القرآن الكريم أقول : إن هناك في باب الامالة عند الأئمة القراء ما لا يندرج تحت سبب ظاهر ، وإنما يتبع فيه القارىء الرواية والنقل عن الأئمة وشيوخه ، وفي هذا دليل على أن القراءات ومنها الإمالة إنمـــا يتبع فيهـــا الأثر والرواية لا القاعدة والقياس ، وقد راقبت ما ورد من هذا الباب في الأحرف التي أمالها الأئمة القراء ، وبوبته على النحو الآتي : ــ

١ ــ « قاعدة تنطبق على حروف باعينها في القرآن الكريم فيميل قارىء من القراء بعض هذه الحروف دون البعض الآخر . »

(ا) فقد انفرد حمزة بإمالة الافعال الجـوف مما يؤول الى (فِـلت) ، فأمال جاء ، وشاء ، وزاد ، وخاب ، وطاب ، وضاق ، وزاغ انبصر ، وفلما زاغوا ، هذين الموضوعين من زاغ لا غير [1] مع أنه لم يمل سال في قوله تعالى فسالت أودية بقدرها . ولا سار في قوله تعالى « وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا » وفاءت ، وكاد ، وكالوهم .

(ب) خصص حمزة بالإمالة الاشرار ، والقرار ، وذات قرار ، والقهار ، والبوار ، كل ذلك بين الكسر والتفخيم ، قال ابو علي الفارسي ما رواه من

(١) الإبانة ورقة ١٤ .

تخصيص حمزة هذه دون ما عداها من الكلم مما كان في قياسها على صورتها فالقياس في ذلك وفي غيرها واحد ، ولعله اتبع في ذلك أثرا ترك القياس إليه ، أو أحب أن يأخذ بالوجهين ، وكره أن يرفض أحدهما ، ويستعمل الآخر ، مع أن كل واحد مثل الآخر في الحسن والكثرة [1] .

(ج) أمال حمزة من باب الإحياء ، ما كان منسوقا بالواو لا غير فأمال وأحيى من قوله تعالى « وأنه هو أمات وأحيى »،وكذلك أمال ما كان من الحيوة على وزن يفعَل إذا كان منسوقا بالواو ، ونحو ويحيى من حيى ولا يموت فيها ولا يحيى وشبهه ، وفتح ما عدا ذلك مما نسق بالفاء،أو بثم أو لم ينسق بهما نحو • فأحياكم ، وثم أحياهم ، وفأحيا به [2] .

٢ ـ « يجتمع في بعض الحروف من أسباب الامالة ما لا يجتمع في حروف أخرى من جنسها فيميل بعض القراء ما كان سبب الإمالة فيه ضعيفا ويترك امالة ما كان السبب فيه قويا • »

(ا) فقد تفرد هشام بإمالة « عابدون وعابد وعابدون » في سورة الكافرين ، قرأها ابن عامر بالإمالة في رواية الحلواني عن هشام عن أصحابه عنه • على حين أن هشاما لا يميل أول كافر به .

كما أن ابن عامر أخلص الفتح بإجماع عنه في قوله لقوم عابدين ، وأول العابدين ، ولها عابدين وشبهه ، والإمالة في ذلك أولى وأحق منها في المواضع المتقدمة لتوالي كسرتين وياء بعد الألف قبلها ، وتوالى ذلك مما يحسن الإمالة ويجلبها [3] .

(ب) انفرد الدوري بإمالة يسارع، وتسارع، ويسارعون، حيث وقع [4]. قرأ هذه المواضع بالإمالة الكسائي في غير رواية أبي الحرث ونصير [5] .

---

(١) الحجة لابي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٧٦ .
(٢) الموضح ورقة ٤٨ ص ٢٠١ وما بعدها .
(٣) الموضح ورقة ٣٢ ص ٦٥ وما بعدها .
(٤) الإبانة ورقة ١٤ .
(٥) الموضح ص ٢٤٧ .

مع أنه فتح يوارى سواة أخيه ، وفاوارى سواة أخي في المائدة ، ويوارى سوآتكم في الأعراف . والإمالة في ذلك أولى وأحسن ، لكسرة الراء التي تقوم مقام كسرتين والياء [1] .

(ج) **قرا ابن عامر** في رواية ابن ذكوان عن أصحابه عنه بإمالة الحمار في البقرة . والجمعة لا غير، ولم يمل من دياركم، ومن ديارهم ، خلال **الديار** مع أن الإمالة في دياركم قوية بسبب اجتماع الياء قبل الألف ، وكسرة الراء التي تعد بكسرتين ، وهي في ديارهم أقوى بسبب الياء،وتوالى الكسرات كسرتي الراء والهاء .

(د) روى عن أبي عمرو إمالة كل ألف بعدها راء في موضع اللام ، قال أبو علي الفارسي : أما ما روى عنه من أنه إذا كانت الراء في موضع العين كعين فاعل لم يمل ألف فاعل كقوله بارد وشراب والبارىء و .. فلعله اتبع في ذلك أثرا ، وذلك أن الإمالة في ألف فاعل إذا كانت الراء عينا أقوى من الإمالة في الألف إذا كانت الراء لاما ، لأن الكسرة في العين لازمة غير مفارقة ، وكسرة اللام قد تنقل عنها للرفع والنصب ، وبحسب لزوم ما يوجب الإمالة تحسن الإمالة ، ولا يكون غير اللازم كاللازم [2] .

(هـ) فتح حمزة زاغت عنهم الأبصار في « ص » ، وأمال ضاقت عليهم الأرض مع ان الألف الممالة هنا اكتنفها حرف استعلاء [3] .

٣ ـ « قد يكون القارىء كوفيا مثلا كالكسائي الذي هو إمام من ائمة النحاة الكوفيين،ولكنه يتبع في القراءة مذهب نحاة اهل البصرة للرواية التي تلقاها عمن قرا عليهم من شيوخه متصلا ذلك برسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

جاء في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين

---

(١) الموضح ورقة ٥٦ ص ٢٤٧ .
(٢) الحجة لابي علي الفارسي ج ١ ص ٣٧٧ وانظر الموضح ص ٦٢ .
(٣) الموضح ص ١٧٢ .

والكوفيين [1] :

«ذهب الكوفيون إلى أن « كلا وكلتا » فيهما تثنية لفظيـــة ومعنوية ، وأصل كلا ، كـــل ، فخفف اللام ، وزيد الألف للتثنية ، وزيدت التـــاء في « كلتا » للتأنيث . والألف فيهما كالالف في « الزيدان ، والعمران » ، ولزم حذف نون التثنية منهما للزومهما الإضافة » .

وـهب البصريون إلى أن فيهما إفرادا لفظيا وتثنية معنوية ، والألف فيهما كالألف في عصا ، ورمى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا « الدليل علـــى أنهمـــا مثنيان لفظا ومعنى . وأن الألف فيهما للتثنية النقل والقياس .

أما النقل فقد قال الشاعر :

في كلت رجليها سلامى واحدة كلتاهمـــا مقرونـــة بزائـــدة

فأفرد قوله « كلت » فدل على ان « كلتا تثنية » .

وأما القياس فقالوا : الدليل على أنها ألف التثنية أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر إذا أضيفتا إلى الضمير، وذلك نحو قولك « رأيت الرجلين كليهما،ومررت بالرجلين كليهما ، ورأيت المرأتين كلتيهما ، ومررت بالمرأتين كلتيهما « ولو كانت الألف في آخرهما كالألف في آخر عصا » ، ورحا « لم تنقلب كما تنقلب ألفهما نحو » رأيت عصاهما ورحاهما ، ومررت بعصاهما ، ورحاهما ، فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف « الزيدان والعمران » دل على أن تثنيتهما لفظية ومعنوية .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : « الدليل علـــى أن فيهما إفرادا لفظيا وتثنية معنوية أن الضمير تارة يرد إليهما مفردا حملا على اللفظ ، وتارة يرد إليهما مثنى حملا على المعنى » .

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الانباري مسالة ٦٢ .

وساقوا الأدلة على ذلك نكتفي منها بقوله تعالى :

« كلتا الجنتين آتت أكلها » فقال « آتت » بالإفراد حملا على اللفظ ، ولو كان مثنى لفظا ومعنى لكان يقول « آتتا » كما تقول الزيدان ذهبا ، والعمران ضربا .

وذكروا شواهد وساقوا أدلة أخرى للتدليل على رأيهم ؛ والذي يهمنا منها ما يأتي : « والذي يدل على أن الألف فيهما ليست للتثنية أنها تجوز إمالتها قال الله تعالى .

« إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما » ، وقال تعالى « كلتا الجنتين آتت اكلها » ، قراهما حمزة والكسائي وخلف بامالة الالف فيهما ؛ ولو كانت الالف فيهما للتثنية لما جازت امالتها لان الف التثنية لا يجوز امالتها .

وهكذا نرى **الكسائي** يتخذ موقفين متغايرين كل المغايرة ، فهو **نحويا** يرى أن كلتا الفها الف تثنية ، ويخالف بذلك البصريين الذين يقولون ان كلتا ألفها ألف تأنيث .

وهو **قارئاً** يميل كلتا ، وهذا يدل على أن ألفها للتأنيث متفقا في ذلك مع البصريين .

وفي هذا دليل جديد على أن القراء المميلين أمالوا الأحرف التي أمالوها متبعين في ذلك الاثر والنقل عن أئمتهم ، دون السير وراء النظر أو القياس .

فالكسائي ــ وهو إمام من أئمة النحاة الكوفيين ــ لو سار وراء النظر أو القياس ما أمال كلتا ، ولكنه اتبع ما نقل عن شيوخه القراء فرأى أن ألف كلتا للتانيث **قارئاً** ، وللتثنية **نحويا** واختلف موقفه في الحالين .

وقد قدرت قائلا : « ربما كان الكسائي النحوي قد رأى رأي البصريين في ألف كلتا للتأنيث ، وعلى هذا أمالها ــ قارئا ــ متبعا في ذلك

مذهبه نحويا من غير تخالف بين نحوه وقراءته ، وإذن يسقط استدلالنا بإمالة الكسائي لكلتا على أن القراءة إنما يتبع فيها الأثر لا القياس ، ونفقد بذلك دليلا هاما من الأدلة التي اعتمدنا عليها في البرهان على هذه القضية .

ولكني قلت : « لو اتبع الكسائي النحوي مذهب البصريين لنص أبو البركات الأنباري على ذلك كما جرت بذلك طريقته في ايراد مسائل الخلاف في كتابه الإنصاف » إذ ينص على النحاة البصريين الذين اتبعوا الكوفيين الذين خالفوا مذهب عامة الكوفيين ، واتبعوا مذهب البصريين .

وقد دعانا هذا إلى التنقيب في هذا الكتاب ، وحصر المسائل التي نص فيها على اتباع بعض الكوفيين مذاهب عامة البصريين ، أو المسائل التي اتبع فيها بعض البصريين عامة الكوفيين ؛ ليخلص عندنا أن عدم النص على موافقة الكسائي للنحاة البصريين في مسألة « كلتا » دليل على موافقته للنحويين الكوفيين ، فيما ذهبوا إليه من أن الفها ألف تثنية لا تأنيث . وبالتالي دليل على أن سبب إمالته لها قارئا اتباعه السنة والأثر لا القياس او النظر .

ورتبت هذه المسائل على النحو الآتي : ـ

١ ـ نص أبي البركات الأنباري على أن بعض الكوفيين يتفقون مع عامة البصريين .

٢ ـ ونصه على أن بعض البصريين يتفقون مع عامة الكوفيين .

٣ ـ ونصه على أن كوفيا يخالف مذهب عامة الكوفيين والبصريين .

٤ ـ بصرى يتفق مع الكوفيين، وبعض البصريين ينفرد بمذهب يخالف فيه عامة الكوفيين والبصريين .

٥ ـ وعلى أن بصريا يتفق مع الكوفيين ، وبعض الكوفيين ينفردون بمذهب يخالفون فيه عامة الكوفيين والبصريين .

فمن النوع الاول

« مسائل اتبع فيها بعض الكوفيين مذهب عامة البصريّين »

مسالة ١٤ ص ٦٦

ذهب الكوفيون الى ان «نعم وبئس» اسمان مبتدآن، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ، **وإليه ذهب على بن حمزة الكسائي من الكوفيين .**

مسالة ١٥ ص ١٨ .

ذهب الكوفيون إلى أن أفعل في التعجب نحو «ما أحسن زيدا» اسم، وذهب البصريون إلى انه فعل ماض ، **وإليه ذهب ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين .**

مسالة ١٧ ص ٩٩

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز تقديم خبر «ما زال عليها»، وما كان في معناها من أخواتها ، وإليه ذهب أبو الحسن بن كيسان ، **وذهب البصريون إلى انه لا يجوز ذلك ، وإليه ذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء من الكوفيين .**

مسالة ٢١ ص ١١٣ .

وذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز «ماطعامك إلا زيد» **وذهب البصريون إلى أنه يجوز ، وإليه ذهب ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين .**

مسالة ٤٩ ص ٢١٨

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ترخيم الاسم الثلاثي إذا كان وسطه متحركا ، وذلك نحو قولك في عنق (ياعن) وفي حجر (ياحج) وفي كتف يا كنت .

وذهب البصريون إلى أن ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف لا يجوز بحال **وإليه ذهب ابو الحسن على بن حمزة الكسائي من الكوفيين .**

ومن النوع الثاني

بعض البصريين يتفق مع عامة الكوفيين

انظر مسالة ١٨ ص ١٠٢ ، ومسالة ٣٢ ص ١٦٠ ، ومسالة ٥٢ ص ٢٢٤ ومسالة ٥٥ ص ٢٣١ ، ومسالة ٦٤ ص ٢٦٨ ، ومسالة ٧٠ ص ٢٩٠ ومسالة ٨١ ص ٣٤٣ ، ومسالة ٩٤ ص ٣٨١ .

ومن النوع الثالث

كوفي يخالف مذهب عامة الكوفيين والبصريين

مسالة ٧٤ ص ٣١٩

اختلف مذهب الكوفيين في رفع الفعل المضارع نحو يقوم زيد، ويذهب عمرو ، فذهب الأكثرون إلى أنه يرتفع لتعريه من العوامل الناصبة والجازمة **وذهب الكسائي إلى أنه** يرتفع بالزايد، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع لقيامه مقام الاسم .

مسالة ٨٣ ص ٣٤٨ .

ذهب الكوفيون إلى أن حتى حرف نصب ينصب الفعل من غير تقدير أن ، وتكون حرف خفض من غير تقدير خافض ، **وذهب الكسائي الى أن الاسم يخفض بعدها بإلى مضمرة أو مظهرة .**

وذهب البصريون إلى أنها في كلا الموضعين حرف جر، والفعل يعدها منصوب بتقدير أن ، والاسم بعدها مجرور بها .

ثم انظر مسالة ٧٦ ص ٣٦٢

ومسالة ٨٧ ص ٣٦٣ ، ومسالة ١١٤ ص ٤٦٦

ومن النوع الرابع

بصرى يتفق مع الكوفيين ، وبعض الكوفيين ينفردون بمذهب يخالفون فيه عامة الكوفيين والبصريين

انظر مسالة ٧٥ ص ٣٢٣

ومن النوع الخامس

بصرى يتفق مع الكوفيين ، وبعض الكوفيين ينفردون بمذهب يخالفون فيه عامة الكوفيين والبصريين

انظر مسالة ١١٨ ص ٤٨١ ، ومسالة ١٠٩ ص ٤٤٤

فنحن نرى أن أبا البركات الأنباري ينص في تحديد دقيق على تخالف النحاة البصريين والكوفيين ، وإتباع بعض من هؤلاء مذهب الآخرين على النحو الذي سبق ـ فلو كان الكسائي النحوي يتفق مع البصريين في ذهابهم إلى أن ألف كلتا ألف تأنيث ، لكان قد نص عليه كما نص على غيره في المسائل التي عرضناها ، وكما نص عليه نفسه في بعض المسائل كما رأينا. وإذ قد ترك النص مع جريه على ذلك في كتابه فهذا دليل على أن الكسائي يخالف مذهب البصريين نحويا ، ويتفق معهم قارئا ؛ لما أخذه عن شيوخه وأئمته في القراءة ، وسنده المتصل في ذلك بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي ذلك دليل أي دليل على أن القراءات ومنها الإمالة إنما يتبع فيها الأثر بجانب ما اهتدينا إليه من الأدلة الأخرى .

الفصل العاشر

إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف

لم يعالج سيبويه هذه المسألة في اسهاب في باب الإمالة ؛ فقد اكتفى بالنص على أنه سمع العرب يقولون:« ضربته ضربه ، وأخذته أخذه » شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الالف [1] .

أما كتب القراءات فتعالج هذه المسألة على نحو أوسع ؛ فهي تنص على أن إمالة ما قبل هاء التأنيث مذهب الكسائي،[2] والمطولات من كتب القراءات تنسب هذه القراءة أيضا الى عاصم [3] .

وقد أطلق خلف عن الكسائي ــ القياس في إمالة سائر الحروف قبل هاء التأنيث لم يستثن من ذلك ، ولا خص بعضا دون بعض .

وكذلك روى عن أبي مزاحم الخاقاني،وكان من أضبط الناس لحرف الكسائي ، وإلى ذلك يذهب أبو بكر بن الانباري وجماعة من أهل الاداء والنحويين [4] .

وكان أبو بكر بن مجاهد وأصحابه يخصون من ذلك بالفتح ما فيه قبل هاء التأنيث حرف من عشرة أحرف : منها حروف الاستعلاء السبعة وهي

(١) الكتاب لسيبويه ج ٣ ص ٢٧٠ .
(٢) انظر إبراز المعاني ص ١٧٦ ، سراج القاري ص ١٣٢ ، النشر ج٢ ص ٨٢ .
(٣) الموضح للداني ورقة ٦٥ ص ٣١٥ و٣١٦ ، الحجة لأبي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٨١ .
(٤) الموضح للداني ورقة ٦٥ ص ٣١٧ .

الصاد ، والضاد والطاء ، والظاء ، والغين ، والخاء ، والقاف ، ومنها الحاء والعين وهما حرفان حلقيان .

والعاشر الألف في غير الكلم وهي الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، والنجاة ومناة ، وهيهات هيهات ، وذات ، ولات ، واللات .

وكذلك اتفقوا على الفتح اذا كان قبل الهاء حرف من أربعة أحرف وهي (اكهر) اذا لم يكن قبل حرف من هذه الاربعة ياء ساكنة أو كسرة[1].

فعلى اطلاق خلف وابي مزاحم الخاقاني يجوز ان نميل ما قبل هاء التأنيث في الكلمات الآتية :

« طاقة والحاقة » ، وغلظة ، والصاخة ، وشاخصة ، وخصاصة ، وبعوضة ومقبوضة ، وبازغة ، وبالغة ، وبسطة ، وحطة ، ومكة ، وفطرة ، وخطيئة ، وفاكهة .

وقد قال أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي محتجا لهذا الاطلاق في إمالة ما قبل هاء التأنيث « في القرآن أعطى ، واتقى ، ويرضى ، لا خلاف في جواز الإمالة فيه وفي شبهه ، فلما أجمعوا على الإمالة لقوة الإمالة في الأطراف لأنها في موضع التغيير كانت الهاء في الوقف بمثابة الألف إذا عدمت الالف نحو مكة وفطرة » [2] .

قال أبو سعيد : « وكنت في بعض الأيام في مجلس أبي بكر بن مجاهد (رحمه الله) ورجل يقرأ عليه فوقف على الصاخة بالإمالة،فقال لي أبو بكر « يا أبا سعيد .. ما تقول في الإمالة .. فقلت له « لا تمتنع » وذكر له ما قدمت ذكره [3] .

---

(١) النشر ج ٢ ص ٨٤ وما بعدها .
(٢) النشر ج ٢ ص ٨٥ وما بعدها .
(٣) الموضح للداني ورقة ٦٧ ص ٣٣٦ .

وفي اختيار ابن مجاهد وأصحابه :

لا يمال ما قبل هاء التأنيث عند الوقف إذا كان حرف استعلاء أو أحد حروف (حاع) .

ووجه ما ذهب اليه مع حروف الاستعلاء السبعة أنها لما منعت الإمالة في الألف كان منعها إياها في الهاء المشبهة بالألف أولى وأحرى .

وأما وجه فتح هاء التأنيث في الوقف مع الحاء والعين،فلأنهما حرفا حلق وحروف الحلق من حيِّز الألف والفتح من الألف .

ووجه الفتح مع الألف أنه إذا وقف بالفتح مع الحاء والعين من أجل أنهما حرفا حلق من حيز الالف كان الوقف عليها بالفتح مع الألف أحرى[1].

وينتصر أبو عمرو الداني (٤٤٤ هـ) لقراءة الكسائي بإمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف ، فينقل انها لغة للعرب مشهورة مستعملة رواها عاصم ورواها الكسائي ، ويروى عن أبي حمدون قوله :

سمعت الكسائي يقرأ بعض هذه الحروف بإمالة ما قبل هاء التأنيث ، ثم سمعته يقول بالفتح حين سئل عن ذلك . فقلت له « فإنك تميل .. » فقال لي : هذا طباع العرضة [2] .

يعني بذلك ان الإمالة ها هنا لغة أهل الكوفة ..

قال مكي : « وهذه الإمالة في ذلك الحرف على ألسنة مولدي البصرة والكوفة اليوم » [3] .

---

(١) الموضح للداني ورقة ٦٦ و ٦٧ ص ٣٢٥ .

(٢) كذا في ص ٣٢٣ الموضح للداني وفي ابراز المعاني لابي شامة « ص ١٧٧ » العرضة وهو تصحيف ولعلها العرض ففي القاموس المحيط من معاني العرض جانب البلد وناحيته . ويؤيد ذلك بقية الخبر « يعني بذلك ان الامالة ها هنا لغة اهل الكوفة ، وقد جاءت الكلمة في النشر لابن الجزري « هذا طباع العربية » وربما كان لذلك وجه اذ ان سيبويه روى عن العرب ذلك جـ ٢ ص ٨٢ . الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الكشف ص ٩٩ والنشر جـ ٢ ص ٨٩ .

على حين ان مكي بن ابي طالب (٤٣٧ هـ) لا ينتصر لإمالة ما قبل هاء التأنيث وذلك اذ يقول :

« والاختيار فتح ما قبل هاء التأنيث ؛ لأنهـا كسائر الحروف؛ولأن الوقف عارض ، ولأنه الأصل ، ولأن القراء أجمعوا عليه غير الكسائي » .

وقد كان قول سيبويه « سمعت العرب يقولون:ضربتِ ضربه واخذت أخذه شبه الهاء بالألف ، فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف [١] . حيث ذكر تشبيه الهاء بالألف مجملا ولم يذكر وجه الشبه ــ كان ذلك مدعاة لمن جاء بعده أن يفصل هذا التشبيه .

فابن خالويه (٣٧٠ هـ) في كتابه الحجة يقول بتعاور الألف والهاء في كثير من الكلمات ، ففي أنا أربع لغات « أنا فعلت ، أن فعلت ، أنَ فعلت ، أنَهْ فعلت » [٢] .

وأبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) يقول : « لو لفظت بالياء من ضربِ لقلت قول الخليل : إن شئت (بَه) ، وإن شئت (با) فجرت الألف والهاء مجرى واحدا في هذا » .

ويقول في موضع آخر : ــ عاقدا الشبه بين الهاء والألف ــ « الحجة لمن قرأ عليهم بكسر الهاء ان الهاء من مخرج الالف ، وهي في الخفـاء نحوها ، فكما أن الكسرة أو الياء إذا وقعت إحداهما قبل الألف أميلت الألف نحوها، وقربت منها كذلك إذا وقعت قبل الهاء قربت الهاء منها بإبدال ضمتها كسرة، كإمالتهم الألف نحو الياء » [٣] .

وقد علل أبو علي الفارسي إمالة الفتحة في نحو مؤصدة نحو الكسرة في قول عاصم بما علل به سيبويه ناقلا كلامه في الكتاب [٤] ، وشرح وجه

(١) الكتاب ج ٢ ص ٢٧٠ .
(٢) الحجة لابن خالويه ص ٢٠ .
(٣) المصدر السابق « الحجة لابن خالويه » ج ١ ص ٣٥ .
(٤) انظر نص سيبويه السابق .

الشبه بين الألف والهاء فقال :

فان قلت : « كيف أمالها والالف لو كانت هنا موضع الهاء لـم تلزم فيها الإمالة ؛ لانه ليس كسرة ولا ياء ؟ » قيل : قد تمال الألف في الاواخر وإن لم يكن ما يوجب الإمالة ، وذلك نحو قولهم : « طلبنا ، ورأيت عنبا » ، فكما أمالوا هذه الألف وإن لم يكن في الكلمة مـا يوجب الإمالة كذلك أميلت الهاء تشبيها بالالف [1] .

وقد جعل مكي بن ابي طالب ٤٣٧هـ في كتابه الكشف أوجه الشبه بين الألف والهاء خمسة ، إذ يقول :

اعلم أنّ هاء التأنيث أشبهت الألف التي للتأنيث من خمس جهات .

الأولى : قرب المخرج من الألف .

الثانية : أنها زائدة كألف التأنيث .

الثالثة : أنها تدل على التأنيث كالألف .

الرابعة : أنها تسكن في الوقف كالألف .

الخامسة : أن ما قبلها لا يكون إلا مفتوحا كالألف .

فلما تمكن الشبه في الوقف بالسكون أجراها الكسائي مجرى الألف في الوقف ، فأما ما قبلها من الفتح ، فقربه من الكسر كما يفعل بألف التأنيث، إلا أن ألف التأنيث تقرب عند الإمالة نحو الياء ، وليست كذلك الهاء ، فإن وصل فتح ؛ لأنها تصير تاء فلا تشبه حينئذ الألف ، فلذلك حسن الوقوف بالإمالة ، وذلك نحو حبه، ودابه، وشبهه يقف بالإمالة عليه الكسائي »[2] .

ويجعل الداني (٤٤٤هـ) الشبه بين الألف والهاء في المخرج والمعنى كما قال مكي ، وفي اللفظ ــ حيث أبدلت منها في قول الراجز : ــ

(١) الحجة لابي علي الفارسي ج ٧ ص ٣٨٢ .
(٢) الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي ص ٩٨ .

الله نجّاك بكفي مسلمه من بعدما، وبعدما، وبعدمه

يريد وبعد (ما) [1]

وينقل أوجه الشبه هذه أبو شامة (٦٦٥هـ) في ابراز المعاني[2] ، وابن الجزري (٨٨٣ هـ) في كتابه النشر مع شيء من التفصيل [3] .

وقد ذكر الدكتور إبراهيم انيس في كتابه اللهجات العربية وما يلقى ضوءا على الشبه بين الهاء والألف،وذلك اذ يقول : ــ

« ما ظنّه القدماء « هاء » متطرفة [4] هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل ، أو كما يسمى عند القدماء ألف المد، وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة ، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة بل يحذف آخرها ، ويمتد النفس بما قبلها من صوت لين قصير : « الفتحة » ، فيخيل للسامع أنها تنتهي بالهاء .

ولقد تطورت تاء التأنيث في اللغات السامية على مراحل ليس هنا مجال تفصيلها ، وإنما يمكن الإشارة إليها فيما يلي : ــ

(ا) الاصل في علامة التأنيث هو التاء المتطرفة ، وقد ظلت على حالها في الفعل الماضي ، وجمع الإناث في اللغة العربية .

(ب) تطورت في الأسماء المؤنثة إلى حال وسطى وهي النطق بها تاء في حالة الوصل ، وحذفها في حالة الوقف .

---

(١) الموضح للداني ورقة ٦٦ ص ٣٢٢ .
(٢) ابراز المعاني ص ١٧٧ .
(٣) النشر ج ٢ ص ٨٧ .
(٤) فيما روى من أن قبيلة طيء كانت تؤثر الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بقلبها هاء،وقد سمع بعضهم يقول : « دفن البناه من الكرماه » انظر مميزات لغات العرب للشيخ حمزة فتح الله .

(ج) الطور الثالث لهذه العلامة هو حذفها مطلقا وصلا ووقفا في كل اسم مفرد مؤنث ، وقد شاع هذا الطور الأخير في معظم اللغات السامية كالعبرية ، وفي اللهجات العربية الحديثة . فحين تسمع كلمة مثل ، « الشجرة » في لهجات الكلام الآن يخيل الينا ان التاء المربوطة قد قلبت « هاء » والحقيقة انها حذفت من النطق ، وامتد النفس مع صوت اللين قبلها فسمع كالهاء [1] .

وهذا التطور في اللهجات العربية الحديثة ـ كما يقول الدكتور إبراهيم انيس يبدو طبيعيا ، ويتبع سنة التدرج ، ولكني لا أستطيع ان اتخذ من إمالة القراء لما قبل هاء التأنيث دليلا على صحة ما ذكر الدكتور أنيس إذ قال : ـ

ومما يؤيد ما نذهب إليه ـ الإمالة في هذه الأسماء ، فقد رويت في قراءة الكسائي كما شاعت في كثير من اللهجات العربية الحديثة ، وهذه الإمالة لا علاقة لها بتاء التأنيث كما زعم بعض القراء ، بل هي مجرد إمالة الفتح قبلها [2] .

فالإمالة لم تقع فيما قبل هاء التأنيث لأن الهاء حذفت ، أو أنهم يقدرون حذفها ، لا ... بل لانها شبيهة بالألف في الخفاء ، وقرب المخرج إلى غير ذينك من الاسباب التي ذكرها القراء والنحاة .

هل القارىء إذا قرأ قوله تعالى : « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو اطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . اولئك اصحاب الميمنة . والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة . واتبع مذهب الكسائي في إمالة ما قبل هاء

(١) كتاب اللهجات العربية ص ٩٩ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .

التأنيث عند الوقف فأمال العقبه ، رقبه ، مسغبه ، مقربه ... الخ هل يحذف الهاء في هذه الكلمات من النطق ؟. لا .! واذا كان حذف الهاء في مثل هذه الكلمات في اللهجات العربية الحديثة ، فإن القراء يحرصون على النطق بها ، وإن كانت تأتي خفية شبيهة بالألف في الخفاء .

وقد وقع خلاف بين القراء في الممال في هذا الباب : أهو هاء التأنيث مع ما قبلها .. أم ما قبلها هو الممال فقط ؟

والواقع أن كلام سيبويه « سمعت العرب يقولون ضربت ضربه ، وأخذت أخذه ، شبه الهاء بالالف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف » (١) مبهم غير صريح في أن الممال هو الهاء مع ما قبلها ، بل هو يحتمل الوجهين معا .

« هل الممال هو ما قبل الهاء فقط ؟ أو هو مع الهاء ؟ وكان كلام سيبويه محتملا الوجهين معا ؛ لأن قوله : شبه الهاء بالألف يحتمل أنه شبهها بها في أنه يميلها كما يميل الألف .

لكن جاء قوله : فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف ، مضعفا لذلك الاحتمال ، وإن كان لا ينفيه .

وقد ظللت غير متبين رأي سيبويه على التأكيد ، حتى قرأت لأبي علي الفارسي في كتابه الحجة ما يقطع بأن الممال في رأي سيبويه ــ الهاء وما قبلها ، وذلك حيث يقول أبو علي معقبا على قول سيبويه السابق : فإن قلت كيف أمالها والالف لو كانت هنا موضع الهاء لم تلزم فيها الإمالة ؛ لأنه ليس كسرة ولا ياء ؟ قيل : ــ

قد تمال الألف في الأواخر ، وإن لم يكن ما يوجب الإمالة ، وذلك نحو قولهم : ــ طلبنا ، ورأيت عنبا ، فكما أمالوا هذه الألف وإن لم يكن

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٧٠ .

في الكلمة ما يوجب الإمالة كذلك أميلت الهاء تشبيها بالألف (١) .

ومكي (٤٣٧ هـ) يرى أن الممال الهاء وما قبلها ، إذ يقول : الألف وهاء التأنيث لا يمكن إمالتهما إلا بامالة الحرف الذي قبلهما (٢) .

والداني (٤٤٤ هـ) يرى كذلك أن الممال الهاء وما قبلها في موضع من كتابه الموضح (٣) وفي موضع آخر يروى عن أبي حمدون أن الممال ما قبل الهاء (٤) .

وقد ذكر ابن الجزري (٨٨٣ هـ) أن سيبويه من النحاة ، والداني والشاطبي من القراء يرون أن الممال هاء التأنيث مع ما قبلها ، حيث شبهت الهاء بالألف .

وأن جمهور القراء يرون أن الممال هو ما قبل الهاء فقط ، وهو مذهب مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) (٥) ، وسبط الخياط البغدادي (٥٤١ هـ) فقد جاء في كتابه المبهج « اختلفوا في إمالة ما قبلها وفي فتحه » (٦) .

قال ابن الجزري : « والأول أقرب إلى القياس ، والثاني أظهر في اللفظ وأبين في الصورة ، ولا ينبغي أن يكون بين القولين خلاف ، ويقول ابن الجزري : إن النزاع لفظي ، فباعتبار حد الإمالة ، وأنها تقريب الفتحة من الكسرة ، والالف من الياء فان هذه الهاء لا يمكن ان يدعى تقريبها من الياء ، ولا فتحة فيها فتقرب من الكسرة ، وهذا مما لا يخالف فيه الداني ، ومن قال بقوله .

---

(١) الحجة لابي الفارسي ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .
(٢) ورقة ٧٤ من الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق التلاوة ضمن مجموعة رقم ٧٧ قراءات المكتبة الازهرية .
(٣) الموضح ص ٣١٥ و ٣١٦ .
(٤) المصدر السابق ص ٣١٧ و ٣٢٣ .
(٥) لم اجد نصا يشير الى رأي مكي في أن الممال هو ما قبل الهاء فقط في كتبه الثلاثة : الكشف ـ التبصرة ـ الابانة .
(٦) المبهج لسبط الخياط البغدادي ص ٨٦ .

وباعتبار أن الهاء إذا أميلت فلا بد أن يصحبها فـي صوتها حال من الضعف خفي يخالف حالها إذا لم يكن قبلها ممال ، وإن لم يكن الحال من جنس التقريب إلى الياء فيسمى ذلك المقدار إمالة ، وهذا مما لا يخالف فيه مكي ومن قال بقوله « فليس بين الرأيين خلاف [1] » .

وهذا توفيق مصطنع لا يثبت على المناقشة ، وإن كان ابن الجزري قد استطاع أن يدعم وجهة نظر كل فريق ، ووفق في الدفاع عن رأي الجمهور ، فلم يوفق في الدفاع عن رأي الداني ، والشاطبي ومـن لف لفهما ، إذ لا يمكن أن أسمى إمالة ما يصحب صوت الهاء حين تمال في رأي الداني ـ من حال الضعف الخفي .. وإنما أسمى إمالة لو قربت هذه الهاء إلى الياء .. وإذن لا يكون الممال الهاء ، وإنما يكون حرف آخر هـو الألف ، فخرجت المسألة من إمالة الهاء إلى إمالة الألف المبدلة من الهاء ، وهو مـا لم يقل به أحد من القراء ، بله الداني ، والشاطبي ..

وهذا التوجيه ينتهي بنا إلى أن نرجح رأي الجمهور من القراء من أن الممال هو ما قبل الهاء فقط . وهو ما قرره نلدكه في كتابه تاريخ القرآن[2] .

هذا واذا وصلت هذه الهاء ، ولم يوقف عليها فلا تجوز الإمالة فيها ـ ولا فيما قبلها ، وذلك لأنها اذا وصلت رجعت الى التاء فلـم تشبه الألف حينئذ [3] .

وقد ذكر جمهور القراء إمالة هاء السكت ، ذلك لأن ضرورة إمالتها كسر ما قبلها،وهي إنما أتى بهـا بيانا للفتحة قبلها ، ففـي إمالتهـا مخالفة

---

(١) النشر ج ٢ ص ٨٨ .
(٢) تاريخ القرآن لنلدكه ص ١٩٧ .
(٣) الموضح للداني ورقة ٦٨ ص ٣٣٧ .

للحكمة التي من أجلها اجتلبت [1]

ولأن الإمالة وقعت في تاء التأنيث ؛ لأنها تدل على ما تدل عليه الألف في سكرى ، وحبلى ، وشبههما من التأنيث ، وهو الجالب للإمالة [2] .

وقد هاجم أبو عمرو الداني أبا مزاحم الخاقاني في إجرائه هاء السكت مجرى هاء التأنيث في الإمالة في مذهب الكسائي ، ووصف ذلك بأنه غلط فاحش ، وخطأ بين .

وقال الهذلي الإمالة فيها بشعة [3] ، وقد كان ابن مجاهد لا يرى إمالة هاء السكت وما قبلها ، وقد بلغه ذلك فأنكره أشد النكير ، وقال فيه ابلغ قول [4] .

ومن الغريب أن يقف إمامان جليلان كابن مجاهد والداني هذا الموقف من قراءة رواها ابو مزاحم الخاقاني عن الكسائي ، على أن ثعلبا وابن الأنباري وغيرهما من النحويين يذهبون إلى جواز الإمالة مع هاء السكت [5] ، الى ان لذلك ـ كما يقول ابو عمرو الداني نفسه ـ ضربا من القياس ، وذلك أن سيبويه حكى الإمالة في قولهم طلبنا ، وطلبنا زيد ، ورأيت عنبا فكما أمالت العرب هذه الألف لوقوعها طرفا كذلك تمال هاء السكت [6] .

---

(١) النشر جـ ٢ ص ٨٨ .
(٢) الموضح للداني ورقة ٦٧ و ٣٢٩ .
(٣) النشر جـ ٢ ص ٨٨ و ٨٩ .
(٤) الموضح للداني ورقة ٦٧ ص ٣٣٠ .
(٥) همع الهوامع جـ ٢ ص ٢٠٣ .
(٦) الموضح للداني ورقة ٦٧ ص ٣٣٥ .

الفصل الحادي عشر

إمالة بعض الحروف

منعت إمالة الحروف عند النحاة ؛ لأنها ادوات جوامد غير متصرفة ، والإمالة ضرب من التصرف ؛ لأنه تغيير ، وقال سيبويه : « ومما لا يميلون ألفه حتى ، وإما ، وإلا » فرقوا بينها وبين ألفات الأسماء نحو حبلى ، وعطشى [1] يريد أن الحروف غير متصرفة فلا تلحقها تثنية ، ولا جمع ، ولا تغيير فلا تصير ألفاتها ياءات .

وأرى أنه لا داعي لإدخال البناء أو الإعراب فيما هو متصل بالصوت، كما لا يصح أن يعلل عدم إمالة بعض الحروف بجموده ، وعندي أن السبب في منع إمالة بعض الحروف أنه غير مستقل بنفسه ، فلا يفهم معناه إلا مع غيره ، فهي موصولة بغيرها أثناء الكلام ، إذ لا يفهم معنى « لعلى » الجارة وحدها موقوفا عليها ، وكذلك لا يفهم معنى لإلى ، ولالأما ، ومعنى قولهم : « الحرف لا يستقل بالمفهومية » أن نحو من وإلى مشروط في دلالتهما على معناهما الإفرادي ذكر متعلقهما ونحو الابتداء ، والانتهاء ، وابتدأ ، وانتهى غير مشروط فيهما ذلك [2] .

ولو كانت هذه الحروف مفردة غير موصولة تفيد معنى لساغت إمالتها موقوفا عليها؛ لأن الإمالة تغيير والوقوف موضع التغير كمايحدث في ذا[3].

(١) الكتاب جـ ٢ ص ٢٦٧ .
(٢) مختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب مطبعة كردستان العلمية القاهرة ١٣٢٦ هـ.
(٣) الموضح ص ١٢٢ .

قال الشيخ خالد الأزهري في التصريح :

« والذي سهل إمالتها يقصد (أنى ، متى ، بلى ، لا) نيابتها عن الجمل، فصار لها بذلك مزية على غيرها [1] .

أقول :« وما نيابتها عن الجمل إلا في أنها تعطى معنى مفهوما مستقلة عن غيرها ، منطوقة وحدها .

هذا هو المقياس الذي أرى أن تقاس عليه إمالة ما يمال من الحروف ، ولا داعي لما ذكره سيبويه سببا في إمالة (ذا) وهو اسم غير متمكن يلحق بالحروف إذ يقول : « وإنما جازت إمالته وإن كان مبنيا غير متمكن من قِبَل أنه يشابه الأسماء المتمكنة من جهة أنه يوصف ، ويوصف به ، ويثنى ويجمع ويصغر .. » [2] .

بل الصواب ما ذكره سيبويه أيضا في عدم إمالة (ما) من أنها **لا تتم اسما الا بصلة** [3] .

ويلحق بالحروف في هذا الأمر الاسماء غير المتمكنة ، فما كان منها قائما بنفسه عند النطق أميل ، وإلا فلا يمال مثل إمالة « متى » وأنّى بمعنى كيف، فأما ما الاستفهامية ، والشرطية ، والموصولة فلا تمال ؛ لأنها لا تستقل بنفسها ، ولا يفهم لها معنى عند النطق بها وحدها ، ولا تتم اسما كما يقول سيبويه إلا بصلة .

أقول:« ولهذا اميلت أنّى بمعنى كيف ؛ لأنها تستقل بنفسها في النطق ، ولم تمل أنّى إذا وقعت شرطا في نحو « أنّى تقم أقم معك » .

قالوا : ولما كفت بلى في الجواب ضارعت بذلك الاسم والفعل فأميلت.

---

(١) جـ ٢ ص ٣٥٥ .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ص ٦٦ جـ ٩ .
(٣) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦٧ .

ولا قيمة لمضارعة بلى الاسم والفعل في التعليل لإمالتها ، وإنما العبرة بأنها تكفي في الجواب بنفسها مستقلة عـن غيرها قال في المبهج: «وأميلت بلى لأنها قامت بنفسها في الجواب »[1] .

ومن هنا كان قطرب على صواب اذ يرى إمالة « لا » لكونها مستقلة ، وذكر الصبان حاشية على كلمة « لا » فقال (أي الجوابية[2]) : وقد سمعت إمالة لا في إمَّا لا[3] .

ولهذا أيضا أميل مـا أميل مـن الحروف والأسماء غير المتمكنة ، مما يستقل بنفسه ، أو يصح أن ينطق بـه وحده مفهما معنى مثـل (ذا) الإشارية. و (ها) ، ونا في قوله « مر بها ، ونظر إليها ، ومر بنـا ، ونظر إلينا « قالوا » : فهذه تطرد إمالتها لكثرة الاستعمال، وليست العلة كثرة أو قلة ، وإنما العلة أنه يصح أن تقف عليها مفيدة معنى .

ولهذه العلّة ايضا لو سميت بهذه الأحرف كإلاً ، جازت إمالتها[4] ، قال الخليل : لو سميت رجلا بها أو امرأة جازت الإمالة[5] .

أقول ذلك لأخلص منه إلى إمالة فواتح السور مثل الراء في « المر » والطاء والهاء في طه وغيرها[6] . فللعلة التي ذكرت أميل ما أميل من هذه الاحرف ؛ لأنها أسماء لهذه الأصوات الدالة على الحروف المحكية المقطعة ، بدليل أنك تقول « جيمك حسنة ، وصادك محكمة[7] » .

ومن هنا نتفق مع النحويين في الحكم ، وإن اختلفنا معهم في التعليل .

---

(١) المبهج ص ١٥٦ .
(٢) شرح الاشموني ج ٤ ص ٢١٧ .
(٣) ج ٢٠ ص ٣٥٧ وما بعدها .
(٤) تصريح ص ٣١٥ ج ٢ .
(٥) سيبويه ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٦) انظر النشر ففيه حصر لفواتح السور التي أميلت ج ٢ ص ٦٦ وما بعدها.
(٧) كتاب الكشف عـن علل القراءات لمكي بن ابي طالب ص ٩٠ وانظر الموضح ورقة ٥٨ ص ٢٦٠ .

الفصل الثاني عشر

موانع الإمالة

فإذا انتقلنا إلى موانع الإمالة ، وأردنا أن نتعرف مدى اتفاق القراء مع النحاة فيما يمنع الإمالة ، وفيما لا يمنع من هذه الاحرف ، وجدنا أن النحاة يقررون : أن حروف الاستعلاء تمنع الإمالة إذا كان حرف منها قبل الألف ، والألف تليه « كقاعد وغائب وخامد » ، أو بعد ألف تليها كناقد ، وعاطس ، وعاصم ، وعاضد ، وعاظل ، وناخل ، وواغل ، وكذلك إن كانت بعد الألف بحرف وذلك « نافخ ، ونابغ ، ونافق » .... أو بحرفين وذلك « مناشيط، ومنافيخ ، ومعاليق [1] » .

قالوا : «ومتى اتصلت بالألف راء مفتوحة أو مضمومة منعت الإمالة» وذلك راشد ، وفراش ، وهذا حمار ، ورأيت حمارا [2] . ويكف المانع في الأحوال الآتية :

(١) إذا كان حرف الاستعلاء مكسورا نحو « طلاب ، وغلاب ، وخيام، وصيام فإن أهل الإمالة يميلونه .

(٢) إذا كان حرف الاستعلاء ساكنا بعد كسرة نحو « مصباح وإصلاح [3] » .

---

(١) الكتاب جـ ٢ ص ٢٦٥ .
(٢) الكتاب جـ ٢ ص ٢٦٧ .
(٣) شرح الشافية للرضى ص ١٧ ، التوضيح وشرح التصريح جـ ٢ ص ٣٥٣ .

(٣) إذا اتصلت بالألف راء مكسورة ، قال سيبويه : « ومما تغلب فيه الراء قولك : قارب ، وغارم ، وهذا طارد » وكذلك جميع المستعلية إذا كانت الراء مكسورة بعد الألف [١] .

فهل استثنى القراء ما استثناه النحاة..؟ لقد وردت الكلمات « خفاف، وخلاف ، وخلال ، وخياط ، وخيام ، وخيانة ، وضعاف وضياء ، وظلال ، وقتال ، وقيام ونحو ذلك في القرآن الكريم مما كسر فيه حرف الاستعلاء [٢] .

هذه الأحرف كلها ممالة عند النحاة ، ولكن هل أميلت عند القراء ..؟ لم يمل من هذه الحروف إلا « ضعاف » في قوله تعالى « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم » إماله حمزة من رواية خلف ، والنحاة يقولون : « النصب في ضعاف جيد ، والإمالة أجود [٣] .

وقد ناقشت إمالة هذا الحرف من قبل ، وبينت أن الجمهور من أهل الأداء لا يميلونه [٤] .

فإذا انتقلنا إلى الحالة الثانية التي أمالها النحاة مع وجود حرف الاستعلاء وهي حالة « سكون حرف الاستعلاء بعد كسرة » وجدنا أن ما ورد في القرآن الكريم مما أماله النحاة،والذي ورد فيه حرف الاستعلاء ساكنا بعد كسرة ــ ما يأتي : ــ

مصباح ــ مقدار ــ وإخراج ــ وأخوان ــ وإصلاح ــ وإطعام ــ وإصباح [٥] .

فنجد أن كل هذه الأحرف غير ممالة عند القراء .

---

(١) الجزء الثاني من الكتاب لسيبويه ص ٢٦٧ .
(٢) ينظر المعجم المفهرس في تعيين سور هذه الكلمات .
(٣) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٠ .
(٤) النشر ج ٢ ص ٦٣ .
(٥) ينظر المعجم المفهرس في مواد هذه الكلمات لتعيين سورها .

على أن إمالة نحو « إصلاح » مختلف فيه عند العرب ، جاء في شرح الشافية : وأما إن كانت حروف الاستعلاء ساكنة قبل حرف الألف بعد الكسرة نحو مصباح ، ومقلاع ، ومطعان ــ فبعض العرب لا يعتد بحرف الاستعلاء ؛ لكونه بالسكون كالميت المعدوم فيميل ، وبعضهم يعتد به لكونه أقرب إلى الألف من الكسرة الطالبة للإمالة .

قال سيبويه : « كلاهما عربي له مذهب [1] » .

وكم كنت أود أن أعرف هؤلاء الذين يميلون ، والذين يفتحون من قبائل العرب ؛ فقد كان ذلك يعين على تتبع تأثر القراء بمختلف اللهجات العربية ، وتأثير القبائل المختلفة ، وظهور لهجاتها في قراءات القرآن الكريم .

فإذا انتقلت إلى الحالة الثالثة التي يكف فيها حرف الاستعلاء وهي ما كانت مثل طارد ، وقارب ، وغارم ــ نجد أن ما ورد من هذا النوع في موضعين « والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق » .

وطارد في موضعين « وما أنا بطارد الذين آمنوا » « وما أنا بطارد المؤمنين » .

وغارم في قوله تعالى : وفي الرقاب والغارمين .

وقارعة في قوله تعالى « أن تصيبهم بما صنعوا قارعة » « القارعة ما القارعة » وما أدراك مالقارعة » « كذبت ثمود وعاد بالقارعة » .

والقراء لا يميلون ما جاء على هذا الوزن مما كانت الراء فيه عينا لاسم فاعل فاؤه حرف استعلاء .

وقد اتفق القراء مع النحاة في إمالة نحو المعطى ، والوسطى ، وقال ابن الحاجب :

---

(١) شرح الشافية جـ ٣ ص ١٨

« أجيزت الإمالة في نحو المعطى ، والوسطى مع حروف الاستعلاء لقوة السبب ؛ لأن انقلاب الألف ياء لغير الإمالة مطرد ، والبنية باقية سبب قوى للإمالة فتجري عليها مع حروف الاستعلاء ايضا [1] » .

هذا كلام الرضى ، وقد وافق القراء حيث أنهم يميلون مـا كان على وزن فعلي. حتى قال الشاطبي متحدثا عن الممال (**وكيف اتت فعلى** . . . [2]) .

ومن هذا العرض نتبين أن دائرة الممال عند القراء تضيق فيما يكف المانع كما ضاقت فيما يؤدي إلى الامالة من اسباب .

---

(١) شرح الشافية لابن الحاجب ص ١٥
(٢) إبراز المعاني ص ١٦٧ .

الفصل الثالث عشر

فقه أسباب الإمالة

وهذا فصل نعقده لبيان السر في الإمالة، وانها ظاهرة من تلك الظواهر المتعددة التي شاعت في اللغة العربية ، والتي يرجع سببها في الحقيقة الى الانسجام الصوتي ، والتماس الخفة .

وتتجلى ظاهرة الانسجام الصوتي في اللغة العربية واضحة ، وقد لاحظ المتقدمون تأثير الأصوات بعضها في بعض ، ومخرج حرف على آخر، فأحسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة [1] ، والحروف المتقاربة لا تأتلف في كلمة واحدة أصلية الحروف ، فقبح على ألسنة العرب اجتماع الحاء والهاء ؛ لأن الحاء في الحلق بلزق الهاء ، ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة معنى على حدة كقول لبيد : ــ

يتمادى في الذي قلت له ولقد يسمع قولي: حيَّ هل[2]

وكذلك الحال في الحاء والعين ، قال الخليل : « العين ، والحاء ، لا يأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف ؛ لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من جمع بين كلمتين مثل حَيَّ على ، فيقال منه حيعل [3] .

ومن هنا لم تأتلف الصاد مع السين ، ولا مع الزاي في شيء من كلام العرب [4] .

---

(١) الجمهرة لابن دريد ج ١ ص ١١ .
(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٢٢٥ .
(٣) لسان العرب ج ٩ ص ٣٤٩ .
(٤) لسان العرب ج ٧ ص ١٦٧ ، ص ٢٩٨ و ج ٨ ص ٢٦٨ .

وقالوا : تأليف القاف والكاف معقوم في بناء العربية؛ لقرب مخرجيهما إلا أن تجيء كلمة من كلام العجم معربة [1] .

وقد نقل السيوطي في كتابه المزهر ما أورده أبو حيان في شرح التسهيل مما تعرف به عجمة الاسم ، وذكر من ذلك : ـ

١ ـ أن يكون أوله نون ثم راء نحو نرجس .

٢ ـ أن يكون آخره زاي بعد دال نحو مهندز .

٣ ـ أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو الصولجان والجص .

٤ ـ أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق .

٥ ـ أن يكون خماسيا ورباعيا عاريا عن حروف الذلاقة ، وهي الباء ، والراء ، والفاء ، واللام ، والميم ، والنون ، فإنه متى كان عربيا فلا بد أن يكون فيه شيء منها ، نحو سفرجل ، وقذعمل ، وقرطعب ، وجحمرش [2] .

ومن سنن العرب كذلك تقريب الأصوات أي اللينة بعضها من بعض لما في ذلك من مشاكلة ، وتجانس ، والتماس للخفة التي رغبوا فيها ومالوا إليها :

وتقريب الصوت من الصوت يكون بتغليب الحرف المتقدم على المتأخر أحيانا كما في قولهم (الحمدُ لله) ، وقد يكون بتغليب المتأخر على المتقدم أحيانا أخرى كما في قولهم الحمدِ لِله ، وسنجري على تسمية النوع الاول « مشاكلة اصطحاب » أو مشاكلة طردية ، أي ان الناطق قد اصطحب بعض صفات الحرف الأول حين النطق بالثاني . أو يطرد بعض خصائص الحرف السابق على ما يليه .

---

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٢٨٢ .
(٢) المزهر للسيوطي ج ١ ص ١٦٠ .

كما جرينا على تسمية النوع الثاني « مشاكلة التهيؤ » ، أو « مشاكلة عكسية » ، وذلك ان الناطق يتهيأ لنطق الحرف المقبل فيتأثر بشيء من خصائصه يستبق إليه قبل النطق بالحرف من سبيل التهيؤ له ، أو يعكس بعض خصائص الحرف المتأخر على السابق له عند النطق بذلك السابق .

وقد عقد ابن جني في كتابه الخصائص [1] بابا في الإدغام جعل المعنى الجامع فيه « تقريب الصوت من الصوت » ، وفسر ذلك التقريب في الإدغام بقوله : ألا ترى أنك في قطّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة ، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر . ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتازها من شدة ممازجتها للثانية بها كقولك قططَع ، وهذا إنما تحكمه المشافهة به ، فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول خلطته بالثاني ، فكان قربه منه ، وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه ، وإلحاقه بحكمه .

وذلك من قبل **مشاكلة التهيؤ** :

والمشاكلة كذلك واضحة جدا في الإدغام الكبير ؛ حين لا يكون الحرفان متماثلين كما في قال ربك ، وفي المهد صبيا ، ففي **الاول** : أدغمت اللام في الراء فصار الحرفان كراء مشددة ، وهذه **مشاكلة التهيؤ** .

وفي **الثاني** : أدغمت الدال في الصاد فصار الحرفان كصاد مشددة ، والذي يعنينا أن نبين ما بين الإدغام والإمالة من تقارب وصلة ، وهو أمر قد فطن له المتقدمون ، وسبقوا إلى بيانه وإيضاحه ، وحسن تقريره ، وقد عد ابن جني الإمالة نوعا من الإدغام ، وذلك أنه زاد في الإدغام نوعا سماه (الإدغام الأصغر) يقرب فيه أحد الحرفين من الآخر قربا مّا ، لا يصل إلى

---

(١) الخصائص لابن جنى ج ١ ص ٥٣١ .

تماثل الحرفين ، واندماج أحدهما في الآخر ، قال : ــ

« وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف ، وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك ، وهو ضروب ، فمن ذلك : ــ

(ا) الإمالة ، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت ، وذلك نحو عالم ، وكتاب ، وسعى ، وقضى ، واستقضى ، ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الالف نحو الياء ؟ ، وكذلك سعى ، وقضى ، نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها ، وعليه بقية الباب :

(ب) ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادا ، او ضادا ، او طاء ، او ظاء ، فتقلب لها تاؤه طاء،وذلك نحو اصطبر ، واضطرب ، واطرد ، واظطلم ، فهذا تقريب من غير إدغام ، فأما اطرد فمن الباب ايضا ، ولكن إدغامه ورد ههنا اتفاقاً لا قصدا وذلك أنّ فاءه طاء ، فلما أبدلت تاؤه طاء صادفت الفاء طاء فوجب الإدغام لما اتفق حينئذ ، ولو لم يكن هناك طاء لم يكن إدغام .

(ج) أن تقع فاء افتعل زايا أو دالا أو ذالا فتقلب تاؤه لها دالا كقولهم « ازدان ، وادعى ، وادكر » .

(د) أن تقع السين قبل الحرف المستعلى فيقرب منه بقلبها صادا،وذلك كقولهم في سقت:صقت ، وفي السوق : الصوق ، وفي سبقت : صبقت وفي سملق وسويق : صملق وصويق ، وفي سالغ وساخط : صالغ صاخط ، وفي سقر : صقر ، وفي مساليخ : مصاليخ .

(هـ) تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شِعير ، وبِعير ورِغيف . قال ابن جني: وسمعت الشجري غير مرة يقول زِئير الأسد. يريد الزئير وحكى ابو زيد عنهم الجنة لمن خاف وِعيد الله .

(و) وقالوا مُنتِن وهو الأصل ، ويليه مِنتِن ، ويلي هذه مُنتُن .

ومن ذلك أيضا قولهم (فعل يـ عل) مما عينه أو لامه حـرف حلق نحو سأل يسأل ، وقرأ يقرأ ، وسعر يسعر أو قرع يقرع ، وسجل يسجل ، وسبح يسبح . وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين فـي المضارع جنس حرف الحلق ؛ لما كان موضعا منه مخرج الألف التي منها الفتحة .

(ز) ومن التقريب قولهم الحمدُ لله ، والحمدِ لِله .

(ح) ومن التقريب قولهم في نحو مصدر:مزدر ، وفـي التصدير:التزدير ، وعليه قول العرب في المثل : (لم يحرم من فزدله) أصله فصد .

(ط) ونحو من ذلك قولهم مررت بمذعور وابن بور [1] فهذا نحو مـن قيل وغيض لفظا وإن اختلفا طريقا [2] .

ومن عرض ابن جني السابق في تقريب الصوت من الصوت تبين أن ذلك التقريب قد يكون باصطحاب بعض صفات الحرف الأول حين النطق بالثاني ، كما في اصطبر ، واضطرب ، ومُنتُن ، والحمد لله .

وتلك هي مشاكلة الاصطحاب او المشاكلة الطردية :

وقد يكون ذلك التقريب بتغليب المتأخر على المتقدم كمـا في سقت وصقت ، وزئير الأسد ، ومِنتِن ، والحمدِ لِله وتلك هي **مشاكلة التهيؤ او المشاكلة العكسية .**

ومشاكلة الاصطحاب قد تشعر بشيء من ضعف النشاط النطقي فإن الحرف حينما تم النطق به اصطحب المتكلم أثره ولم ينتقل عنه ، وفي ذلك شيء من التريث والبطء .

---

(١) ينطق حرف اللين بعد العين والباء بصوت بين الياء الواو
(٢) انظر الخصائص لابن جنى ج ١ ص ٥٣١ وما بعدها .

أما مشاكلة التهيؤ ، فإنها تدل على الاستعداد، والعناية للتهيؤ بالنطق قبل أن يلابس المتكلم النطق بالحرف ، وهو عندنا نوع من النشاط الفكري والنطقي معا .

وسنرى في الأمثلة التي سنعرضها فيما يلي مدى ظهور نوعي المشاكلة في أبواب اللغة العربية المختلفة بعامة ، وفي بـاب الإمالة بوجـه خاص ، متعرضين لما روى من هذين النوعين في كتب القراءات ؛ لنستطيع أن نحكم بعد ذلك أي نوعي المشاكلة أكثر ظهورا في العربية ، وأشد تفشيا وشيوعا في الكلام .

أمثلة لنوعي المشاكل في اللغة العربية

(اولا) الفواصل

قال الشيخ جمال الدين بن هشام الأنصاري (رحمه الله) قرأ السبعة « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » ، وقد كان النصب ممكنا مثله في « فيموتوا » من قوله تعالى : « ولا يقضى عليهم فميوتوا » ولكن عدل عنه لتناسب الفواصل [1] .

ومن أمثلة المشاكلة في الفواصل قوله تعالى : « وتظنون بالله الظنونا » [2] الألف التي بعد النون الاخيرة لتناسب الفواصل . ولهذا أخوات في فواصل الآيات كقوله عز وجل « قواريرا [3] ، وسلسبيلا [4] » .

والمشاكلة هنا مشاكلة استصحاب ، إذ أن الألف الأخيرة في الظنونا صفة لفتحة النون [5] وهي كذلك في قواريرا وسلسبيلا صفة لفتحة الراء واللام .

(ثانيا) في القوافي

مثالها :

١ ــ قول الراجز :

قلت وقد خرت على الكلكال يا ناقتي ما جلت عن مجالي

أراد التهيؤ ليتناسب كلكال ومجالي .

٢ ــ وما أنشده الفراء :

لو أن عمرا هَمَّ أن يرقودا فانهض فشد المئزر المعقودا

---

(١) مغنى اللبيب ج ٢ ص ٩٦ .
(٢) سورة الاحزاب آية ١٠ .
(٣) سورة الانسان آية ١٥ .
(٤) سورة الانسان آية ١٨ .
(٥) لسان العرب ج ٢ ص ٣١٠ .

أراد أن يرقد وتلك مشاكلة التهيؤ ليتناسب يرقودا ومعقودا .

٣ ــ وأنشد ايضا :

الله يعلم أنا في تَلفتنا يوم الفراق إلى إخواننا صُور
وأنني حيثما يثنى الهوى بصرى من حيثما سلكوا أدنو فأنظور[1]

أراد فأنظر وتلك من مشاكلة الاستصحاب، حيث شاكل المتأخر المتقدم.

(ثالثا) في الإتباع

١ ــ قال ابن يعيش في شرح المفصل في باب الإمالة :

والمشاكلة بين الألفاظ من مطلوبهم ، ألا ترى أنهم قالوا : ــ

« أخذه ما قدُم وما حدُث » فضموا فيهما ، ولو انفرد لم يقولوا إلا حدث مفتوحا ، أقول : وتلك مشاكلة الاستصحاب .

٢ ــ ومنه الحديث : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » والأصل موزورات ، فقلبوا الواو ألفا مع سكونها لتشاكل مأجورات، ولو انفرد لم تقلب . وتلك مشاكلة التهيؤ .

وقالوا : هو يشوب ويروب أي يدافع مدافعة غير مبالغ فيها ومرة يكسل فلا يدافع ألبتة .

جاء في اللسان : ويروب أراد أن يقول يروب أي يجعله رائبا خائرا لا شَوْب فيه فأتبع يروب يشوب [2] لازدواج الكلام [3] . كما قالوا هو يأتيه الغدايا والعشايا ، والغدايا ليس يجمع للغداة ، فجاء بها على وزن العشايا [4] (لمشاكلة التهيؤ) .

---

(١) لسان العرب ج ٢٠ ص ٢١٠ وما بعدها .
(٢) المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٦٤ .
(٣) مشكلة الاستصحاب .
(٤) انظر مادة شوب في لسان العرب .

٣ الحمدُ لله « مشاكلة استصحاب » .

الحمدِ لِله « مشاكلة تهيؤ » .

(رابعا) في الإعراب

قال ابن جني : قد دعاهم إيثار قرب الصوت إلى أن أخلوا بالإعراب فقال بعضهم : « وقا اضرب الساقين إمَّك هابلُ » [1] .

ومنه قولهم : ا جحر ضب خربٍ وذلك من مشاكلة الاستصحاب .

(خامسا) في الإعلال

وتظهر مشاكلة الاستصحاب في :

١ ــ مطيَّة أصلها مطيُوَة ــ قلبت الواء ياء فصارت مطية .
وكذلك سيد وميت وهين .

٢ ــ آمنت أصلها أأمنت ــ أبدلت الهمزة الثانية مدا من جنس حركة الأولى ، وكذلك أومن وإيمان أصلها أؤمن ، ائمان .

٣ ــ صيام ــ قيام ــ انقياد ــ اعتياد ــ سياط الأصل صِوام ، قِوام ، انقواد ، اعتواد ، سِواط . قلبت الواو ياء مشاكلة للكسرة قبلها .

٤ ــ وكذلك القول في ديمة ــ ديم وقيمة ، وقيم ، وميزان ، وميقات.

٥ ــ وفي بويع وضورب قلبت الألف واوا مشاكلة للضمة قبلها .

٦ ــ وفي قــال ومال الأصل قَوَل ومَيَل . قلبت الواو والياء ألفا مشاكلة للفتحة قبلها .

٧ ــ وفي موقن وموسر : أصلها مُيقن ومُيسر ، قلبت اليــاء واوا مشاكلة للضمة قبلها .

---

(١) الخصائص لابن جني ج ١ ص ٥٣٦ .

٨ ــ وكذلك القول في : طوبى ، وكوسى ، وخورى ، الأصل طيبى وكيسى ، وخيرى .

كما ظهرت كذلك **مشاكلة التهيؤ** في :

١ ــ بيض جمع أبيض أصلها بُيض .

٢ ــ وفي طى ، ولى ، ومقضى ، ومرمى ، إذ الاصل طَوْى، ولَوْى، ومقضُوى ومرموى ، إذ اجتمع في كل كلمة الواو والياء والاولى منهما ساكنة فقلبت الواو ياء،وأدغمت الياء في الياء .

٣ ــ وفي مقضى ، ومرمى ، عمل آخر وهو من قبيل مشاكلة التهيؤ أيضا إذ كسرت الضاد والميم لمناسبة الياء .

٤ ــ وفي يدوم ويزيد الأصل يدْوُم ، ويَزْيِد ، فنقلت حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبله ، وفي ذلك مشاكلة التهيؤ .

٥ ــ ومن يقول طِيبى أصلها طُيبى كسرت الطاء لمشاكلة التهيؤ للياء بعدها .

٦ ــ وفي مبيع الأصل مبيوع ، نقلت حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم التقى ساكنان فحذفت واو مفعول . وتحركت الياء بالكسرة لتشاكل الياء مشاكلة تهيؤ .

(سادسا) في الإبدال

ظهرت فيه مشاكلة استصحاب فيما يأتي :

إذا كانت فاء الافتعال (ص ، ض ، ط ، ظ) وجب إبدال تائه طاء . اصطبر اصلها اصتبر ، فاجتمع في هذه الكلمة صوتان مهموسان ، غير أن أحدهما مطبق ، والآخر مستفل ، فقلبت التاء الى نظيرها المطبق [1] .

ومثل ذلك يقال في اضطرب ، واطلع ، واظطلم .

(١) الأصوات اللغوية ص ١١١ .

وإذا كانت فاء الافتعال (ذ او ز) أبدلت تاؤه دالا مهملة ، مثل ازتجر ، فاجتمع في هذه الكلمة صوتان متجاوران : الأول منهما مجهور ، والثاني مهموس فتأثر الثاني بالأول وانقلب إلى صوت مجهور أيضا ، ليجتمع صوتان مجهوران [1] .

وكذلك القول في ادعى واذدكر .

هذا والقياس في الإدغام قلب الأول إلى الثاني لا العكس ، إلا اذا دعا الحال إلى ذلك نحو واذّكر .

ففي ادّكر مشاكلة التهيؤ ، وفي اذّكر مشاكلة الاصطحاب [2] .

كما ظهرت مشاكلة التهيؤ :

١ ــ في ادكر أصلها اذدكر .

٢ ــ وإذا كانت فاء الافتعال واوا أو ياء أصلية أبدلت تاء ، وأدغمت في تاء الافتعال ، وكذا ما تصرف منه .

اتعد ــ اتصل ــ اتسر أصلها او تعد ، او تصل ، ايتسر .

أخذ المتقدم حكم المتأخر (مشاكلة التهيؤ) .

(سابعا) في التقاء الساكنين

ظهرت مشاكلة الاستصحاب في : ــ

١ ــ رُدّه ــ لم يرده تخلص من التقاء الساكنين بالتحريك بالضم .

٢ ــ وكذلك في ميم جماعة الذكور المتصلة بالضمير المضموم نحو :

« كتب عليكمُ الصيام » « ولهمُ البشرى » ففي تحريك الميم بالضم مشاكلة للضمير المضموم قبلها ، وذلك استصحاب .

(١) الأصوات اللغوية ص ١٠٩ .
(٢) شذا العرف ص ١٣٦ .

٣ ــ ويجوز الضم والكسر على السواء فــي ميــم الجماعة المتصلة بالضمير المكسور نحــو بهِمُ اليوم ، ففي حالة التحريك بالكسر تكــون المشاكلة مشاكلة الاستصحاب .

وظهرت مشاكلة التهيؤ في :

١ ــ قالتُ اخرُج تهيؤ .

٢ ــ قالتِ اغزِي «

٣ ــ أنُ اقتلوا أنفسكم «

(ثامنًا) في الإمالة

١ ـ ظهور نوعي المشاكلة في الممال

مشاكلة الإستصحاب

وفي باب الإمالة تظهر مشاكلة الاستصحاب في الكلمات التي وقعت فيها إمالة لكسرة أو ياء قبل الالف مثل (وهذه أمثلة سيبويه) .

عماد ــ كلاب ــ سربال ــ شمــلال ــ الاسوداد ــ درهمــان ــ رأيت قزحا يريد ان يضربها ويريد أن ينزعهــا ــ عندهــا ــ رأيت ذها ــ معزانا ــ هما مسلمان .

خاف ــ طاب ــ هاب ــ صار .

كيال وبياع ــ السيال والضياح ــ شيبان ــ عيــلان ــ غيــلان ــ رأيت زيدا ــ بيني وبينها ــ يريدان يكيلها ــ فينا وعلينا ــ رأيت يدا ــ رأيت يدها ــ رأيت عمادا ــ رأيت عيرا .

مشاكلة التهيؤ

وتظهر مشاكلة التهيؤ في باب الإمالة إذا كان سبب الإمالة متأخرا عن الألف ، وذلك في الأمثلة الآتية : ــ

عابد ــ عالم ــ ساجد ــ مفاتيح ــ عذافر ــ هابيل .

مررت ببابه ــ أخذت من ماله ــ من أهل عاد ــ مررت بعجلاتك .

رمى ــ غزا ــ صفا ــ دعا ــ معزى ــ حبلى .

من حمارك ــ من عوارك ــ من المعار ــ من الدوار .

قارب ــ غارم ــ طارد ــ ناقة فارق ــ أينق مفاريق .
ابن قادر .

من الضرر ــ من البعر ــ من الكبر ــ من الصغر ــ من الفقر ــ من المحاذر .

فقد أميل ما أميل في الكلمات السابقة مراعاة للكسرة بعد الممال ، أو مشاكلة للياء بعده ، وهي شبيهة بالكسرة ، ولمشاكلة الراء ، وهي كما يقول سيبويه:تشبه الياء ، وقد تكون اللثغة بقلب الراء ياء .

ب- ظهور نوعي المشاكلة مع موانع الإمالة
مشاكلة الاستصحاب

فاذا انتقلنا إلى موانع الإمالة ، وطبقنا مشاكلة الاستصحاب عليها وجدنا أن الإمالة منعت فيما وقع فيه قبل الألف حرف من حروف الاستعلاء مثل :

قاعد ، وغائب ، وخامد ، وصاعد ، وطائف ، وضامن ، وظالم .

وفي ذلك مشاكلة الاستصحاب ؛ ذلك لأن هذه الحروف مستعلية ، إلى الحنك الاعلى ، فنطق بالألف مستعلية إلى الحنك الاعلى بتغليب هذه الحروف عليها (١) .

(١) انظر الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٤ .

وكذلك قالوا : هذا راشد ، وهذا فراش فلم يميلوا (**لمشاكلة الاستصحاب**) ؛ لأنهم كأنهم قد تكلموا براءين مفتوحتين ، ولما كانت الراء بمنزلة حرفين مفتوحين قويت على نصب الألفات وصارت بمنزلة القاف .

مشاكلة التهيؤ

فإذا طبقنا مشاكلة التهيؤ في موانع الإمالة وجدنا أن الإمالة منعت فيما وقع بعد موضع الإمالة ــ حرف من حروف الاستعلاء ، وتلك أمثلة سيبويه التي منعت فيها الإمالة رعاية لمشاكلة التهيؤ .

مناشيط ، منافيخ ، معاليق ، مقاريض ، مواعيظ ، مباليغ .

مررت بمال قاسم . مررت بمال ملق . هذا حمار . رأيت حمارا . من الشرق .

ورعاية العرب لحرف الاستعلاء المتأخر عن الألف في منع الإمالة أكثر من رعايتهم لحرف الاستعلاء المتقدم عن الألف في منع الإمالة ذلك لأن الإمالة في الحالة الأولى تكون بمثابة انحدار ثم تصعد ، وهو أصعب من التصعد بعد الإنحدار .

وقد فطن أبو العباس المبرد إلى المشاكلة في باب الإمالة ــ أسبابها وموانعها ــ وذلك إذ يقول في كتابه المقتضب : معنى الإمالة أن تقرب **الحرف مما يشاكله** من كسرة او ياء فإذا كان الذي **يشاكل الحرف** غير ذلك ملت بالحرف إليه فهذه الحروف ــ يريد حروف الاستعلاء ــ منفتحة المخارج فلذلك وجب الفتح [1] .

---

(١) المقتضب ج ٣ القسم الاول ص ٣٩ .

وبعد

فبالتأمل نرى أن الإمالة راجعة إلى التجانس الصوتي ، ومـا فيه من خفة ومشاكلة ، ذلك لأنه وإن كانت الألف تشبه الياء في اللين فبينهما تباعد لانفتاح الألف ، وانسفال الياء فقاربوا بينهما في الصوت [١] ، إذ أن الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب منه أسفله وأدناه فتنافرا ، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء . فصار الصوت بين بين ، فاعتدل الأمر بينهما ، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر [٢] .

وقد رأينا أن التجانس الصوتي الذي دعا إلى الإمالة هو الذي دعـا أيضا إلى الإدغام .

قال سيبويه [٣] :

« وإنما أمالوها أي الألف ـ للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا : صدر فجعلوها بين الزاي والصاد ، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة ؛ لأن الصاد قريبة من الدال فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال نحـو قولك فـي مصدر : مزدر ، فقربوا الصاد مـن صـوت الزاي؛ليتناسب الصوتان ولا يتنافرا ، وذلك أن الصاد مقاربة الدال في المخرج ، وبينهما مع ذلك تناف وتباين في الأحوال والكيفية [٤] .

« فالصاد مستعل مطبق مهموس رخو فأشربوه صوت الزاي ليوافق الدال في الجهر والشدة [٥] » .

---

(١) شرح الجمل الكبيرة لابن الضائع .
(٢) شرح المفصل ج ٩ ص ٥٥ .
(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٥٩ .
(٤) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ ص ٥٥ .
(٥) شرح الجمل الكبيرة لابن الضائع .

وربما كان السر في ميل اللغة العربية إلى الناحية الموسيقية وما فيها من التماس الخفة أنها نشأت لغة شفوية ــ لم تقيد بقيود الكتابة ، واكتفى فيها ــ أول الامر ــ بالسماع والنطق ، ومتى اقتصر أمر اللغة على السماع وعلى النطق وعلى الإنشاد ، فلا بد أن تعنى كل العناية بهذا الانسجام الصوتي الذي ظهر فيما ظهر في الإمالة على النحو الذي رأيناه من قبل .

ويختلف الحكم بقوة الإمالة أو ضعفها ، وقوة الفتح أو ضعفه كذلك على حسب ما في الإمالة أو الفتح من تجانس صوتي يدعو إلى سهولة النطق ، فكلما كان التجانس أظهر كان يستدعيه من فتح أو إمالة أقوى، ونعني بهذا أن الفتح والإمالة يدعو ما في الصوت من تجانس ، وما في النطق من سهولة .

ومن هنا أميلت الألف في كل من عالم وعماد ؛ لأن الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء فصار الصوت بين بين فاعتدل الأمر بينهما، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر [1] .

ومن هنا أيضا لم تمل الألف في نحو « صاعد وقائم » اذا كان قبلها أو بعدها حرف من حروف الاستعلاء ، لأن هذه الحروف مستعلية إلى الحنك الأعلى [2] : أي أن الصوت يستعلى عند النطق بها إلى أعلى الحنك [3] ، وإذا خرجت الألف من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى فلما كانت الحروف مستعلية ، وكانت الألف تستعلى، وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم [4] .

وقد جاء في كتب النحاة قواعد عامة في قوة الإمالة أو ضعفها ترجع

(١) شرح المفصل جـ ٩ ص ٥٥ .
(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦٤ .
(٣) شرح المفصل جـ ٩ ص ٦٤٠ .
(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٦٤ .

إلى قوة ذلك التجانس او ضعفه [1] :

(ا) فكلما كثرت الكسرات كان أدعى للامالة لقوة سببها .

(ب) ومتى بعدت الكسرات عن الألف ضعفت ؛ لأن للقرب من التأثير ما ليس للبعد .

(ج) ولاجتماع أسباب الإمالة حكم ليس لانفرادها :

١ ــ فالإمالة في حلبلاب أقوى من شملال ؛ لأن الكسرتين أقوى من الكسرة الواحدة .

٢ ــ وعماد أقوى من شملال : لقرب الكسرة من الألف .

٣ ــ وشملال أقوى من أكلت عنبا ؛ لقوة الحاجز بالحركة .

٤ ــ وأكلت عنبا أقوى من الإمالة في (درهمان)؛لأن بين كسرة الدال من « درهمان » وبين الألف ثلاثة أحرف ، فلما كانت الكسرة أقرب إلى الألف فالإمالة له ألزم ، والنصب جائز .

(د) وكلما كثرت الكسرات والياءات كانت الإمالة أحسن من النصب .

١ ــ فديباج وديماس ، أقوى من شيبان وعيلان .

٢ ــ الإمالة للياء الساكنة من نحو شيبان وعيلان أقوى من الإمالة للياء المتحركة من نحو الحيوان والميلان ؛ لأن الساكنة أكثر لينا .

وجاء في التصريح : « الإمالة في شيبان أقوى من جادت يداه فانخفاض الصوت بالساكنة أظهر منه في المتحركة لقربها من حيز المد » .

٣ ــ الإمالة للياءين نحو كيال وبياع أقوى من نحو البيان وشوك السيال ؛ لأن الياءين بمنزلة علتين وسببين .

---

(١) انظر المفصل ج ٩ ص ٥٦ .

(هـ) إمالة ما الياء فيه مجاورة للألف من نحو السيال والبيان أقوى من إمالة ما تباعدت عنه .

(و) الكسرة اللازمة أقوى من العارضة .

فهي في نحو عائد ، وسالم ، وعماد أقوى منها في مررت ببابه ، وأخذت من ماله .

وهنا يجدر بنا أن نناقش ابن يعيش في عبارته التي يقول فيها [1] :

« وقالوا عالم ، فأمالوا للكسرة بعدها كما أمالوا قبلها ، إلا أن الكسرة إذا كانت متقدمة على الألف كانت أدعى للإمالة منها إذا كانت متأخرة ، ذلك أنها إذا كانت متقدمة كان في تقدمها تسفل بالكسرة ثم تصعد إلى الألف ، واذا كانت الكسرة بعد الالف كان في ذلك تسفل بعد تصعد ، والانحدار من عال أسهل من الصعود بعد الانحدار » [2] .

فإذا كان الانحدار من عال أسهل من الصعود بعد الانحدار كانت الإمالة في عالم أقوى منها في عماد ؛ لأن سهولة النطق في الأولى أبين وأظهر .

وإذا كنا نرى النحاة يقولون : « إن منع الإمالة بحروف الاستعلاء المتأخرة في نحو عاضد أقوى من المنع بالمتقدم عنها كما في ضامن ؛ لأن التصعد بعد التسفل أصعب عندهم من التسفل بعد التصعد » [3] .

فمعنى هذا أن الإمالة فيما فيه تسفل بعد تصعد أقوى منها فيما فيه تصعد بعد تسفل :

وهذا الذي انتهينا إليه يتفق مع سنة اللغة العربية في ظهور التأثر

(١) قد نقل هذه العبارة جرنيرت في كتابه Die Imala ص ٥١ ولم يفطن لما فيها من بعد عن التحرير والتدقيق .
(٢) شرح المفصل ج ٩ ص ٥٦ .
(٣) التصريح ج ٢ ص ٣٥٣ .

الرجعي فيها غالبا [1] أي أن الصوت الأول يتأثر بالصوت الثاني فيكون تأثير المتأخر من الحركات والحروف على المتقدم منها ، ففي عالم يكون التأثير للكسرة في اللام على الألف قبلها ، وفي عماد يكون التأثير في الألف (الفتحة الطويلة) التي تطلب من الفم أعلاه على الكسرة في العين قبلها . وهذا يجعل الإمالة في الأولى (عالم) أقوى منها في الثانية (عماد) على عكس ما يقرر ابن يعيش .

والأمر كذلك في الفتح : ففي عاضد يكون التأثير لحرف الاستعلاء المتأخر ، على حين أنه في ظالم يكون التأثير للام المكسورة على حرف الاستعلاء،وهذا يجعل الفتح في عاضد أقوى منه في ظالم [2] ، ومن أجل ذلك جعلوا للمنفصل المتأخر من حروف الاستعلاء أثرا دون المتقدم المنفصل، فلا يميلون بمال قاسم ، ويميلون في ضبط عالم [3] .

وطبّق هذه النظرية كذلك في الإدغام :

فقد قالوا « صبقت في سبقت ، وصقت في سقت ، وصويق في سويق » غلبوا المتأخر وهو القاف على المتقدم وهو السين ، فجعلت صادا ، كما غلبوا السين في قسور ، وقست ، فلم يقولوا قَصْوَر ، وقِصت [4] :

وقد لحظ ذلك أبو علي الفارسي من قبل إذ يقول : رأينا الحركات إنما تلقى على الحروف التي تكون قبل الحروف التي تنقل منها ، ولا تنقل إلى ما بعد الحروف المنقولة منها الحركة : ألا ترى إلى بعت ، وقلت ،

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٠٩ .
(٢) وقد قال ابن يعيش : حرف الاستعلاء إذا كان قبل الألف كان أضعف في منع الإمالة مما إذا كان بعده ، ولذلك تميل نحو قادر وغارب ، ولا تميل نحو فارق وسارق . انظر شرح المفصل جـ ٩ ص ٦١ .
(٣) شرح الشافية جـ ٣ ص ١٩ و ٢٠ .
(٤) شرح المفصل جـ ٩ ص ٦٠ وانظر الكتاب جـ ٢ ص ٢٦٥ .

وخفت ، وهبت ، وظلت ، حيث نقلت حركة العين فيها ؟

وكذلك يمد ويعف ويشم إنما ينقل إلى الحرف الذي قبل الحرف المنقولة منه الحركة (١) .

وإذن لا يسلم على المناقشة نص ابن يعيش الآتي : ـ

« الكسرة إذا كانت متقدمة على الألف كانت أدعى للأمالة منها إذا كانت متأخرة » . بل العكس كما انتهينا إليه هو الصحيح أي أنّ .

« الكسرة إذا كانت متاخرة عن الألف كانت أدعى للإمالة منها إذا كانت متقدمة » .

وسنتتبع نوعي المشاكلة عند القراء في أبواب مختلفة بعامة، وفي الإمالة بخاصة، لنستهدي بالقراء **ومذاهبهم في أي ضربي المشاكلة أقرب إلى طبيعة النطق العربي ، وسنن العرب الفصحاء .**

وبعد

فلو اختبرنا الأبواب التي أمالها القراء من ألفاظ القرآن الكريم لوجدنا أنها في الأعم الأغلب من قبيل **مشاكلة التهيؤ .**

(ا) فامالة الألف المنقلبة عن ياء في اسم أو فعل من قبيل **مشاكلة التهيؤ :** مثل هدى .

(ب) وإمالة ألف التأنيث التي على وزن فعلي من قبيل **مشاكلة التهيؤ .**

(ج) وإمالة الضحى والقوى والعلى من قبيل **مشاكلة التهيؤ** كذلك ويصح أن تجعل (الربا) **قبيل هذه المشاكلة ،** ، باعتبار أنه يصح تثنيتها بالياء .

(د) وإمالة كل ألف متطرفة بعدها راء متطرفة مجرورة من قبيل **مشاكلة التهيؤ .**

---

(١) الحجة ج ١ ص ٣٤٦ .

(هـ) ومذهب الكسائي في إمالة ما قبل هاء التأنيث **من قبيل هذه المشاكلة.**

(و) والإمالة في (صاد النصارى ، وسين الكسالى ، وتاء اليتامى) **من هذا القبيل** ايضا .

(ز) ولا تنطبق مشاكلة التهيؤ على مذهب حمزة في الأفعال الجوف . إلا اذا اعتبرنا أن من أسباب إمالة هذه الأفعال ـ ما عدا خاف ـ أن ألفها يائية ، وإذن تكون الإمالة في تلك الافعال من قبيل **مشاكلة التهيؤ** أيضا او يصح ان تسمى مشاكلة **للمح الأصل .**

ويلحق بهذا ما سماه النحاة والقراء « الإمالة للإمالة » ، وقد رأينا في فصل سبق أن إمالة ما يصير إلى ياء من قبيل التناسب ـ أو المشاكلة . وهي الافعال التي تضمنها البيت .

وحرف **تلاها**، مع **طحاها**،وفي سجى وحرف **دحاها** وهي بالواو تبتلا

وظاهرٌ ان الامالة في **تلاها** وفي **سجى** من قبيل **مشاكلة التهيؤ** ؛ حيث تقدمتا عن الكلمات التي أميلت من أجل الأصل اليائي [1] .

واما **طحاها ، ودحاها** فقد سبقت كما أتبعت بما أميل من أجل الأصل اليائي، فيصح فيهما أن تكون الإمالة فيهما من قبيل مشاكلة الاستصحاب **او التهيؤ . قال الداني :**

وقد تحملوا للإتباع ما قد تركوه في غيره .

ـ ألا ترى أنهم قالوا : هو يِحِب، فكسروا الياء من أجل كسرة الحاء..

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر أمَّن لا يِهِدِّي . فكسروا الياء في المضارع أتباعا لما بعدها مما كسروه لالتقاء الساكنين ولولا الإتباع لم يكسروا الياء ؛ لأن من يقول منهم أنت تِعلم بكسر التاء ، وهي لغة بني تميم، وأسد ، وقيس لا يقول هو يِعلم بكسر الياء استثقالا للكسرة عليها ، فإذا

---

(١) الموضح ورقة ٢٧

كانوا قد أمالوا للإمالة ، وتحملوا للإتباع ما قد تركوه في غيره كما شرحناه دل ذلك على صحة ما ذهب إليه الكسائي في إتباع ذوات الواو ما قبلها وما بعدها من ذوات الياء [1] .

وقد قرأ القراء بالإمالة للإمالة في عدة كلم من ذلك : صاد النصارى ، وتاء اليتامى ، وسين أسارى وكسالى ، وكاف سكارى : أمالها بعض القراء لإمالة ما بعدها [2] وتلك **مشاكلة التهيؤ** .

كذلك أمالوا الألف الأولى من تراءى من أجل إمالة الألف الثانية المنقلبة عن الياء . ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعد النون من (إنا لله) لإمالة الألف من (لله)ولم يمل (وإنا اليه راجعون) لعدم ذلك بعده [3] . وذلك أيضا من قبيل **مشاكلة التهيؤ** .

وهكذا نستطيع أن نحكّم القراء في هذا الباب أيضا، فنسترشد بهم في ان **مشاكلة التهيؤ** أكثر شيوعا على الألسنة من **مشاكلة الاصطحاب** ، وقد راينا أن مذهب أبي عمرو في الإدغام ينتسب كله إلى مشاكلة التهيؤ كذلك. ومما يزيدنا يقينا بهذه النتيجة أن مشاكلة التهيؤ كما قررنا ذلك من قبل ــ دالة على نشاط فكري ونطقي معا ، وذلك شيء يتصل بما اتصف به العرب من فصاحة وقوة بيان .

---

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ٢٠٣ .
(٢) النشر لابن الجزري ج ٢ ص ٣٤ .

الفصل الرابع عشر

الأبواب التي وافق القراء النحاة في إمالتها

١ ــ أمال حمزة والكسائي وخلف كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن في اسم أو فعل كالهدى ، والهوى ، والفتى ، والعمى ، والزنا ، وأتى ، وأبى ، وسعى ، ويخشى ، ويرضى ، وأخفى ، واشترى ، ومثوى ، وفآوى ، وأدنى ، وأزكى .

٢ ــ وكل ألف تأنيث على فعلى بضم الفاء وكسرها وفتحها كطوبى ، وبشرى ، وقصوى ، وإحدى ، وذكرى ، وسيما ، وموتى ، ومرضى ، والسلوى ، وألحقوا ، بذلك موسى ، وعيسى .

٣ ــ وكل واوى كسر أوله أو ضم : « الربا كيف وقع ، والضحى ، والقوى ، والعلى » .

٤ ــ أمال أبو عمرو والكسائي كل ألف متطرفة بعدها راء متطرفة مجرورة نحو الدار ، والنار ، والقهار ، والغفار .

٥ ــ وأمال حمزة الألف من عين الفعل الماضي في « زاد ، وشاء ، وجاء ، وخاب ، وران ، وخاف ، وزاغ ، وطاب ، وضاق ، وحاق » .

٦ ــ وأمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها وقفا مطلقا بعد خمسة عشر حرفا يجمعها :(فجئت زينب لذود شمس) وفتحها بعد عشرة أحرف ، وهي:

أحرف (جاع وحروف الاستعلاء) التي هي « خص ضغط قظ » .

وأما الأحرف الباقية وهي « أكهر » فأميل إن كان قبل كل منها ياء ساكنة ، أو كسرة متصلة ، أو متفصل بساكن مميل ــ وألحق بهاء التأنيث هاء السكت على النحو الذي ذكر في موضعه .

٧ ــ بعض حروف الهجاء في فواتح السور .

هذه هي الأبواب التي أمالها القراء متفقين فيها مع النحاة ، وسنرى أن القراء ــ أمالوا ما كان أكثر دورانا على ألسنة أكثر القبائل شهرة .

الفصل الخامس عشر
الوقف على الممال

الامالة تجيء في الوقف كالوصل في نحو سعى وشبهه مما أميل ليدل على أن أصل الالف الياء ، وكذلك يمال نحو كلاهما ؛ لأن الإمالة لكسرة ظاهرة ، وكذلك الوقف بالإمالة إذا كانت الكسرة مقدرة في نحو خاف . وزاد ؛ لأن الكسرة منوية في الوقف كالوصل [1] .

وكل ما أميل في الوصل لعلة تعدم في الوقف ، أو قرىء بين بين نحو بمقدار ، بدينار [2] ، ومن الناس ، برب الناس ، وشبهه مما تقع الراء والسين فيه طرفا فهو ممال أيضا ، وبين بين في الوقف لكون الوقف عارضا [3] .

وهذا الذي سبق لا خلاف فيه بين النحاة والقراء ، أما الذي وقع فيه الخلاف فهو « **الوقف على ما دخل التنوين فيه على الفٍ اصلها الياء** » نحو مفترى ، ومصلى ، وعزى ، وشبهه اذا كان المنون في موضع نصب ، اما اذا كان في موضع رفع كقوله تعالى « سحر مفترى [4] » او موضع خفض كقوله تعالى « عن مولى [5] » فلا خلاف في أن الوقف يكون بالإمالة .

---

(١) كتاب الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي بن ابي طالب ص ٩٦ .
(٢) اوردنا مذاهب القراء والاحتجاج لها في الوقف على ذلك الحرف وشبهه في حديثنا عن الامالة من اجل الراء فليراجع .
(٣) التيسير لأبي عمرو الداني ص ٥٣ .
(٤) سورة القصص آية : ٣٦ .
(٥) سورة الجاثية آية : ٤١ .

ومبعث الخلاف في المنون إذا كان في موضع نصب هو « هل الألف اللاحقة للأسماء المقصورة في الوقف بدل من التنوين ، أو هي بدل من لام الكلمة ..؟ » أو بعبارة أُخرى « أي الألفين حذف .. آلألف المبدلة من التنوين ، أم الألف المبدلة من الياء .. » ؟

أما الكسائي ومن معه من الكوفيين فيقولون:« إن المحذوفة هي المبدلة من التنوين ، وذلك لأنك لما وقفت عوضت من التنوين ألفا ، وقبلها ألف أصلية ، عوض من الياء الاصلية ، فحذفت الثانية ، لالتقاء الساكنين ، وبقيت الأولى وهي الأصلية ، وكان بقاء الأصل أولى من بقاء « الزائد » ، فأميلت في الوقف ؛ لأنك تقف على ألف أصلها الياء [1] .

وقد قال قوم من النحويين منهم أبو علي الفارسي « إن الموقوف عليه في هذا الألف التي هي عوض من التنوين ؛ لأن الألف الأصلية قد كان أذهبها التنوين فلا رجوع لها مع وجود التنوين ، أو وجود ما هو عرض من التنوين ، وأيضا فإن الحذف للساكنين إنما يحذف فيه الأول أبدا ، وأيضا فإن التنوين دخل بمعنى دليل الانصراف ، ولا يحذف ما يدل على المعنى ، فالوقف على الألف التي هي عوض من التنوين في حال النصب بلا إمالة فيه على هذا القول [2] .

هذه نظرة النحاة البصريين وذلك دليلهم ، وإليك نظرة القراء والنحاة الكوفيين :

جاء في النشر : قال في جامع البيان : « وأوجه القولين ، وأولاهما بالصحة قول من قال « إن المحذوفة هي المبدلة من التنوين لجهات ثلاث : ـ

(ا) انعقاد اجماع السلف من الصحابة (رضي الله عنهم) على رسم ألفات هذه الأسماء ياءات في كل المصاحف .

---

(١) الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي ص ٩٦ .
(٢) الكشف ص ٩٦ .

(ب) ورود النص عند العرب، وأئمة القراءة بإمالة هذه الألفات في الوقف.

(ج) وقوف بعض العرب على المنصوب المنون نحو رأيت زيد ، وضربت عمرو بغير عوض من التنوين . حكى ذلك سماعا منهم الفراء والأخفش [1] .

وعلى هذا يوقف على المنون المنصوب في مثل مصلى في قوله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » [2] بالإمالة أيضا .

فالخلاف نحوي لا تعلق للقراء به ، قال مكي : « والذي قرأنا به هو الإمالة في الوقف على هذا كله ، على حكم الوقف على الألف الأصلية ، وحذف ألف التنوين ، والله أعلم . »

على أن نصوص النحاة تبين أنهم يميلون الألف إذا كانت مبدلة من التنوين في الوقف ، فهم يميلون رأيت عبدا ؛ تشبيها لألفها بألف نحو حبلى حيث كانت أخيرا [3] .

وقال سيبويه في الكتاب: واعلم أن الذين قالوا : «رأيت عبدا» الألف ألف نصب ، ويريد أن يضربها يقولون « هو منا وإنا الى الله راجعون » وهم بنو تميم ، ويقوله أيضا قوم من قيس وأسد ممن ترتضى عربيته [4] .

فإذا كانوا يميلون الألف من المبدلة من التنوين في الوقف فلا محل لخلافهم في ألف المنون المقصور .

---

(١) النشر الجزء الثاني ص ٧٦ .
(٢) سورة البقرة آية ١٣٥ .
(٣) شرح الشافية للرضى ص ١٣ .
(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٢ .

الفصل السادس عشر

مذاهب القراء في الإمالة، وظهورها في كتب النحاة

اشتغل كثير من النحاة بالقراءات ، وتصدروا للإقراء ، كما اشتغل كثير من القراء بالنحو ، فكان الواحد منهم يجمع إلى علمه بعلل القراءات بصرَه بمسائل النحو، فابن كثير المكي (١٢٠ هـ) [١] أحد القراء السبعة المشهورين يقرأ عليه عيسى بن عمر (١٤٩ هـ) [٢] ، والخليل بن احمد (١٦٠ هـ) [٣] ، وكل واحد من هذين إمام راسخ ، وحجة ثبت في اللغة والنحو . وأبو جعفر الرواسي[٤] ، ، وعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩ هـ)[٥] كل له قدم راسخة في العربية والقراءات ، وكان الكسائي ــ كما يقول ابن الانباري ــ أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم في الغريب ، وأوحد الناس في القرآن. كذلك كان يحيى بن زياد الفراء (١٠٧)[٦] ، وثعلب (٢٩٢هـ)[٧]، والأخفش الكبير (٢٩٢هـ) [٨] الذي كان شيخ الإقراء بدمشق ضابطا ثقة

---

(١) طبقات القراء ص ٤٤٣ .
(٢) نزهة الألباء ص ١٣ .
(٣) نزهة الألباء ص ٢٩ .
(٤) بغية الوعاة ص ٣٣ .
(٥) طبقات القراء جـ ١ ص ٥٣٥ .
(٦) نزهة الألباء ص ٦٦ .
(٧) نزهة الألباء ص ١٥٧ .
(٨) طبقات القراء جـ ٢ ص ٣٤٧ .

نحويا مقرئا قال أبو علي الأصفهاني عنه : « صنف كتبا كثيرة في القراءات والعربية » .

وابن مقسم (٣٥٥ هـ) [١] وابن خالويه (٣٧٠ هـ) [٢] وابـو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) [٣] وابـن سنان أبـو عمرو بـن أبي جعفر الحيرى النيسابوري (٣٧٨ هـ) [٤] .

وأبو ليلى الصيرفي (٤٢٧ هـ) [٥] ، ومحمد بـن إبراهيم الجذامي الغرناطي ابن الحاج (٥٤٠هـ) [٦] ، وابـن حميد مكبر الانصاري المرسي البلنسي (٥٨٧ هـ) [٧] .

وأبو عبد الله الغافقي الأندلسي البلنسي (٦٠٨ هـ) [٨] ، وابن سعادة أبو عبدالله الشاطبي (٦١٤ هـ) [٩] ، وابن الحاجب (٦٤٦ هـ) [١٠] ، وابن مالك (٦٧٢ هـ) [١١] ، وابن عنان (٦٨٣ هـ) [١٢] .

وأبو عبدالله الطرسوني (٧٣٠ هـ) [١٣] ، وأبـو حيـان الأندلسي (٧٤٥) [١٤] الخ . ولو ذهبنا نستقصي لطال حبل الكلام ، ويكفي أن نعلم أن سيبويه شيخ النحاة قـرأ على أبي عمرو بن العلاء [١٥] ، ولا يزال بعض

---

(١) بغية الوعاة ص ٣٦ .
(٢) طبقات القراء جـ ١ ص ٢٣٧ .
(٣) نزهة الالباء ص ٢٠٥ .
(٤) بغية الوعاة ص ٩ .
(٥) بغية الوعاة ص ٣٧ .
(٦) بغية الوعاة ص ٤ .
(٧) بغية الوعاة ص ٢٨ .
(٨) بغية الوعاة ص ٢٢ .
(٩) بغية الوعاة ص ١٢ .
(١٠) طبقات القراء جـ ١ ص ٥٠٨ .
(١١) طبقات القراء جـ ٢ ص ١٨ .
(١٢) بغية الوعاة ص ٥ .
(١٣) بغية الوعاة ص ١٨ .
(١٤) طبقات القراء ص ٢٨٥ جـ ٢ .
(١٥) طبقات القراء ص ٢٨٨ جـ ٢ .

العلماء في زماننا يجمعون إلى جانب تمكنهم في النحو ـ معرفتهم بالقراءات ـ وما ذلك إلا لأن الصلة بين النحو والقراءات متينة ، حتى عد ابن الجزري (٨٨٣ هـ) فيما يلزم المقرىء « أن يحصل جانبا من النحو والصرف بحيث أنه يوجّه ما يقع له من القراءات ، وهذا من أهم ما يحتاج اليه » [١] .

وهذا السيوطي (٩١١ هـ) يذكر في مقدمة كتابه بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ أنه اعتمد على طبقات القراء لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)، وطبقات القراء للحافظ أبي عبدالله الذهبي (٧٤٨هـ) ، وذيل طبقات القراء للعفيف المطري ، فجمع كل ما تضمنته هذه الكتب من ترجمة نحوى [٢] .

وإذا كانت هذه صلة ما بين النحاة والقراء ، فهل نجد صدى لها من اهتمام المؤلفين النحاة في كتبهم بمذاهب القراء ؟

إننا نجد صورة ضئيلة غير واضحة المعالم في كتاب سيبويه (١٨٣هـ)، فغاية ما يظفر به الباحث في كتاب سيبويه من هذا الباب قوله:« وقرأها بعضهم خاف » [٣] .

وقوله : « إذا كان من كلامهم هي المنابر كان اللازم لهذا الإمالة ، إذا كانت الراء بعد الألف مكسورة ، وقال : « كانت قوارير قوارير من فضة » [٤] .

فإذا انتقلنا إلى القرن الثالث الهجري ، وبحثنا في المقتضب للمبرد (٢٨٥ هـ) . وجدنا أن هذه الصورة لا تزال غير واضحة المعالم ؛ فالمبرد لا يورد في باب الإمالة مما يتعلق بمذاهب القراء إلا قوله « وقد قرأ القراء » ذلك لمن خاف مقامي » » [٥] .

---

(١) منجد المقرئين لابن الجزري ص ٤ .
(٢) بغية الوعاة ص ٣ .
(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٦١ .
(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٦٩ .
(٥) المقتضب للمبرد ج ٣ القسم اولال ص ٣٦ .

ولم يتعرض أبو القاسم الزجاجي (٣٤٠ هـ) في كتابه الجمل لمذاهب القراء في باب الإمالة ، وظلت مذاهب القراء بعيدة عن كتب النحاة على هذا النحو حتى الزمخشري من نحاة القرن السادس الهجري (٥٣٨ هـ) فيضيف إلى ما ذكر سيبويه والمبرد في هذا الباب قوله في المفصل : ــ

(ا) وإنما أميلت العلى ، لقولهم العليا [١] .

(ب) وقرىء « كانت قوارير » [٢] .

(جـ) وأما قولهم « الربا » فلأجل الراء [٣] .

(د) وقد أميل (والشمس وضحاها) وهي من الواو لتشاكل جلاها ويغشاها [٤] .

* * *

ولم يتحدث الزمخشري (٥٣٨ هـ) في المفصل ، وبالتالي ابن يعيش (٦٤٣ هـ) في شرحه للمفصل عن إمالة الفتحة قبل هاء التأنيث وهي مذهب الكسائي ، مع أنه تحدث عن إمالة الفتحة في قولهم « من الضرر، ومن الكبر ومن الصغر »،مع أن هذا الباب لم يمل عند أحد من القراء . وهذا دليل عندنا على أن التأثر حتى عصر الزمخشري لم يكن قد ظهر ظهورا واضحا في كتب المؤلفين النحاة .

فالأنباري من علماء القرن السادس (٥٧٧ هـ) في كتابه أسرار العربية لم يتعرض للأحرف الممالة في القرآن الكريم أو المفتوحة إلا في تعليله لعدم الإمالة في قوله تعالى « دار القرار » [٥] .

ويظهر أن ابن يعيش (٦٤٣ هـ) كان مقيدا بالمفصل للزمخشري ، وإن

---

(١) المفصل جـ ٩ ص ٥٧ .
(٢) المصدر السابق جـ ٩ ص ٦١ .
(٣) نفس المصدر جـ ٩ ص ٦٣ .
(٤) نفس المصدر جـ ٩ ص ٦٤ .
(٥) اسرار العربية ص ١٦٢ .

كان تأثره بمذاهب القراء يبدو واضحا في حديثه عن درجات الإمالة ، وتعرضه لمذهب عاصم وحمزة في إفراط الأول في الفتح ، وإفراط الآخر في الكسر [1] وفي قوله في شرح المفصل : ومن الممال قوله تعالى : « وانظر إلى حمارك » [2] .

والحق أن ظهور مذاهب القراء في كتب النحاة يبدو واضحا منذ القرن السابع الهجري ، ولولا أن ابن يعيش كان مقيدا بالزمخشري لظهر لنا هذا التأثر أشد وضوحا مما هو عليه الآن في شرح المفصل .

خذ مثلا ابن الحاجب (٦٤٤هـ) في الشافية ، والرضى (٦٨٨ هـ) شارحها ، فإننا نرى ابن الحاجب يتحدث عن الإمالة للإمالة في الفواصل ، نحو « والضحى » [3] كذلك تكلم عن مذهب الكسائي (وإن لم يصرح باسمه) في إمالة ما قبل هاء التأنيث في الوقف في شيء من تفصيل قريب من مذاهب القراء ، فذكر ملخصا لها إذ يقول : « وقد يمال ما قبل هاء التأنيث في الوقف ، **وتحسن في نحو رحمة ، وتقبح في الراء نحو كدرة ،** وتتوسط في الاستعلاء نحو حقة [4] .

ويأتي الرضى (٦٨٨ هـ) شارح الشافية فيتناول مذهب الكسائي في إمالة ما قبل هاء التأنيث ـ بإفاضة لا تقل عن تناول القراء لهذه المسألة وأفاضتهم فيها ؛ فيصرح باسم الكسائي ، ومذهبه ، وما روى عنه ، وما اختاره له أهل الآداء [5] .

ثم نراه يتحدث عن الإمالة في نحو : «القوى ، والعلى ، والضحى» في القرآن ؛ فيذكر مذهب القراء في إمالة هذه الكلمات حيث يقول :

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش جـ ٩ ص ٥٤ .
(٢) المصدر السابق جـ ٩ ص ٦١ .
(٣) شافية ابن الحاجب جـ ٣ ص ١٣ .
(٤) شافية ابن الحاجب جـ ٣ ص ٣٤ .
(٥) شرح الشافية جـ ٣ ص ٢٥ .

وأما نحو : « القوى ، والعلى ، والضحى » ــ في القرآن ــ فإنما جاز إمالتها لكونها رءوس الآى ، فتناسب سائر الكلم التي هو رءوس الآى ، وفيها سبب الإمالة [1] .

وإلى جانب ذلك يذكر مذهب النحاة في أن هذه الكلمات تثنى بالياء عند بعض العرب .

ويتحدث ابن الضائع (٦٨٠هـ) في شرح الجمل الكبيرة للزجاجي عن الإمالة للإمالة ، فيتعرض للقراء والقراءات ، وأن ليس كل ما يجوز في كلام العرب يقرأ به ، وأن القراءة سنة متبعة لا تجوز إلا بالرواية ، وذلك حيث يقول :

« وشبيه بهذا أي بالإمالة ــ إمالتهم رءوس الآى ، يميلون في ذلك ما ليس فيه موجب ؛ لأن فيها ماله موجب ــ نحــو والضحى ، والليل اذا سجا ؛ لأن ما بعده يمال وفيه موجب ، ففي قوله تعالى : وما قلى موجب مرعيٌّ عند القراء؛لأنهم لا يميلون الألف المنقلبة عن الواو في الأفعال نحو غزا ، وإن كان فيها موجب ، غير ان القراء لم يميلوها ؛ لأن الالف لم ترد الإمالة فيهاءوليس كل ما يجوز في كلام العرب يقرأ به ؛ لأن القراءة سنة متبعة لا تجوز إلا بالرواية ، فلذلك نقضي بأن إمــالة الضحى ، وسجــى لإمالة قلى ، ولولا ذلك لقضينا بأن إمالة الضحى لسجى ... » .

وهكذا نجد مذاهب القراء بادية الملامح والقسمات في كتب النحاة منذ القرن السابع الهجري، وتبلغ هذه الظاهرة مداها عند أبي حيان من نحاة القرن الثامن (٧٤٥ هـ) في ارتشاف الضرب ، حيث تظهر مذاهب القراء في باب الإمالة على النحو الآتي :

(١) إن كان الإدغام من كلمتين نحو قراءة أبي عمرو : الابرار ربنا ،

---

(١) شرح الشافية ج ٣ ص ١٢ وما بعدها .

والنهار لآيات ، فقال النحاة من أهل البصرة : لا تمال أصلا ، وقال الأكثرون : تمال ، وهو مذهب ثعلب ، وهو الصحيح [1] .

(٢) ومع كون الياء من أقوى أسباب الإمالة لم يأخذ بهـا القراء فيما علمنا إلا في قراءة ورش:الخيرات، وحيران، وإلا في قراءة قتيبة:المال [2] .

(٣) وفي حديثه عن الإمالة فـي الأفعال الجوف مثل بـ « طـاب ، وجاء ، وشاء » [3]. ونرى ان تمثيله بجاء ، وشاء ، جريا منه وراء القراء فالإمالة في هذين الفعلين رواهما ابن ذكوان .

(٤) إمالة ما قبل هاء السكوت في نحو كتابيه جائزة عند ثعلب ، وابن الأنباري ، وقد قرأ به أبو مزاحم الخاقاني في قراءة الكسائي [4] .

(٥) وقال : رويت الإمالة في الناس مطلقا عن أبي عمرو والكسائي [5].

(٦) إمالة تاء اليتامى ، وسين أسارى ، وكسالى ، وكاف سكارى ، وصاد النصارى لإمالة ما بعدها ، وقرأ بذلك بعض القـراء ... وأمـالوا والضحى لإمالة وما قلى [6] .

(٧) وأمال حمزة والكسائي « حتى » إمالة لطيفة [7] .

وعلى النحو الآنف الذكر كان التقارض بين النحاة والقراء في أحكام الإمالة،نرى ذلك في كتاب التوضيح لابن هشام (٧٦١ هـ)، وفي كتاب جمع الجوامع وشرحه الهمع للسيوطي (٩١١ هـ) . وقد رأينا قبل كيف جرى القراء وراء النحاة فـي كثير مـن تدوينهم أحكـام الإمالة . منـذ ذلك التاريخ .

---

(١) الارتشاف ص ٢٠٦ .
(٢) ارتشاف الضرب ص ٢٠٨ .
(٣) الارتشاف ص ٢٠٩ .
(٤) الارتشاف ص ٢١٠ .
(٥) الارتشاف ص ٢١١ .
(٦) الارتشاف ص ٢١١ .
(٧) الارتشاف ص ٢١١ .

الفصل السابع عشر

علامات الإمالة الخطية

أورد كاتب مادة إمالة في دائرة المعارف الاسلامية ما يأتي :

وقام جدال كبير حول ما إذا كانت الإمالة ترسم في الخط العربي بياء في آخر الكلمة ، ولكن لا يمكن القطع في ذلك برأي ، وإن كان بروكلمان في كتابيه Grammatik, Grundriss قال إنها كانت ترسم كذلك، ولا توجد في المخطوطات علامة خاصة بها ، أما في الكتب المطبوعة فيدل عليها عادة بألف تحت الحرف الممال (١) .

وإن كان الجدال قد قام حول رسم الإمالة بياء في آخر الكلمة ، فربما كان مبعث هذا الجدال أن بين الإمالة والخط توافقا كبيرا أساسه أن كلا منهما يرجع فيه إلى الياء في كثير من الكلمات الممالة .

وقوله : « ولا توجد في المخطوطات علامة خاصة بها » صحيح إن أريد بالمخطوطات « المخطوطات القديمة » فالخط الكوفي الذي كتبت به المصاحف في القرن الأول الهجري خال من النقط ، والشكل ، وكان من الطبيعي أن يخلو أيضا من هذه العلامات التي تشير إلى الإمالة ؛ إذ كانت تلك تميز اختلافا أدق في النطق من الحركات الأصلية (٢) .

(١) مادة « إمالة » دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) تنظر الصحيفة المصورة من المصحف الكوفي من سورة طه ص ٣٢٦ .

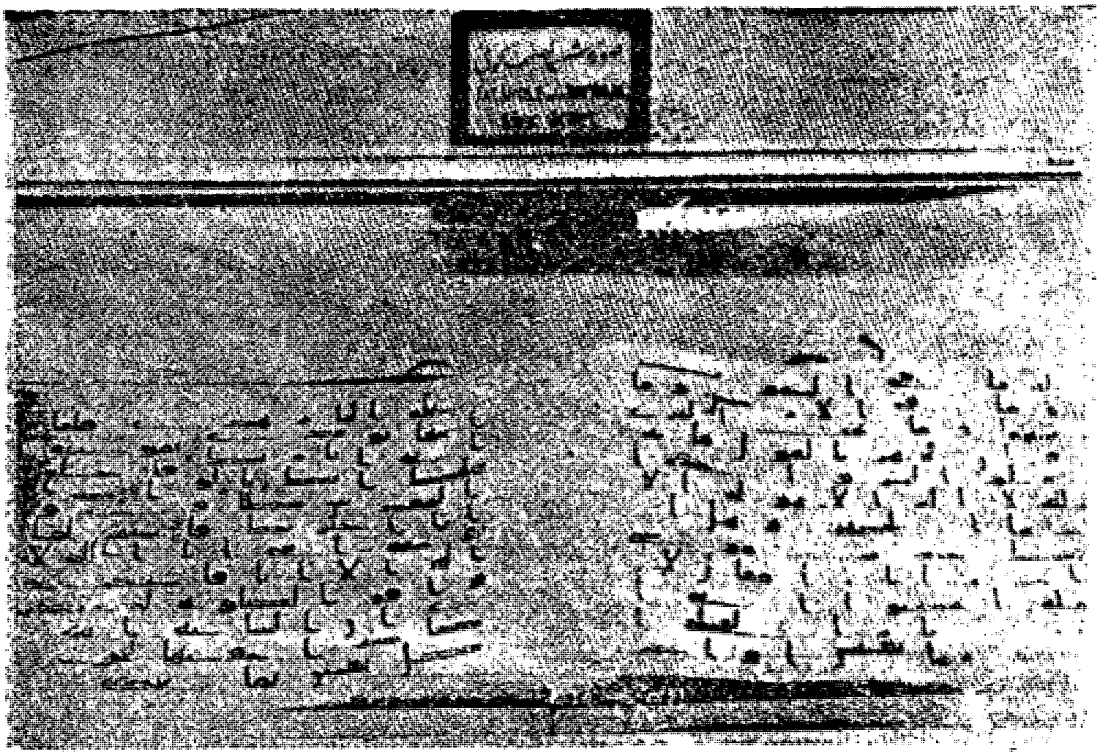

عرفنا قبل بهذه الصورة الشمسية للمصحف الكوفي . ونعرض هاتين الصفحتين منه من سورة طه من قوله تعالى : « له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » إلى قوله تعالى : «كل نفس بما تسعى» . للتدليل على أن الخط الكوفي في ذلك العهد كان خاليا من النقط والشكل وبالأولى كان خاليا من علامات الإمالة الخطية .

في القرن الثاني (١٨٢ هـ)

وقد جاء في الكتاب لسيبويه : وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول : « كيال كما ترى فيميل ، والظاهر من قوله كما ترى : أن سيبويه أراد أن يسجل الإمالة في كيال ونحوه كتابة ، ولكن لا نجد أثرا لذلك التسجيل الكتابي في الكتاب لسيبويه [١] .

(ا) وبعد القرن الثاني كانت علامة الإمالة النقطة الحمراء تحت حرف يتبعه الألف التي هي مكان الإمالة ونجد هذه العلامة في النسخ المتأخرة . (انظر الصورة الفوتوغرافية ص ٣٧٣ ، ٣٧٥) وقد كتبت في القرن الثاني عشر سنة ١١٤٢هـ (١٧٢٩ م) [٢] .

والصورة (ص ٣٧٧ ، ٣٧٩) وقد كتبت بخط مغربي كذلك ــ في القرن الثالث عشر الهجري [٣] ، وعلامات الإمالة في هذه النسخة على مذهب ورش ، إذ يفتح رءوس الآى المتصلة بضمير ، وهو مذهب الحسن بن غلبون [٤] .

ويلاحظ أن الفتحة فوق الحرف الممال متروكة [٥] .

(ب) وقال Noldeka : كثيرا ما كانت حركة الكسرة مستعملة كعلامة الإمالة « اتّى نصارِى ، جِاء ، هدِيكم ، كِفرين » .

وقد رأينا هذه العلامة في كتاب المقتضب للمبرد ، في نسخة مكتوبة في القرن الرابع الهجري (٣٤٧ هـ) [٦] إذ جاء في ذلك الكتاب من كلام المبرد ، وبخط الكاتب « تقول هذا ناقد يعني بالفتح

---

(١) الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٢٦٢ .
(٢) ٢٥ مصاحف فهرس دار الكتب .
(٣) مصاحف فهرس دار الكتب ٣٨٨ ــ ١ .
(٤) ارشاد المريد الى مقصود القصيد على هامش ابراز المعاني ص ١٦٥ .
(٥) Die Imala ص ٤٤ .
(٦) فهرس دار الكتب .

ولم يجز نـاقد من أجل القاف [1] » وكانت هذه الحركة غالبا مكتوبة بلون آخر .

(ج) وفي بعض النصوص وجدت علامة الإمالة كما يلي :

( ) إشارة للامالة المحضة ، و ( ) [2] إشـارة للامالة المتوسطة (بين بين) ، والغالب ان ذلك كان من عمل القراء ، لأنهم كما ذكرنا هم الذين يهتمون بدرجات الإمالة [3] .

(د) وفي مخطوطة اخرى نجد علامة الإمالة هكذا ...

(هـ) وقد وجد فـي المفصل رمز ( ) تحت الحرف الممال كعلامة للامالة كمثل عالِم .

وقد ذكر « جرنيرت » أن علامة الإمالة في رءوس الآى وفي فواتح السور هكذا ( ) فوق الحرف كمثل طـه وكهيعص [4] .

والواقع أن هذه العلامة تدل على الألف المتروكة فـي المِصاحف العثمانية ، مع وجوب النطق بها [5] .

فتراها على الكلمات الآتية : على [6] والى فرعون [7] يموسى [8] . وذلك الكتب [9] .

(و) وفي المصحف المصري (١٣٣٧ هـ) نجد النقطة الخالية الوسط المعينة الشكل تحت الراء في قوله تعالى « باسم الله مجريها » تـدل على الإمالة .

— قالوا « وكان النقاط يضعونها دائرة حمراء فلما تعسر ذلـك فـي المطابع عدل إلى الشكل المعين » .

---

(١) المقتضب للمبرد ج ٣ ص ٤٠ .
(٢) Die Imala ص ٤٤ .
(٣) انظر الفصل الثاني .
(٤) Die Imala ص ٤٤ .
(٥) انظر خاتمة المصحف المصري (١٢٣٧ هـ) .
(٦) سورة الشعراء آية ١٠٩ .
(٧) سورة طه آية ٢٢ .
(٨) آية ٤٠ .
(٩) سورة البقرة آية ٢ .

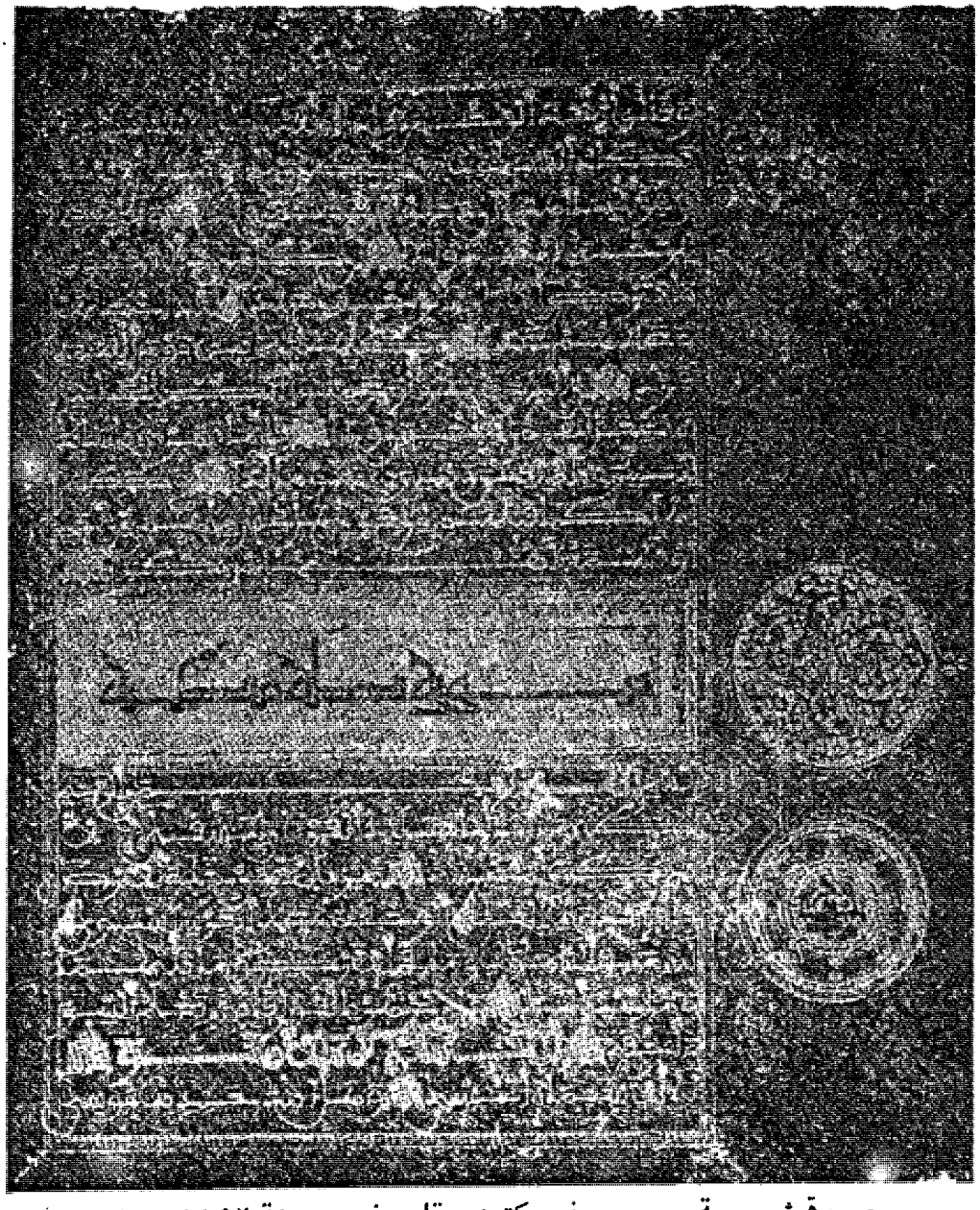

صورة شمسية من مصحف مكتوب بقلم مغربي سنة ١١٤٢هـ «١٧٢٩م» برسم الشريف علي نجل امير المؤمنين وخليفة السلطان محمد بن عبدالله بن السلطان اسماعيل .

٢٥ مصاحف دار الكتب

وفي هذا المصحف علامة الامالة الخطية نقطة حمراء تحت الحرف الممال على اليمين قليلا ويلحظ أن فتحة الحرف الممال متروكة .

(انظر كذلك صورة اخرى من هذا المصحف في الصفحة التالية)

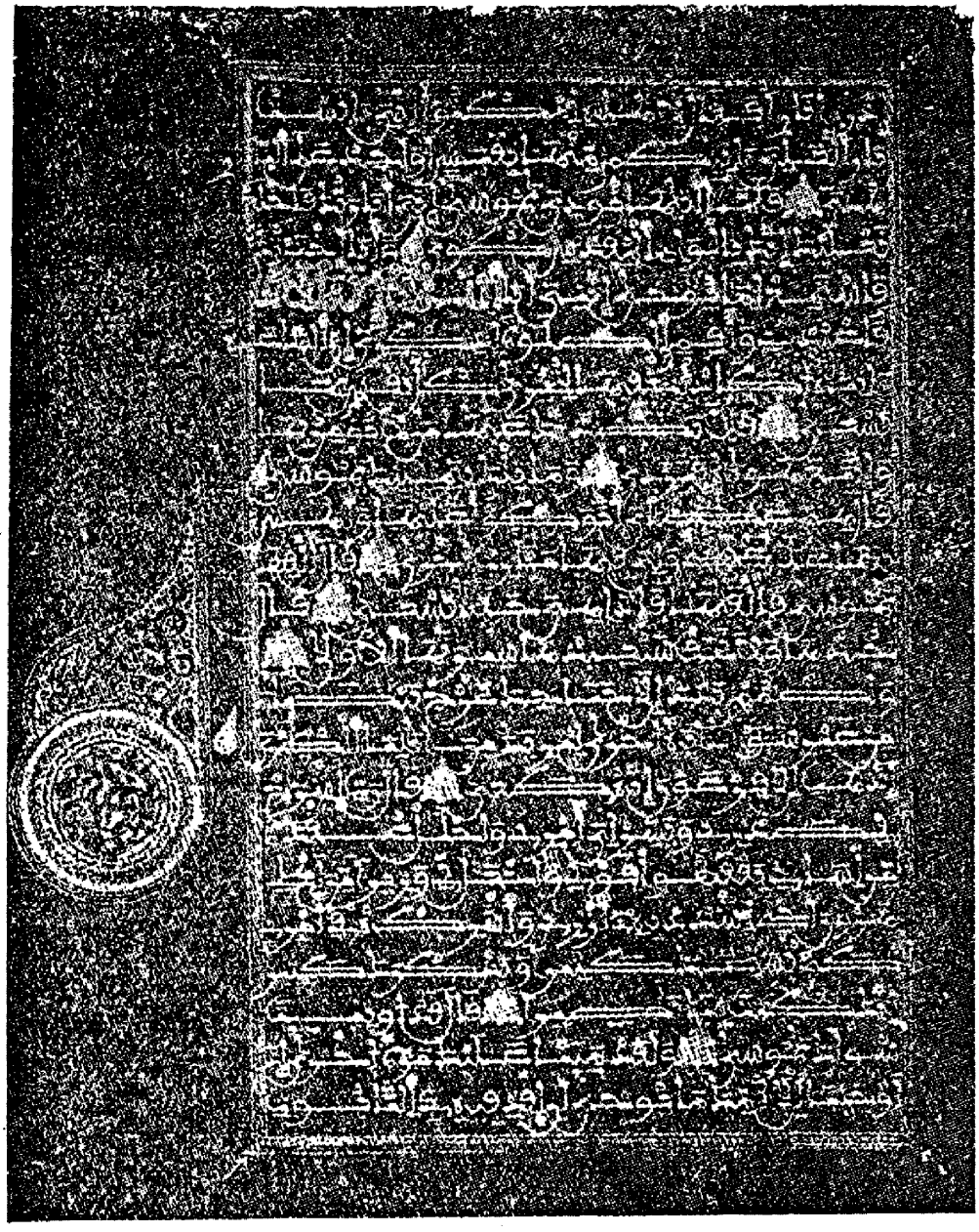

صورة شمسية من مصحف شريف مخطوط بقلم مغربي ومضبوط بالشكل ، وقد كتب هذا المصحف في القرن الثالث عشر الهجري . «٣٨٨ـا»
مصاحف ـ معرض المخطوطات
بدار الكتب المصرية

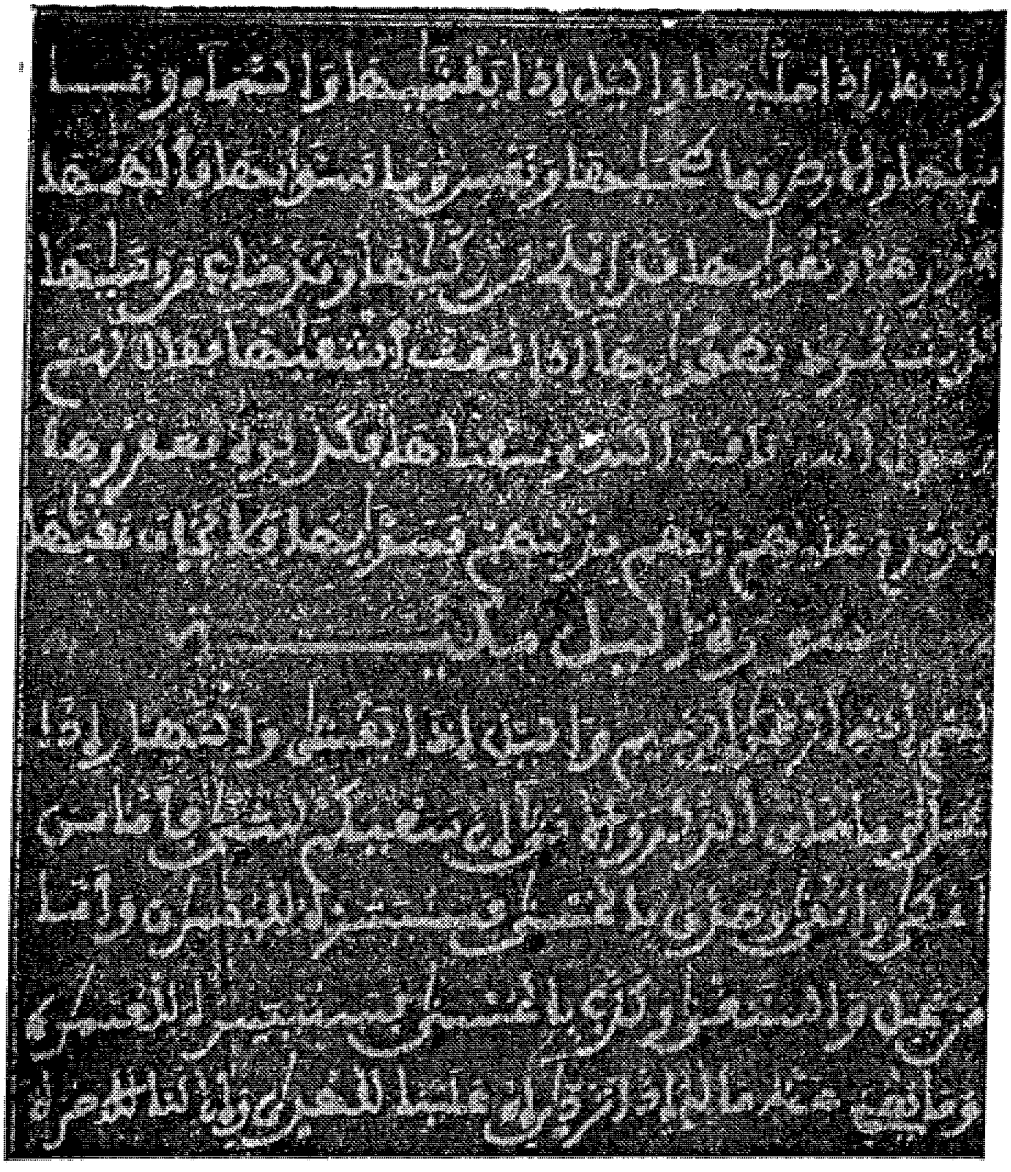

صورة شمسية من مصحف مكتوب بخط مغربي في القرن الثالث عشر الهجري

وعلامة الإمالة نقطة حمراء تحت الحرف الممال على اليمين قليلا كما يلحظ أن فتحة ذلك الحرف دائما متروكة . والإمالة هنا على مذهب ورش ؛ إذ يفتح رءوس الآى المتصلة بضمير

انظر هذه الصفحة والصفحة التالية

(ز) وقد رأينا في بعض المصاحف كلمة (مل) مكتوبة بالمداد الأحمر علامة الإمالة فوق الحرف الممال .

والدكتور خليل عساكر في تقرير له إلى لجنة اللهجات بالمجمع ــ موضوعه « طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية » يجعل للامالة علامات ابتكرها [1] . فالعلامة (ـــ) = e توضع تحت الحرف للفتحة الممالة .

والعلامة (و) = ü الضمة المكسورة في مثل كلمة بوع في إحدى الروايات التي ورد في :

ليت شبابا بوع فاشتريت .... إلــى علامات أخرى وردت في التقرير المذكور .

والذي دفع صاحب التقرير إلى ابتكار هذه العلامات رغبته في تسجيل نصوص اللهجات تسجيلا كتابيا يعتمد على الحروف والحركات ــ وإن كان ذلك لا يستطيع أن يعطينا صورة صادقة صحيحة من أية لهجة كما يقول الدكتور عساكر نفسه ، واذا كان الأمر كذلك فلا بد ــ كما يقول الدكتور عساكر ايضــا ــ أن نلجأ إلــى الآلات الحديثة لتسجيل الأصوات مثــل الدكتافون الذي يسجل الصوت ثم يحكيه [2] .

---

(١) التقرير المذكور ص ٣ .
(٢) التقرير ص ٦ .

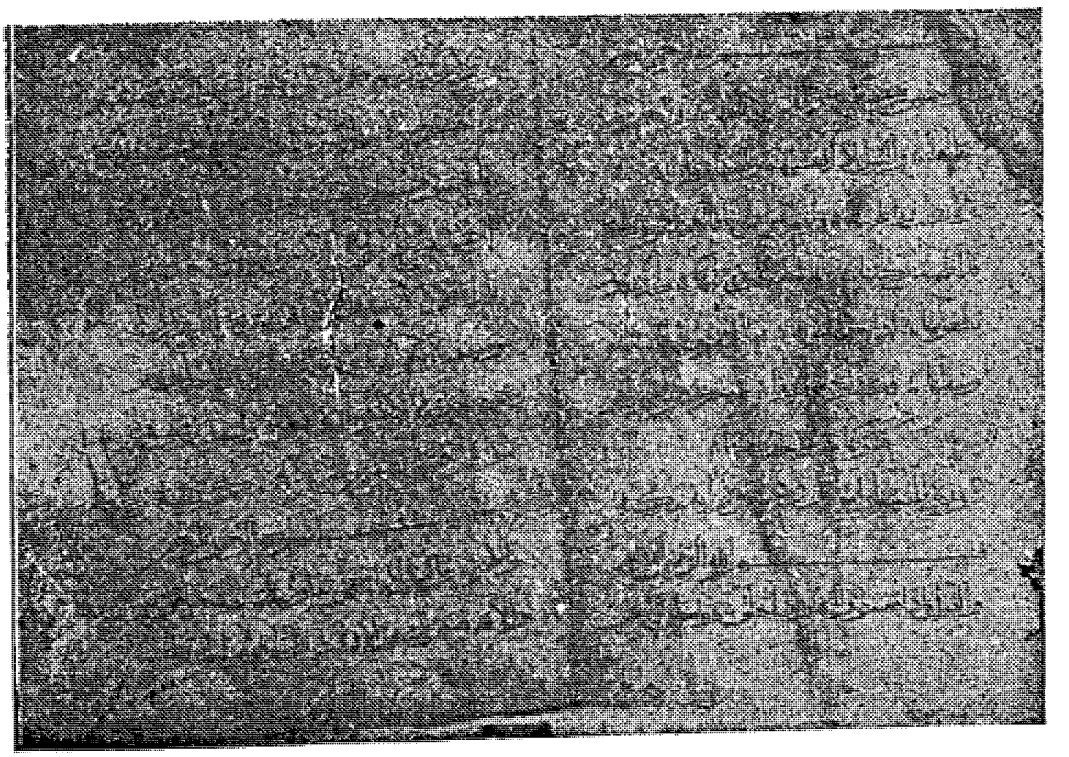

صورة شمسية لمصحف لم يؤرخ،ويلحظ علامة الإمالة فيه كلمة «مل» فوق الحرف الممال،وأن الفتحة موضوعة على الحرف الممال . محفوظ بمكتبة الاستاذ الشيخ طفيش المحرر بدار الكتب المصرية « القسم الادبي » .

الفصل الثامن عشر

مدى شيوع الإمالة في الأزمنة القديمة

نقل العرب لغتهم إلى الأقطار المفتوحة ، واختلطت القبائل العربية المختلفة بالأجناس البشرية شرقا وغربا ، وانتقلت لهجات هذه القبائل إلى سكان البلاد الأصليين ، ومن بين هذه اللهجات لهجة الإمالة .

ظهرت لهجة الإمالة في الهند ، وسوريا ، ولبنان. ومالطة. وفي افريقية العربية في بلاد المغرب ، واسبانيا ، وجزيرة صقلية (١) .

وللأسماء والكلمات العربية التي حفظ رسمها في المصادر الاجنبية شأن كبير في بيان مدى ذيوع الإمالة في الأزمنة القديمة (٢) .

فالعرب المغاربة ينطقون كثيرا من الألفات ياءات من ذلك ركاب ، لكن. وباب ، ولسان ، فينطقونها ركيب ، وليكن ، وبيب،ولسين (٣) .

وتظهر الإمالة في بعض الكلمات التي اقترضها الفرس من العرب مثل: ركيب بدلا من (ركاب)،وعتيب بدلا من (عتاب)،كما تظهر في الكلمات الفارسية الأصلية آبيد بدلا من آباد ، وآزير بدلا من آزار (٤)،ولا تزال

(١) Die Imala P. 8.

(٢) مادة إمالة « دائرة المعارف الإسلامية » .

(٣) ص ١٠ ج ١ من Arabic Grammar تأليف W. wriiht

(٤) Die Imala p. 9.

الكلمات العربية لسان ، وسلاح ، ولكن ، تنطق بإمالة في اللغة الفارسية « لسين ، سليح ، وليكن [1] » .

وباجه، وجبان، وقنالش، ولبرالة تكتب في اللغة الاسبانية هكذا [2]
Beja, gaen, Caniles, Lebrilla,

وفي الشهادات العربية اليونانية في جزيرة صقلية نجد : ـ

رحمين،سليم ، وشديد ، وعبد الكيفي ، وعيسى ، وهليل ، وعبد الرحمين ، وابن ابي الحيرت

بدلا من رحمان بن سالم ، وشداد ، وعبد الكافي ، وعيسى ، وهلال، وعبد الرحمن ، وابن ابي الحارث [3] .

الإمالة في ألسن المتكلمين الآن في مصر والسودان

نود أن نبدأ أولا بالتنبيه على ان الغرض من هذا الفصل ليس إلا مجرد عرض لظاهرة الإمالة في لهجات المتكلمين الآن ، لا على وجه من التحديد الدقيق ؛ بل على وجه التمثيل في صورة ربما كانت أقرب إلى الإجمال منها إلى التفصيل . ذلك لأن سبيل التحديد الدقيق لا تكون على هذه الصورة التي أجرى بها هذا الاستفتاء ، والتي سنعرض لها فيما بعد بالبيان ، وإنما تكون ـ فيما أعرف ـ في الارتحال إلى البلاد المختلفة التي يراد فحص لهجاتها مدينة مدينة ، وقرية قرية ، بل إلى ما هو أصغر من القرى فيما يعرف عندنا في مصر (بالعزب والكفور) . نعم نرتحل إلى هذه البلاد ونقيم في كل بلد ما شاء الله والبحث العلمي الواعي أن نقيم : تتحدث إلى أهله ، ونستمع اليهم ، ونسجل لهم على آلات خاصة (كالدكتافون) لهجاتهم وطريقتهم الملتزمة منهم في أدائهم ، ونجمع مادة البحث مما نسجل على هذه

(١) ينظر القاموس الفارسي في هذه المواد .
(٢) كتاب الإمالة لجرنيرت ص ٩ .
(٣) Die Imala p. 10

الآلات ، ومما تلحظه الأذن فيما يجري فـي أفواههم ، وعلـى حناجرهم وألسنتهم من أصوات ، ثم نعود من هذه الدورة الواسعة بما جمعنا من مادة مسجلة كما يعود الكيميائي الى معمله، يفحص ويبحث، ويتتبع، ويستقرىء، ويعلل ، ويحلل ، ويفسر ، ثم يستنتج أو يحكم • وعند ذلك فقط تكون النتيجة أقرب إلى الصحة ، وأدنى إلى الصواب •

ذلك سبيـل التحقيق الدقيق ــ أو قـل سبيل قريب مـن التحديد الدقيق ــ في هذه المسألة التي أتعرض لها في هذا الفصل بالبيان •

وليس معنى ذلك أنا لم نلتزم الدقة فيما قمنا به من استفتاء ، بل على العكس قد تحريناها فيما سلكناه من وسيلة بالقدر الذي تمكنا منه ، وعلى النحو الذي يصل بنا في اطمئنان إلى الغرض الذي هدفنا إليه • وهو أن نبين ان ظاهرة الإمالة كما وصفت لنا في كتب القدماء من علماء العربية لا تزال تسمع حتى الآن في بعض لهجاتنا الحديثة •

وهنا يحسن أن نذكر أن الكلمات التـي جرى عليها الاستفتاء قـد اختيرت مما يشيع في اللهجات الدارجة • وإليك نموذجا لها :

الاسم البلـــد المركز

يذكر اسم القطر إن كان المجيب غير مصري

الكلمة	كيف ينطق بهـا		الكلمة	كيف ينطق بهـا	
	ممـــالة	غير ممـالة		ممـــالة	غير ممالة
باهت			جرى		
دايس			ربا		
سارح			مُنىَ		
حاضر			حسنى		
خاسس			إحنا		
خايل			البنّا		
صابح			بالعزا		
صايم			إذا		
ضايع			إلاّ		
طافش			أنا		
طايش			كتابها		
غاطس			فستانها		
عارف			طبخها		
غاير منه			شغلها		
قارصه			يضربها		
قاصص شعره			حلتها		
ظايط			لك		
التجار			ياخويا		
بعياط			نهار ابيض		
بَنَى			امبارح		

ومما قصد أيضا في هذه الكلمات أنها تمثل الطوائف الآتية :

١ ــ كلمة باهت ــ تمثل طائفة من الكلمات وقعت فيها الكسرة بعد الألف ، وليس المكسور ياء ، وليس قبل الألف أو بعدها حرف استعلاء .

٢ ــ كلمة دايس تمثل طائفة من الكلمات خالية من حروف الاستعلاء والمكسور بعد الألف (الياء) .

٣ ــ كلمة سارح تمثل طائفة من الكلمات وقعت فيها الكسرة بعد الألف والمكسور حرف الراء ــ وقد عرفنا منزلة الراء في باب الإمالة .

٤ ــ الكلمات الآتية فيها حروف الاستعلاء واقعة قبل الألف أو بعدها :

« خاسس ، خايل ، صايح ، صايم ، ضايع ، طافش ، طايش ، غاطس ، عارف ، غاير منه ، قارصه ، قاصص شعره ، ظايط » .

٥ ــ بعياط مثال للكلمة ، قبل ألفها كسرة وياء وبعدها حرف استعلاء.

٦ ــ بنى ــ جرى ــ مثال لأفعال ثلاثية ذات أصل يائي متطرف .

٧ ــ ربا لأسماء ثلاثية أصل ألفها الواو .

٨ ــ مثنى لأسماء ثلاثية أصل ألفها الياء .

٩ ــ حسنى لأسماء زادت حروفها عن ثلاثة،وأصل ألفها المتطرف الياء.

١٠ ــ « احنا ــ البنا ــ بالعزا » كلمات تنتهي في العامية بألف .

١١ ــ إذا ــ إلا ــ أنا ، أمثلة لبعض المبنيات .

١٢ ــ كتابها .. إلى حلتها ــ أمثلة لما في آخره « ها »،وبعض هذه الكلمات فيه حروف استعلاء (طبخها وشغلها) أو الراء مفتوحة قبل الضمير وذلك (يضربها) .

١٣ ــ لك ــ نهار أبيض ــ وضعتا لنعرف الإمالة التي تقع فــي أول حرف في الكلمة من الفتح الى الكسر •

١٤ ــ امبارح للألف بعدها وقبلها كسرة،والمكسور الراء •

أما الكلمات المختومة بتاء التأنيث ، والتي تدخلها الإمالة عند الوقف فقد اكتفينــا بالاستفتاء الــذي أجراه الأستــاذ الدكتور إبراهيم أنيس وقد أرفقنا مصورة بجغرافية الإمالة في هذا الباب • متفقا في ذلك مع ما سبق من ابواب •

وهكذا جمعنا مادة الاستفتاء ، وتحرينا فيه ما تحرينا مما بيناه ، وكان علينا بعد ذلك أن نتخير من يدلى بالفتيا من أولئك الذين هــم صلــة بهذا الموضوع،وممن يمثلون بلادا مختلفة فــي القطر المصري • ومــن تمكنهم ثقافتهم أن يفهموه ، ويجيبوا عنه إجابة تعيننا على الوصول إلى ما قصدناه، فوقع الاختيار على طلبة كلية دار العلوم ، وكليات الجامع الأزهر الثلاث : اللغة العربية ، والشريعة وأصول الدين • وكنا نوجه الطلاب بما يأتي : ــ

(ا) إن المقصود من هذا الاستفتاء إنما هو التعرف على ظاهرة الإمالة في هذه الكلمات في ألسن المتكلمين باللهجة الدارجة لا العربية العلمية، فيجب أن يستوحي كل مجيب لهجته في قريتــه أو مدينته ، ولهجة الفلاح في مزرعته ، والريفي الصميم في بلدته •

(ب) كذلك كنا ننطق أمامهم أمثلة موضحة لهذه الكلمات في حالى فتحها وإمالتها قبل البدء في الإفتاء •

(ج) إن الفتيا في هذه الكلمات تكون حال الوقف عليها لا موصولة بمــا بعدها ؛ لأنها لو وصلت فالأعم الأغلب فيها الفتح ، حتى عنــد مــن يميل ، فهناك بعض القــرى ينطق أفرادها كلمة احنا احنه فــي حال الوقف ، فإذا وصل فتح ، فيقول مثلا : « إحنا رحنا امبارح ••• » •

كل هذه التوجيهات راعيناها لنستطيع ان نصل إلى نتيجة صحيحة أو قريبة من الصحة ، ومما يدعو إلى الارتياح والاطمئنان إلـى النتائج التي وصلنا اليها أنها تتفق مع الاستفتاء الذي أجراه الدكتور ابراهيم أنيس في إمالة ما قبل هاء التأنيث ، وأن بعض أساتذة الكليات في الجامع الأزهر ، وجامعة القاهرة قد اشتركوا فـي هـذا الاستفتاء فجاءت بياناتهم موافقة للطلاب الذين من بلادهم • مثل :

١ (ا) فضيلة الشيخ محمد كامل حسن (وكيل كلية اللغة العربية) من مركز العياط (السعودية جيزة) •

(ب) علي طه عبد القادر الزويد (طالب بكلية الشريعة) من مركز العياط (اللشت) جيزة •

٢ الأستاذ الدكتور عبد الرزاق حميده (أستاذ بدار العلوم) من مركز السنطة سحيم •

الطالب محمد كمال الدين أمين خليل من مركز السنطة سحيم •

٣ الأستاذ الدكتور ضياء الدين الريّس (استاذ بدار العلوم) مـن مركز المنزلة (المطرية) •

الطالب فتحي قاسم (الطالب بدار العلوم) من مركز (المنزلة) •

٤ الأستاذ علي حسن عبدالجليل (مدرس بكلية اللغة العربية) القاهرة متفقا مع طلاب كثير من القاهرة أيضا في مختلف كليات الأزهر •

كذلك مما يدعو إلى الاطمئنان بالنتيجة ــ توافق الطلبة في الكليات المختلفة وهم من بلاد واحدة : ــ

مثلا : ــ

١ (ا) مصطفى محمد احمد منصور (مليج شبين الكوم) كلية اللغة العربية .
(ب) عبد الواحد غنيم (مليج شبين الكوم) دار العلوم .

٢ (ا) محمد يوسف النقيب (القنايات مركز الزقازيق) دار العلوم.
(ب) عبدالمنعم سالم خضر (القنايات مركز الزقازيق) كلية الشريعة.

هذه الحالات وقد ذكرناها من قبيل التمثيل لا الحصر ــ تجعلنا نميل إلى أن هذا التوافق ليس من قبيل الصدفة ، وإنما هو من قبيل الصدق في الفتيا ، والتزام المفتين الأمانة العلمية في الإفتاء .

وقد جمعنا ما يقرب من نحو ألف ومائة وعشرين حالة . استبعدنا منها نحوا من ستين حالة ظهر فيها عدم الجدية ، وفحصنا الألف والستين حالة الباقية ورتبناها على النحو الآتي :

١٥٠ حالة لا إمالة فيها مطلقا .

٢١٥ حالة ظهرت الإمالة فيها قليلة من كلمة إلى أربع .

٣١٠ حالة ظهرت الإمالة فيها متوسطة من ٤ ــ ١٤ .

٣٨٥ حالة ظهرت الإمالة فيها غالبية غامرة .

وقد لحظت أن أسماء الفاعلين في النهر الأول من جدول الاستفتاء لا إمالة فيها ألبتة في لهجات الذين أدلوا ببياناتهم .

ثم رتبت كل حالة من الحالات الأربع السابقة على حسب مراكز المديريات ، وحصلنا على المصوّر الجغرافي للإمالة في القطر المصري والسودان المرافق لهذا البحث .

ويمكننا أن نستنبط ما يأتي : ــ

تكثر الإمالة بصورة ظاهرة في مديريات المنوفية ، والبحيرة ، وكفر الشيخ مما يلي البحيرة ، والجزء الشمالي من مديرية الدقهلية فــي مراكز المنزلة ، ودكرنس وفارسكور ، وما يجاور هذه المراكز من مديرية للغربية في مراكز (المحلة الكبرى ، والسنطة ، وزفتى) •

وهي في مديرية الغربية بوجه عام متوسطة ، وبخاصة في المناطق التي تبعد عن الدقهلية من الشرق ، والبحيرة من الغرب •

وهي متوسطة كذلك في مديرية كفر الشيخ في المناطق التي تبعد من البحيرة المميلة ــ واكثر مايتجلى ذلك فيمراكز (بلقاس وبيلا وكفر الشيخ)•

مديريات الوجه القبلي تتراوح بين إمالة متوسطة (في كَمِّها) وإمالة قليلة •

أما منطقة الفيوم فيلحظ أن الجزء الشمالي تظهــر فيــه إمالة ظهورا واضحا على العكس من الجزء الجنوبي ، إذ تظهر فيه الإمالة متوسطة •

وبعد : فهل يمكن تعليل ظهور الإمالة في بعض المديريات من القطر المصري ، وقلتها أو اختفاؤها في البعض الآخر ••؟

وهل يمكن الربط بين لهجات القبائل العربية النازلة في مصر منذ الفتح الإسلامي واللجات المصرية الآن •؟

الحق أن الباحث لا يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال وهو مطمئن إلى صحة ما يقول ، فالقبائل العربية التي هاجرت إلى مصر ليست معروفة على وجه الدقة ، على أنه لو أتيح لنا التعرف على هذه القبائل فلن يتاح لنا التعرف على لهجاتها ، فهو أمر مجهول لنا بعد هــذا الزمن المتطاول المليء بالأحداث والغزوات ، ولا شك أن تطور الأصوات اللغوية العربية لا يخضع فقط لانتشار العرب ولغتهم في مناطق غير جزيرتهم ، وإنما يخضع كذلك

لعوامل اجتماعية ، وسياسية ، ونفسية ، وعوامل جغرافية ، من حيث طبيعة البلاد ، وبيئتها ، وشكلها ، وموقعها ، كما يرجع إلى اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب ، وإلى التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق [١] .

وفي باب الإمالة بالذات تزداد المسألة تعقيدا ؛ ذلك لأنها أمر صوتي يحدث غالبا في أواخر الكلمات ، ووقوع الصوت في آخر الكلمة يجعله أكثر عرضة للتغيير من وقوعه في وسطه أو أوله .

على أنه قد ورد في كتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب للمقريزي ما يلقي ضوءا خافتا على هذه المجهلة :

فمن النتائج التي حصلنا عليها في الاستفتاء المتقدم ان مدينة (بلبيس) من الشرقية تظهر فيها الإمالة ظهورا غالبا ، كما أن مديريتي المنوفية والبحيرة وبعض أجزاء الفيوم كذلك فهل نزلت هذه الجهات قبائل عربية أثر عنها الإمالة ..؟

يحدثنا المقريزي أن (عوف) من قيس عيلان نزلوا في بلاد الصعيد وفي الفيوم وفي البحيرة [٢] .

وأن (لواته) وهم من قيس [٣] نزل منها في المنوفية بنو يحيى و ... وعبده ومصلة وبنو مختار [٤] .

وأن بني سليم وهم من قيس ايضا [٥] نزلوا بلبيس . جاء في البيان والإعراب للمقريزي :

---

(١) انظر تفصيل هذه العوامل في كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ١٤٢ وما بعدها طبعة سنة ١٩٥٠ م .
(٢) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ص ٥٢ .
(٣) البيان والاعراب للمقريزي ص ٥٣ .
(٤) المصدر السابق ص ٥٨ .
(٥) المصدر السابق ص ٦٤ .

« وعن الهيثم بن عدي قال حدثني غير واحد أن عبيد الله بن الحيجاب لما ولاه هشام مصر قال : ما أرى لقيس حظا فيها إلا لناس من جديلة ، وهم فهم وعدوان ، فكتب إلى هشام:إن أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه) قد شرف هذا الحي من قيس ، ونعشهم ، ورفع من ذكرهم،وأنى قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظا إلا أبياتا من فهم ، وفيها كور ليس فيها أحـد ، وليس يضير بأهلها نزولهم معهم ، ولا يكسر ذلك خراجا وهي « بلبيس » ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل . « فكتب إليه هشام » « أنت ورأيك » ، فبعث إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر بن معاوية ابن بكر بن هوزان ، ومائة أهل بيت من بني عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان بن مضر البطن المشهورة ، التي منها بنو كلاب ، وجعلة ، وعقيل ، وفشير ، والبكاء ، وعجلان ، وعبدالله ، وربيعة ، وسواة ، وهلال ، ونمير ، ومائة أهل بيت من هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان ، فآثر لهم بلبيس وأمرهم بالزرع ، ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها إليهم ، فاشتروا إبلا، فكانوا يحملون الطعام الى القلزم ، فكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير واكثر، ثم أمرهم باشتراء الخيول، فجعل الذي يشتري المهر لا يمكث إلا شهرا حتى يركب ، وليس عليهم مؤنة في إعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مراعيهم، فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل اليهم **خمسمائة اهل بيت** من البادية فكانوا على مثل ذلك ، فأقاموا سنة فأتاهم نحو **الف وخمسمائة اهل بيت** من قيس، ومات مروان **وبلبيس ثلاثة آلاف اهل بيت** ، ثم توالدوا، وقدم عليهم من البادية من قدم فأحصوا في ولاية محمد بن سعيد فوجدوا خمسة آلاف ومائتين ما بين صغير وكبير » [1] .

فهل يفسر لنا هذا كله ظاهرة الإمالة في بلبيس دون غيرها من مراكز

---

(١) البيان والإعراب للمقريزي ص ٦٥

الشرقية ، وهو ما انتهى إليه بنا ما أجرينا من استفتاء ..؟ قد يكون ذلك ؛ ولكنا مع هذا نقف موقف الحياد من هذا التعليل ، غير مغفلين العوامل الأخرى التي ذكرناها من قبل .

ومن المهم أن نذكر ان في اللهجات الحديثة ضربا من الإمالة يجب تعليله على نحو مغاير لتعليل الإمالة النحوية ، ففي لهجة بيروت مثلا تتوقف الإمالة على الحروف الموالية للألف ولا تؤثر الكسرة إلا في النادر (مع الراء مثلا) ، وهذا ميل يجيء عفوا من الفتحة إلى الكسرة ، والحروف التي تمنع الإمالة هنا ليست حروف الاستعلاء فحسب، بل حروف الحلق والحنجرة[1].

ونجد إمالة من الضم إلى الكسرة كما في لهجة أهل فارسكور، ونوسا الغيط مركز أجا مديرية الدقهلية يقولون كِلْ ــ وكِدّي شعرك ، بدل كُدّي شعرك ــ وكِلِي بدل كُلِي ، وقد سمع فلايشر بيروتيا يقول (كِل النّيس [2] بدل كل الناس ، والصلة قريبة بين أهل بيروت والدقهلية.

وفيما يلي مصور لمساكن المتكلمين بالقطر المصري .

(١) مادة امالة دائرة المعارف الاسلامية .
(٢) Die Imala. p. 8.

الخاتمة

موازنة بين قواعد الإمالة عند النحاة وعند القرّاء

هذا فصل نعقده لاستخلاص أبرز ما بين النحاة والقراء من فروق في باب الإمالة ، وقد تعرضنا لأكثره في البحوث السابقة ، وإنما جمعناه هنا ليكون مستقلا أولا ، ولأن بعض هذه الفروق تستحق فضلا من الإيضاح والبيان آخراً .

فاولا : في عنونة هذا الباب

فالنحاة يتخذون عنوانا له « الإمالة » غالبا ، أما القراء فمنهم من اتخذ عنوانا « الفتح والإمالة » ، ومنهم من اتخذ عنوانه « الفتح والإمالة وبين اللفظين » . وقد عللنا مسلك كل من النحاة والقراء من قبل [1] .

وثانيا : حديث الفريقين عن درجات الفتح والامالة

يهتم القراء اهتماما ملحوظا بالحديث عن درجات الفتح ، ودرجات الإمالة ، ويبينون في دقة المعيب من هذه الدرجات في كلتا الحالين .

على حين أن النحاة ليس عندهم إلا الفتح فقط ، أو الإمالة فقط ، من غير اهتمام بدرجات هاتين الظاهرتين كما يفعل القراء [2] .

وثالثا : الأسماء المختلفة للإمالة بنوعيها

وللإمالة بنوعيها أسماء متعددة عند القراء ، فالشديدة تسمى أحيانا التكثير ، والبطح ، والإضجاع ، والكسر ، إلى آخر هذه الأسماء التي أتينا عليها من قبل .

---

(١) انظر الفصل الأول .
(٢) انظر الفصل الثاني .

والمتوسطة أحيانا بين بين ، وبين اللفظين والتقليل والتلطيف، والإشارة الى الكسر [1] .

ورابعا : أصالة الفتح والامالة

تأخذ مسألة أصالة الفتح والإمالة أهمية ظاهرة عند القراء أكثر منها عند النحاة كما رأينا من قبل [2] .

وخامسا : الترقيق والنظرة اليه

بعض القراء يجعلون الترقيق نوعا من الإمالة ، فيتحدثون عن مذهب ورش في ذلك مع حديثهم عن الإمالة ــ كمافعل الداني في الموضح، إذ أفرد لمذهب ورش في الراءات بابا بيّن ذلك فيه ــ كما يقولون ــ بيانا بليغا [3] .

ولكن النحاة المتقدمين وفي مقدمتهم إمامهم سيبويه لم يتعرضوا لشيء من ذلك في باب الإمالة ، وأقول النحاة المتقدمين ؛ لأن مذاهب القراء تخللت مذاهب النحاة في العصور الأخيرة منذ القرن السادس كما بينا من قبل .

وسادسا : أسباب الامالة

وقد بينا فيما سبق أن القراء لا يعتدون ببعض الأسباب التي ذكرها النحاة في باب الإمالة ، وبعض هذه الاسباب تلحقه صفة الضعف عند النحاة ، على حين أنه سبب قوي عند القراء مثل « الإمالة للامالة » ، « والألف المشبهة بالياء » .

وسابعا : الألفاظ الممالة

والألفاظ الممالة عند النحاة الأولين من لدن سيبويه هي ما سمع من العرب، أما مادة الإمالة عند القراء فطبيعي أن تكون حروف القرآن الكريم، وقد أخذنا على ابن الجزري من قبل أنه مثل بأمثلة النحاة في شرحه أسباب الإمالة. وربما كان لابن الجزري ومن لف لفه من القراء بعض العذر

---

(١) انظر الفصل الثاني .
(٢) انظر الفصل الثاني .
(٣) الموضح ص ٨٢ ورقة ٣٤

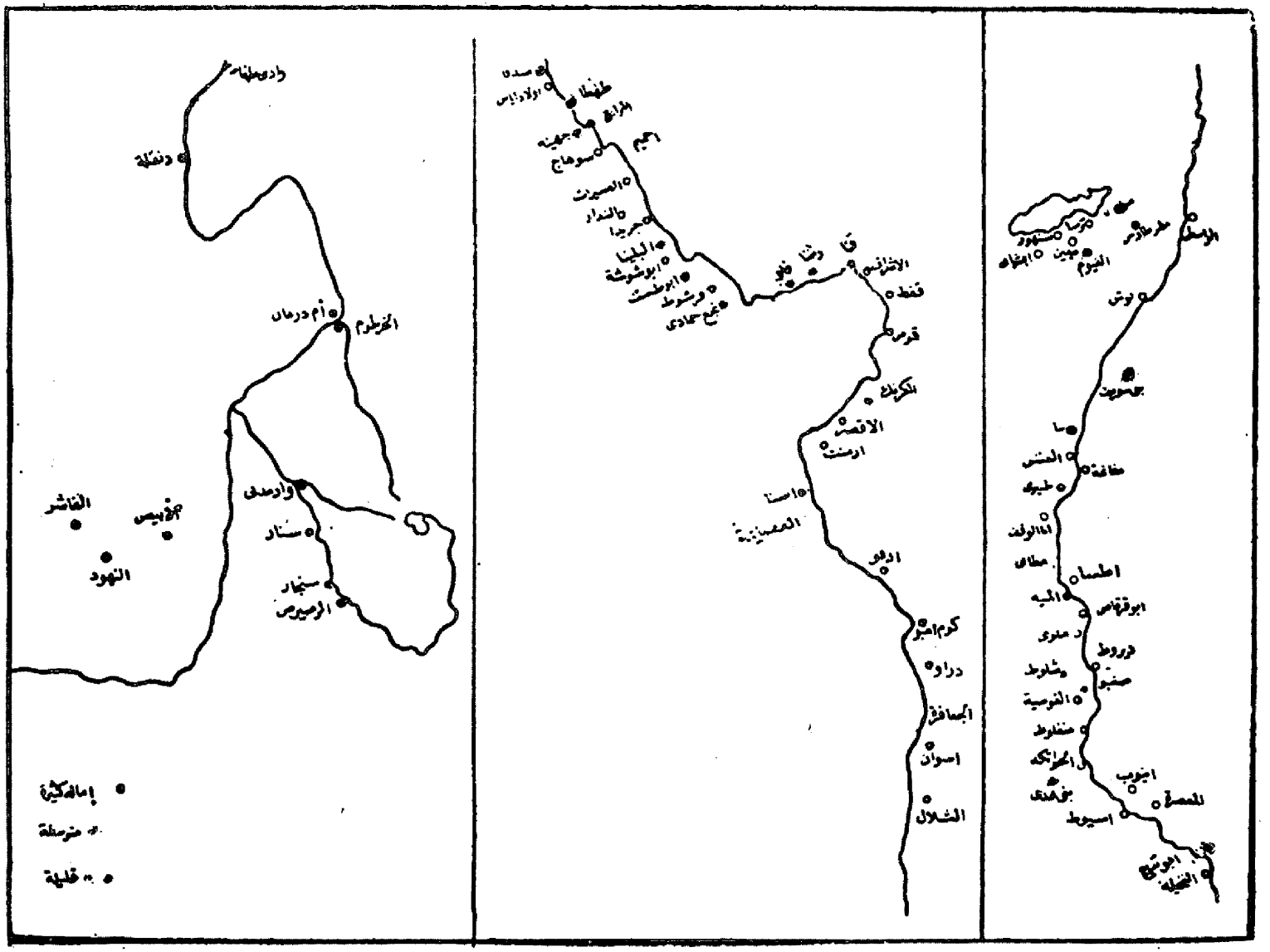
وادي حلفا
دنقلة
أم درمان
الخرطوم
وادي مدني
سنار
سنجار
الرصيرص
الفاشر
الأبيض
النهود
إمالة كثيرة
متوسطة
قليلة
طنطا
الزقازيق
جهينة
سوهاج
الصعيد
البلينا
ابو شوشة
ابو طشت
فرشوط
نجع حمادي
قنا
دشنا
نقادة
الاقصر
قوص
الكريمات
الاقصر
ارمنت
اسنا
العصيرات
ادفو
كوم امبو
دراو
الجمافقة
اسوان
الشلال
المنيا
ملوي
الفشن
بني سويف
الفيوم
اهناسيا
نوسا
جمسوبت
سا
المنشية
طنطا
طيبة
الاتوفيد
مطاي
اطسا
المنيا
ابو قرقاص
دير ملوى
دروط
مشلوط
منفلوط
الخوانكة
بوهدى
اسيوط
المنصورة
ابو تيج
الغنيمة

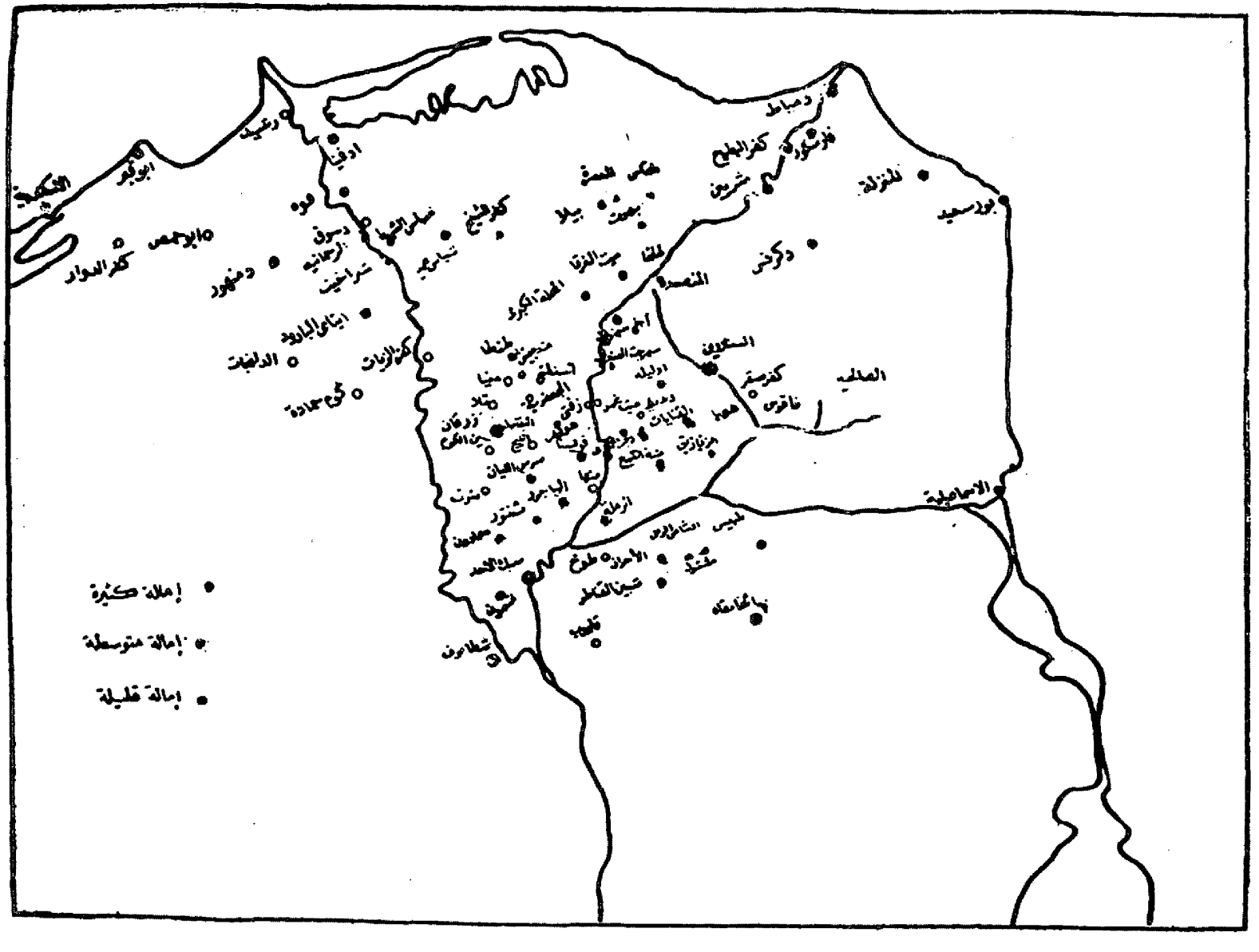
إمالة كثيرة
إمالة متوسطة
إمالة قليلة

في ذلك ؛ لأن هذه الأمثلة ذكرت في كتاب سيبويه مسموعة من العرب ، فجرى المؤلفون على الأخذ برواية سيبويه عنهم .

هذا وتضيق دائرة الممال عند القراء ؛ فكل ممال عندهم ممال عند النحاة ولا عكس ، وقد بيّنا في مكان آخر الأحرف التي أمالها القراء .

وثامنا : الميلون

(ا) والميلون عند النحاة القبائل العربية ، أما عند القراء فهم الأئمة،ومن نقلوا عنهم .

(ب) ويهتم سيبويه بالكم من الميلين، فهذا لفظ يميله ناس من العرب كثير، وهذا آخر يميله ناس منهم قليل ، وثالث أقل ، ممن لا ترتضى عربيته ، وبعض الألفاظ يميله ناس من العرب أكثر وهكذا .

أما القراء فيهتمون بالكيف اهتماما ظاهرا ، يهتمون بطريقة الأداء ، ولا يعنيهم الكم في قليل ولا كثير ، ما دامت القراءة متواترة ، وإلى الرسول مسندة [1] .

(ج) ويرتبط بذلك أن النحاة أصدروا أحكاما على الألفاظ الممالة بالجودة، والحسن ، والجواز ، والقبح ، وهذه الظاهرة تتجلى أكثر ما تتجلى عند المبرد في كتابه المقتضب ، فقد أميلت الألف ــ في نحو عابد وعالم ــ للكسرة اللازمة لما بعدها ، وهو موضع العين من فاعل ، **وان نصبت في كل هذا فجيد بالغ على الاصل** [2] » .

« والألف اذا كانت منقلبة عن ياء **اسم أو فعل فإمالتها حسنة ، وأحسن ذلك** أن تكون في موضع اللام [3] » .

« فأما ما كانت من ذوات الواو على ثلاثة أحرف **فإن الإمالة فيه قبيحة:**

(١) النشر ج ١ ص ١٨ .
(٢) المقتضب ج ٣ القسم الاول ص ٣٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٦ « ج ٣ القسم الاول من المقتضب للمبرد » .

نحو دعا وغزا [1] » . « فأما عسى فإمالتها جيدة [2] » .

وهذه ظاهرة لا نجدها عند القراء ــ وإن وجدت في القليل النادر [3] فهي منقولة عن النحاة .

تاسعا : إمالة الفتحة في نحو من الضرر ومن الكبر

وإمالة هذا الباب لــم ترد عن القراء ، على حين تحتل مكاناً مهما في كتب النحاة ، حتى إن سيبويه عالجه في باب مستقل جعل عنوانه :
(هذا باب ما يمال من الحروف التي ليس بعدها ألف اذا كانت الراء بعدها مكسورة [4]) .

عاشرا : إمالة ما قبل هاء التانيث عند الوقف

يتحدث سيبويه عن إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف حديثا عابرا ، أما القراء فيتناولونه على نحو أوسع على ما بيناه من قبل .

حادي عشر : موانع الإمالة

لم يتحدث القراء المتقدمون عن موانع الإمالة في كتبهم ، وتابعهم في ذلك كثير من المتأخرين ، ولعل ذلــك لأنهم أرادوا ان يبينوا الالفاظ التي أميلت، وأن يحتجوا لها ، ولم يكن من المهم عندهم أن يتعرضوا لغير الممال.

ثاني عشر : الحصر والاستقصاء

ويظهر ذلك واضحا عند أهل الأداء ، فهم يحصون في دقة عجيبة جميع ما أميل في القرآن الكريم في فصول الإمالة المختلفة ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن عند النحاة ، فهم يكتفون بالتمثيل وإيــراد الشواهد ، ولا يعنيهم الإحصاء والاستقصاء ، ذلك لأن مادة بحثهم ما نطق بــه اللسان العربي ،

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .
(٣) ينظر حكم ابن مجاهد على إمالة ما قبل هاء السكت في فصل إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف .
(٤) الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٢٧٠ .

وحصر ذلك غير ميسور ، على حين أن القراء جرهم الحرص على ما هو متصل بالقرآن إلى حصر ألفاظه في موضوع بعينه ، وساعدهم على ذلك أنها بطبيعتها مما تعد وتحصر .

وبعد

فماذا نبغي من وراء هذه الموازنة بين قواعد الإمالة عند النحاة والقراء .. ؟

نريد أن تتعرف أي الطائفتين كان أقدر على التقنين والضبط ، كما نريد أن تتعرف مكانة مذاهب القراء في باب الإمالة بين المذاهب العربية العامة التي رواها النحاة وسمعوها عن العرب ، لماذا ضاقت دائرة الأمالة عند القراء ، واتسعت عند النحاة ..؟

لا نشك ــ بعد استعراض هذه الموازنة ، والرجوع إلى مفرداتها في فصولها الخاصة بها من هذا البحث ــ لا نشك في أن القراء كانوا أقدر على التقنين والضبط من النحاة ، فدرجات الإمالة ، ودرجات الفتح ، والأسماء المختلفة لكل منهما ، ومذهبهم في الحصر والاستقصاء ، كل ذلك وغيره مظهر من مظاهر قدرتهم على الضبط والتقنين ..

أما مكانة مذاهب القراء في باب الإمالة بين المذاهب العربية العامة التي رواها النحاة ، وسمعوها عن العرب فهي واضحة كل الوضوح في أن ما أماله القراء أدخل في باب المشاكلة للتهيؤ وإليه أقرب ، وبه أنسب ــ كما بيّنا ذلك من قبل ، وقد عرفنا بفضل هذا النوع من المشاكلة على الاخرى مشاكلة الاستصحاب .

وإنك لواجد سببا يدعوك إلى الارتياح ــ في ضيق دائرة الممال عند القراء . ذلك لأنه بالمقارنة بين نصوص سيبويه . والمبرد وما نقل القراء عن أئمتهم في الفتح والإمالة تبين أن مذاهب القراء تمثل مذاهب أكثر العرب ،

كما منحت صفات الجودة والبعد عن القبح والاستهجان ، وإليك البيان:

« باب غزا، وصفا، ودعا » قال سيبويه : **وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بني تميم وغيرهم** [1] ، ويقول المبرد : إن الإمالة قبيحة [2] ، وقال : ومما تمال ألفه قولهم كيال وبياع ، وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول كيال كما ترى فيميل ، وإنما فعلوا هذا لأن قبلها ياء فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها ياء ، فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها ، نحو سراج وجمال ثم قال ــ وهنا موضع الاستشهاد :

« وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف » .

وقال المبرد : ومما يمال ما كان ألفه زائدة في الفاعل ، وذلك نحو قولك رجل عابد وعالم وسالم : فإنما أميلت الألف للكسرة اللازمة لما بعدها وهو موضع العين من فاعل ، **وإن نصبت في كل هذا فجيد** .

هذه الاحكام التي أصدرها النحاة على هذه الطوائف من الكلماتِ ، تؤيد عندنا سلامة نقل القراء باسنادهم عن أئمتهم ، ذلك لأنهم لم يميلوا شيئا من ذلك متفقين مع الكثرة الغالبة على اللسان العربي، **قد يقال إنهم أمالوا تلاها وطحاها وسجى** ، وهي واوية لا يميلها ناس كثير من بني تميم وغيرهم كما قال سيبويه ، والإمالة فيها قبيحة كما قال المبرد ، ولكن لو عرف سر إمالة القراء لهذا الباب ، وأنه يمت بسبب قوي إلى سنن العربية ، بل هو الظاهرة الشائعة في اللسان العربي :

إنهم لم يميلوا هذا الباب إلا لذلك الانسجام الصوتي أو المشاكلة السارية في أبواب اللغة المختلفة ، والتي نوهنا بها من قبل ، ومنحناها فضلا من بيان .

---

(١) الكتاب جـ ٢ ص ٢٦٠ .
(٢) المقتضب جـ ٣ القسم الاول ص ٣٦ .

واذ قد استرحنا إلى مذاهب القراء فيما نقلوه ، وجب علينا أن نتخذ القراءات حجة ومصدرا ؛ فهي قبل ذلك وبعده سند موثوق بصحته .

القراءات هي المصدر

« إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى ، وكثيرا ما ترى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها ، فلأن يجعلوا القرآن على صحتها كان أولى »[1] .

وقال السيوطي في الاقتراح : « أما القرآن فكل ما ورد أنه قرىء به ، جاز الاحتجاج به في العربية ، سواء أكان متواترا ، أم أحادا ، أم شاذا ، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا ، بل لو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يجز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ، ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه [2] » .

ولا نريد أن نطيل القول في موقف النحاة من بعض القراءات وتخطئتهم للقراء في نحو :

(ا) الفصل بين المتضايقين بغير الظرف والجار والمجرور .

(ب) قصر الممدود الذي لا يجيزه النحاة إلا لضرورة الشعر .

(ج) العطف على الضمير من غير إعادة الجار كقراءة : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام . بجر الأرحام .

(د) ماضي يدع .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ٩٣ .
(٢) الاقتراح للسيوطي ص ١٤ .

(هـ) كسر الياء في نحو (بمصرخي) في قراءة حمزة .

(و) الإسكان في نحو (يأمركم) .

ولكنا نريد أن نجعل القراءات هي المصدر ، والحكم فيما وقع بين النحويين،وبينهم وبين القراء من خلاف في موضوعنا الذي نقيم حوله الدرس « وهو الإمالة » على وجه خاص :

فيجب أن نحكم القراء فيما يأتي :

(ا) آلكسرة أقوى أم الياء ؟

(ب) قوة الألف المشبهة بالياء من بين أسباب الإمالة .

(ج) هل يمنع الإدغام الإمالة في نحو قراءة أبي عمرو . الأبرار ، ربنا ، والنهار لآيات ..؟

(د) هل تجوز إمالة هاء السكت ..؟

(هـ) هل تمال حتى ..؟

(و) منزلة الإمالة للامالة من بين أسباب الإمالة .

أما عن المسألة الأولى وأي العلتين أقوى آلكسرة أم الياء ؟ فقد اضطربت نصوص سيبويه ، فمنها ما يدل ظاهرها على قوة الكسرة ، ومنها ما يدل على قوة الياء ، وقد جاء النحاة من بعده فرأى فريق أن الكسرة أقوى ، ورأى آخرون أن الياء أقوى ، وكان لهم العذر في ذلك ، إذ كانت نقولهم عن سيبويه تؤيد هذا حينا ، وتؤيد هذا حينا آخر .

وقد أوردنا في الحديث عن أسباب الإمالة حجة كل هؤلاء وهؤلاء .

أما نحن الآن فيجب ألا نضطرب اضطرابهم فعندنا الفيصل الذي نستهدي به في ذلك :

هل أمال أحد من القراء كلمة من أجل الياء ..؟

يقول أبو حيان : « ومع كون الياء من أقوى أسباب الإمالة لم يأخذ بهـا أحد مـن القراء فيما علمت إلا فـي قراءة ورش الخيرات ، وحيران بالإمالة » .

وهو يريد بالإمالة هنا الترقيق، ترقيق الراء لا إمالة الألف في الخيرات، وحيران .

وقد جرينا في هذا البحث على استبعاد هذا النوع مـن باب الإمالة ، وإن كان الداني في الموضح تناول مذهب ورش في ذوات الراء ، وعده نوعا من الإمالة .

ثم تنظر هل أمال بعض القراء من أجل الكسرة ..؟

انتهينا في نظرتنا عند الكلام على أسباب الإمالة عند النحاة إلى أن الكسرة لا يعتد بها وحدها سببا للإمالة ، بل لا بد من ضميمة أخرى : كسرة أو ياء .

ورأينا أن بعض القراء أمال كلاهما ، وضعاف وناقشنا ذلك ، ولكن القضية بعد هذا لا تحل ، فللكسرة مرجحاتها ، ولليـاء مرجحاتها كذلك .

فننتهي إلى أن ما أورده النحاة من المفاضلة بين الكسرة والياء لا تعين عليه النقول ، وأن كلا منهما في القوة سواء .

ب ـ الالف المشبهة بالياء

ويقول أبو حيان في الارتشاف : إنها سبب ضعيف ، على حين أنه قد دارت عليه أكثر الإمالة عند القراء .

وهذا كاف إلى الاعتداد بالألف المشبهة بالياء سببا قويا مـن أسباب الإمالة ، ما دام القراء قد اعتدوا به على هذا النحو من الاعتداد .

جـ ـ والنحاة لا يرون الامالة مع الادغام

في نحو قراءة أبي عمرو الأبرار ربنا ، والنهار لآيات • ونحن نحكم قراءة أبي عمرو وحيث قد ثبت عنده الإمالة مع الادغام ، فلا نظر بعد ذلك في مذاهب النحاة •

د ـ وقد ذهب ثعلب وابن الانباري إلى جواز الإمالة فيما قبل هاء السكت نحو كتابيه ، ويقول أبو حيان : والصحيح المنع • ونحن نقول : ـ والصحيح الجواز ؛ إذ قد ثبت إمالة هاء السكت عند القراء ، قرأ به أبو مزاحم الخاقاني في قراءة الكسائي (١) •

هـ ـ و « حتى » يمنع إمالتها سيبويه ، وهو محجوج بنقل ابن المقسم إمالة « حتى » عن الكسائي (٢) •

ـ والإمالة للامالة ـ يقول النحاة : إنها سبب ضعيف ، ولكن القراء يعتدون بها ، فقد قرأ الكسائي بإمالة تاء اليتامى ، وسين أسارى وكسالي ، وكاف سكارى ، وصاد النصارى لإمالة ما بعدها ، ويكفي هذا دليلا على قوة هذا السبب بين الأسباب ، إلى ما بيناه من منزلة المشاكلة في اللغة العربية •

وبعد فهذا موقف النحاة من القراءات ، يحتجون بالشعر المجهول ، ولا يحتجون بقراءة صح سندها عن رسول الله !!•

فإلى المجمع اللغوي ورجاله ، وسدنة هذه اللغة الكريمة في جميع أقطار الأرض ، أتوجه راجيا ـ الوضع بين القراء والنحاة ، داعيا إلى دراسة النحو على ضوء هذه ت بين مذاهب النحاة ، ومذاهب القراء في الأبواب المشتركة بينهما ، داد بالقراء فيما اختلف فيه • وعسى

---

(١) كان ابو مزاحم من اضبط الناس بحرف الكسائي ـ انظر الموضح ص٣١٧.
(٢) جمع الجوامع جـ ٢ ص ٢٠٠ ، وانظر الموضح ص ٢٧٤ .

أن يصدر المجمع قرارا يذكره له التاريخ بالحمد ، فـلا يعتد بقـول شاعر مجهول ، ويترك الأخذ بقراءة صح سندها عن رسول الله !!.

كما أرجو أن تتجه الهمة الى إحياء ذخائر الأقدمين من القراء ، ومـا أكثرها في دور الكتب بمصر والأقطار العربية والإسلامية ! ، ومـا أغناها مَعلَمَة في اللغة والثقافة العربية !.

وإني إذ أدعو هذه الدعوة في ختام هذا البحث ـ أرجو من الله أن يوفق الجميع لخدمة كتابه الكريم .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وحرر بمكة المكرمة في ٦ من رجب ١٤٠٢ هـ

٢٩ من ابريل ١٩٨٢ م

ثَبَتُ المَرَاجِعِ

أولا : المراجع العربية

(١)

١ ـ الإبانة لمكي بن ابـي طـالب حموش القيسي (٤٣٧ هـ) مخطوطة شمسية برقم (١٩٦٦٤ ب) بدار الكتب المصرية .

٢ ـ إبراز المعاني من حرز الاماني لأبي شامة (٦٦٥ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي شعبان (٣٤٩ هـ) .

٣ ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي .

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي المطبعة الكستلية (١٢٧٩ هـ) .

٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ .

٦ ـ الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم انيس .

٧ ـ العربية ـ دراسات في اللهجات والأساليب ليوهان فك مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م القاهرة .

٨ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

٩ ـ الاقتراح للسيوطي . طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ .

١٠ ـ الانتصار للباقلاني .

١١ ـ الإنصاف للباقلاني .

١٢ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الانباري .

١٣ ـ الإنباه على قبائل الرواة .

١٤ ـ إجابات الإسقاطي الحنفي من أسئلة الوزير عبدالله مخطوط ملحق قرة العين برقم (٤٧) قراءات بدار الكتب المصرية .

١٥ ـ أخبار الرسل والملوك لابن جرير الطبري .

١٦ ـ ارشاد المريد الى مقصود القصيد، على هامش إبراز المعاني للشيخ الضباع طبعة مصطفى الحلبي شعبان (١٣٤٩ هـ) .

١٧ ـ ارتشاف الضرب لأبي حيان مخطوط برقم (٨٢٨) نحو بدار الكتب المصرية .

١٨ ـ أسرار العربية لابن الانباري مطبوع في مدينة ليدن مطبعة بريل ١٢٠٣ هـ ـ ١٨٨٦ م .

١٩ ـ إعجام الاعلام للمرحوم محمود مصطفى ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م .

٢٠ ـ الفية ابن مالك .

٢١ ـ أوراق البردى المحفوظة بمعرض دار الكتب برقم ١٩٠٠ تاريخ. وكتاب ادولف جروهمان .

(ب)

٢٢ ـ البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي (٧٥٤ هـ) مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ .

٢٣ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي .

٢٤ ـ بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي بقلم الاستاذ الدكتور انو ليتمان .

(فصلة من مجلة كلية الآداب « العدد العاشر » المجلد الاول مايو ١٩٤٨)

٢٥ ـ بلوغ الأرب للألوسي المطبعة الرحمانية ١٣٤٣ هـ .

٢٦ ـ البهجة المرضية شرح الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر للشيخ الضباع مطبعة مصطفى الحلبي (شعبان سنة ١٩٤٩ هـ) .

٢٧ ـ البيان والإعراب عما نزل بأرض مصر من الأعراب للمقريزي .

(ت)

٢٨ ـ تاج اللغة .

٢٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) مطبعة السعادة ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م .

٣٠ ـ تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٢٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م .

٣١ ـ التبصرة لمكي بن أبي طالب حموش القيسي (٣٤٧ هـ) .
(ا) صورة شمسية برقم (٢٣٩٣٦ ب) بدار الكتب المصرية .
(ب) مخطوطة برقم (٢٣٩٣٦ ب) بدار الكتب المصرية .

٣٢ ـ التبيان في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن .

٣٣ ـ التحبير في علوم التفسير للسيوطي مخطوط برقم ١١٧٧ تفسير دار الكتب .

٣٤ ـ التذكار في أفضل الأذكار لابي عبدالله القرطبي (٦٧١ هـ) مطبعة الخانجي سنة (١٣٥٥ هـ) .

٣٥ ـ التعريفات للسيد الجرجاني المطبعة الخيرية (١٣٠٦ هـ) .

٣٦ ـ تقرير للدكتور خليل عساكر عن طريقة لكتابة نصوص اللهجات الحديثة بحروف عربية (لجنة اللهجات) مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

٣٧ ـ تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد لابن القاصح على عقيلة اتراب القصائد (للشاطبي) مطبعة مصطفى الحلبي (١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م) .

٣٨ ـ التوضيح لابن هشام الانصاري .

٣٩ ـ التيسير للداني (٤٤٤ هـ) .

(ج)

٤٠ ـ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري المطبعة الميمنية

٤١ ـ جامع البيان في القراءات السبع المشهورة للداني .

٤٢ ـ جمال القراء لعلم الدين السخاوي مخطوط برقم ٩ م قراءات بدار الكتب المصرية .

٤٣ ـ جمع الجوامع للسيوطي .

٤٤ ـ الجمل الكبيرة لابي القاسم الزجاجي (٣٣٩ هـ) مخطوطة برقم ١٩ نحو بدار الكتب .

٤٥ ـ الجمهرة لابن دريد .

٤٦ ـ جمهرة رسائل العرب « الجزء الاول » للاستاذ احمد زكي صفوت .

(ح)

٤٧ ـ حاشية الصبان على شرح الاشموني .

٤٨ ـ حاشية يس الحمصي على التصريح .

٤٩ ـ الحجة لابن خالويه (٣٧٠ هـ) نسخة مخطوطة برقم (١٩٥٢٣ب) بدار الكتب .

٥٠ ـ الحجة لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) نسخة شمسية برقم (٤٦٢ قراءات) بدار الكتب المصرية .

٥١ ـ حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية) لأبي القاسم بن فيرة الشاطبي (٥٩٠ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي شعبان ١٣٤٩ هـ .

٥٢ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي رقم ٥٨٩٤ تاريخ ، بدار الكتب .

٥٣ ـ الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي مطبعة صبيح ١٣٣٥هـ.

٥٤ ـ الحواشي المفهمة في شرح المقدمة لابن الجزري .

(خ)

٥٥ ـ خاتمة مصحف (الملك) وفيها تعريف به .

٥٦ ـ الخصائص لابن جني (٣٩٢ هـ) .

(د)

٥٧ ـ دائرة المعارف الاسلامية .

٥٨ ـ الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر لابن الجزري مطبعة مصطفى الحلبي شعبان سنة ١٣٤٩ هـ .

٥٩ ـ الدقائق المحكمة في شرح المقدمة لشيخ الإسلام زكريا الانصاري مخطوط برقم ٦٤ مجاميع بدار الكتب .

(و)

٦٠ ـ رسالة في الإمالة على قراءة ابي عمرو البصري فرغ من تأليفها سنة ٨٧٣ هـ الشيخ شمس الدين . محمد بن محمد الوقائي الشافعي مخطوطة ضمن مجموعة في مجلد برقم (١٧٧) مجاميع المكتبة الازهرية .

٦١ ـ رسالة بعث بها إليّ المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد من مانشستر في ترجمة ماكس « جرنيرت » بتاريخ ٢٦ ـ ٣ ـ ١٩٥٢ م .

٦٢ ـ الرعاية في تجويد القراءة ، وتحقيق التلاوة ضمن مجموعةمخطوطة (برقم ٧٧) قراءات . المكتبة الازهرية .

(ز)

٦٣ ـ زوال الجهالة بشرح منظومة الإمالة لعبد الحافظ بن علي غنيم مخطوطة (برقم ٦٤) مجاميع قراءات بدار الكتب المصرية .

(س)

٦٤ ـ سراج القارىء المبتدىء وتذكار المقرىء المنتهي لابن القاصح ت (٨٠١ هـ) ، مطبعة مصطفى الحلبي (١٣٥٨ ـ ١٩٢٩ م) .

٦٥ ـ سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) نسخة خاصة مخطوطة ملك الاستاذ إبراهيم مصطفى .

(ش)

٦٦ ـ الشافية لابن الحاجب (٦٤٦ هـ) .

٦٧ ـ شذا العرف للشيخ احمد الحملاوي .

٦٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ١٠٨٩ هـ مكتبة القدسي ١٣٥١ هـ .

٦٩ ـ شرح ابن عقيل (٧٧٩ هـ) لألفية ابن مالك .

٧٠ ـ شرح ابن الضائع (٦٨٠ هـ) للجمل الكبيرة للزجاجي (٣٤٠ هـ) مخطوط برقم ١٩ نحو بدار الكتب المصرية .

٧١ ـ شرح الأشموني (٩٢٩ هـ) لألفية ابن مالك (منهج السالك) .

٧٢ ـ شرح التسهيل للدماميني مخطوط بالمكتبة الازهرية برقم ١٠٥٧ .

٧٣ ـ شرح التصريح للشيخ خالد الأزهري على التوضيح لابن هشام الأنصاري .

٧٤ ـ شرح حرز الأماني للامام الجعبري (٧٣٢ هـ) مخطوط بدار الكتب برقم ٦١٢ قراءات .

٧٥ شرح الرضى (٦٨٨ هـ) لشافية ابن الحاجب ٦٤٤ هـ .

٧٦ ـ شرح شواهد الأشموني لعبد السلام الجزائري المطبعة الاهلية بنهج الديوان تونس سنة (١٣٤٧ هـ) : (فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك) .

٧٧ ـ شرح المفصل لابن يعيش (٦٤٣) المطبعة المنيرية .

٧٨ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة مطبعة المعاهد ١٩٢٢ م .

(ص)

٧٩ ـ الصاحبي لابن فارس مطبعة المؤيد ١٩١٠ م .

٨٠ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي مطبعة دار الكتب .

(ض)

٨١ ـ ضحى الإسلام الجزء الثاني للاستاذ الدكتور احمد امين بك .

(ع)

٨٢ ـ عقيلة أتراب القصائد للشاطبي (٥٩٠ هـ) .

٨٣ ـ علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي الطبعة الثانية (١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤ م) مطبعة الاعتماد بمصر .

(غ)

٨٤ ـ غاية النهاية في طبقات القـراء لابـن الجـزري (٨٢٣ هـ) مطبعة السعادة (٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣م) .

٨٥ ـ غيث النفع في القراءات السبع لعلـي النوري على هامش سراج القارىء المبتدىء مطبعة مصطفى البابي الحلبي (١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م) .

(ف)

٨٦ ـ فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك لعبد السلام الجزائري المطبعة الاهلية (١٣٤٧) تونس .

٨٧ ـ فرائد القلائد فـي شرح الشواهد للعينـي المطبعـة الكاستلية (١٢٩٧ هـ) .

٨٨ ـ فصل المقال على نظم ابن غازي فواصل الممال للعوضى البدري الشافعي (١٢١٤ هـ) مخطوط برقم ٦٩ قراءات بدار الكتب .

٨٩ ـ فضائل القرآن لابن كثير القرشي الدمشقي مطبعة المنار ١٣٤٨هـ.

٩٠ ـ فقه اللغة وسر العربية للثعالبي طبعة مصطفى محمد (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣ م) .

٩١ ـ فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي (١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م) مطبعة لجنة البيان العربي .

٩٢ ـ الفهرست لابن النديم المطبعة الرحمانية بمصر (١٣٤٨هـ) .

٩٣ ـ فهرس دار الكتب في أجزاء مختلفة ـ في المصاحف والقراءات ، واللغة ، والنحو .

٩٤ ـ فهرست الأغاني ترجمة محمد مسعود مطبعة الجمهور ٣٢٣ هـ .

٩٥ ـ فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح لمحمـد بـن الطيب (مخطوط محفوظ بالخزانة التيمورية) .

(ق)

٩٦ ـ القاموس المحيط للفيروزابادي .

٩٧ ـ القاموس الفارسي ـ الانجليزي .

٩٨ ـ القرآن الكريم .

٩٩ ـ القرطين لابن مطرف الكناني (٤٥٤ هـ) .

(ا) مشكل القرآن } لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) .
(ب) غريب القرآن }

١٠٠ ـ قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين لابن القاصح مخطوط برقم (٢٦ و ٣٠٦ و ٣٠٩ و ٣١٧ و ٤٠٢) قراءات بدار الكتب .

١٠١ ـ القراءات واللهجات للأستاذ عبد الوهاب حموده مطبعة السعادة (١٣٦٨ هـ ـ ١٩٥٨) .

(ك)

١٠٢ الكافي في القراءات السبع للرعيني الاشبيلي (٤٧٦ هـ) مخطوط برقم ٦١٤ قراءات بدار الكتب المصرية .

١٠٣ ـ الكتاب لسيبويه (١٨٢ هـ) .

١٠٤ ـ كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي التهانوي كلكته ١٨٦٢م .

١٠٥ ـ الكشف عن علل القراءات وحججها لمكي بن ابي طالب حموش القيسي (٤٢٧هـ) نسخة شمسية برقم ١٩٩٨٢ ب بدار الكتب المصرية .

(ل)

١٠٦ ـ اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير (٦٣٠هـ) نشر مكتبة القدسي ١٢٥٧ هـ .

١٠٧ ـ لسان العرب لابن منظور .

١٠٨ ـ لطائف الإشارات في علم القراءات تاليف شهاب الدين القسطلاني .

١٠٩ ـ اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس .

(م)

١١٠ ـ المبهج لسبط الخياط البغدادي .

(ا) مخطوط بدار الكتب برقم ٦٨١ قراءات .

(ب) النسخة الشمسية بدار الكتب برقم ٦٧٥ .

١١١ محفوظات معرض دار الكتب قسم المصاحف ، والمخطوطات وأوراق البردى .

١١٢ ـ محيط المحيط .

١١٣ ـ مختصر شرح التبريزي للحماسة .

١١٤ ـ مختصر المنتهى الاصولي لابن الحاجب مطبعة كردستان العلمية القاهرة ١٣٢٦ هـ .

١١٥ ـ المزهر للسيوطي مطبعة صبيح .

١١٦ ـ المصاحف للسجستاني .

١١٧ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي نشر دار المأمون .

١١٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للاستاذ محمود عبد الباقي .

١١٩ ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري المطبعة الأزهرية (١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م) .

١٢٠ ـ مفتاح كنوز القرآن .

١٢١ ـ المفصل للزمخشري (٥٣٨ هـ) .

١٢٢ ـ المقتضب للمبرد (٢٨٥ هـ) نسخة شمسية برقم (١٥٢٥) نحو بدار الكتب المصرية .

١٢٣ ـ مقدمة ابن خلدون مطبعة مصطفى محمد .

١٢٤ ـ المقدمة الجزرية مخطوط برقم ٦٤ مجاميع دار الكتب .

١٢٥ ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني .

١٢٦ ـ مميزات لغات العرب للشيخ حمزة فتح الله .

١٢٧ ـ منجد المقرئين ، ومرشد الطالبين لابن الجزري المطبعة الوطنية ١٣٥٠ هـ .

١٢٨ ـ منهج السالك (شرح الاشموني) .

١٢٩ ـ مهذب الأغاني للشيخ الخضري مطبعة مصر ١٩٢٥ .

١٣٠ ـ المواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله . المطبعة الاميرية (١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م) .

١٣١ ـ مورد الظمآن في رسم القرآن للخراز مطبعة الاستقامة (١٣٦٥هـ) .

١٣٢ ـ الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة لابي عمرو عثمان الداني نسختان مخطوطتان بالمكتبة الازهرية :

(أ) ضمن مجموعة من ورقة ٢٤ ـ ٧٣ برقم (١٠٣) قراءات مخطوط سنة ٨٣٦ هـ .

(ب) نسخة اخرى منقولة من النسخة الأولى برقم ٥٩٨٠٢ قراءات مخطوط سنة (١٣٧١ هـ ـ ١٩٥١ م) .

(ن)

١٣٣ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الانباري ت (٥٧٥هـ) نشر جمعية إحياء مآثر علماء العرب .

١٣٤ ـ نسب عدنان وقحطان لأبي العباس المبرد (٢٨٥ هـ) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٣٦ م) .

(١٣٥) ـ نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض لشهاب الدين الخفاجي المطبعة الازهرية سنة ١٣٢٥ هـ .

١٣٦ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري مطبعة مصطفى محمد باشراف الشيخ الضباع .

(هـ)

١٣٧ ـ همع الهوامع للسيوطي مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .

(و)

١٣٨ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان مطبعة السعادة ١٩٤٨ م .

ثانياً: المراجع الأجنبية

139 — Grunert (Max)[1] Die Imala.

140 — Jeffry : Materials for the History of the Text the Qur'an E. J. Brill Leiden.

141 — Mahmood Hassan Attia el Saaran. the Phonetic Observations of the Arab Grammarians. Thesis Submittâd for the Ph. D. Degree. of the Universty of London. June 1951.

142 — Noldeke Th. Gischidete des Qorâns.

143 — Tchaade (Arthur) Sibawaihi's Lautiehre.

144 — W. H. T. Gairdner. the Phonetics of Arabic 1925.

145 — W. Wright. Arabic Grammar.

---

(١) ولد Max Grünert في ١٨/١٠/١٨٤٩ في بروكسل البلجيكية ، ودرس في جامعتي فينا ولبيزج حيث نال الدكتوراه في فقه اللغات الشرقية، وكان أستاذا في جامعة براغ ، وله مؤلفات في العربية القديمة والفارسية والتركية ، ونشر أدب الكاتب .

والف كتاب الإمالة المذكور بالألمانية سنة ١٨٧٦م ، ومات سنة ١٩٣١م.

(من رسالة للاستاذ الدكتور عبد العزيز عبد المجيد أرسلها مشكورا من مانشستر ، بتاريخ ٢٦/٣/١٩٥٢) .

تنسيق وفهرسة
د/ الشويحي

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
كلمة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد علي الضياع شيخ المقارىء المصرية .	٧
تقديم	٩
مدخل البحث.	١٩
الفصل الاول : معنى الفتح والإمالة.	٢٧
الفصل الثاني : درجات الفتح والإمالة وأنواعها.	٣٩
تطور الفاظ الفتح والإمالة عند النحاة والقراء .	٤٨
الفصل الثالث : الإمالة عند المحدثين .	٦١
مناقشة القدامى في تعاريف الإمالة على ضوء نظرية المحدثين .	٧١
الفصل الرابع : الفتح والإمالة وايهما الاصل ؟.	٨٣
الفصل الخامس : من يميل من القبائل ومن لا يميل ؟	١٠٣
الفصل السادس : حكم الإمالة : أواجبة هي ام جائزة ؟	١٣٥
الفصل السابع : القراء السبعة والإمالة .	١٤٥
الفصل الثامن : أسباب الإمالة عند النحاة وعند القراء .	١٨٧
موازنة بين قواعد النحاة وقواعد القراء في أسباب الامالة :	
(أولا) الكسرة التي قبل الألف .	٢١٨
(ثانيا) الكسرة المقدرة .	٢٢٥
(ثالثا) الكسرة بعد الألف .	٢٢٩

الموضوع	الصفحة
(رابعا) الإمالة من أجل الياء .	٢٣٤
(خامسا) الإمالة من أجل الراء .	٢٣٥
(سادسا) إمالة ما يصير إلى ياء في باب « دعا » .	٢٤٣
(سابعا) رسم المصحف .	٢٤٩
الفصل التاسع : قد يأتي من الإمالة ما يتبع فيه الرواية .	٢٨٣
الفصل العاشر : إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف .	٢٩٥
الفصل الحادي عشر : إمالة بعض الحروف والراي في ذلك .	٣٠٩
الفصل الثاني عشر : موانع الإمالة .	٣١٥
الفصل الثالث عشر : فقه اسباب الإمالة .	٣٢١
مشاكلة التهيؤ ومشاكلة الاصطحاب .	٣٢٧
امثلة لنوعي المشاكلة في اللغة العربية .	٣٢٩
ظهور نوعي المشاكلة في باب الامالة .	٣٣٦
مشاكلة التهيؤ ابلغ من مشاكلة الاصطحاب، وشيوع مشاكلة التهيؤ في باب الإمالة .	٣٣٧
الفصل الرابع عشر : الأبواب التي وافق القراء النحاة في إمالتها .	٣٤٧
الفصل الخامس عشر : الوقف على الممال .	٣٥١
الفصل السادس عشر : مذاهب القراء في الإمالة ، وظهورها في كتب النحاة .	٣٥٧
الفصل السابع عشر : علامات الإمالة الخطية .	٣٦٧
عرض صور لهذه العلامات في المصاحف القديمة .	٣٧٠ ـ ٣٧٩
الفصل الثامن عشر : مدى شيوع الإمالة في الأزمنة القديمة	٣٨٣
الإمالة في السن المتكلمين الآن : استفتاء ونتائجه .	٣٨٦ ـ ٣٩٦
خاتمة : موازنة عامة بين قواعد الإمالة عند النحاة والقراء .	٣٩٧
(اولا) عنونة هذا الباب .	٣٩٩

الموضوع	الصفحة
(ثانيا) حديث كل عن درجات الفتح والإمالة .	٣٩٩
(ثالثا) الاسماء المختلفة للإمالة بنوعيها .	٣٩٩
(رابعا) اصالة الفتح والإمالة .	٤٠٠
(خامسا) الترقيق والنظرة اليه .	٤٠٠
(سادسا) أسباب الإمالة .	٤٠٠
(سابعا) الألفاظ الممالة .	٤٠٠
(ثامنا) الميلون .	٤٠١
(تاسعا) إمالة الفتحة في نحو من الضرر ومن الكبر .	٤٠٢
(عاشرا) إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف .	٤٠٢
(حادي عشر) موانع الإمالة .	٤٠٢
(ثاني عشر) الحصر والاستقصاء .	٤٠٢
القراء أقدر على التقنين والضبط من النحاة .	٤٠٣
القراءات هي المصدر .	٤٠٥
ثبت المراجع	٤١١
(ا) المراجع العربية .	٤١٣
(ب) المراجع الإفرنجية .	٤٢٣

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات